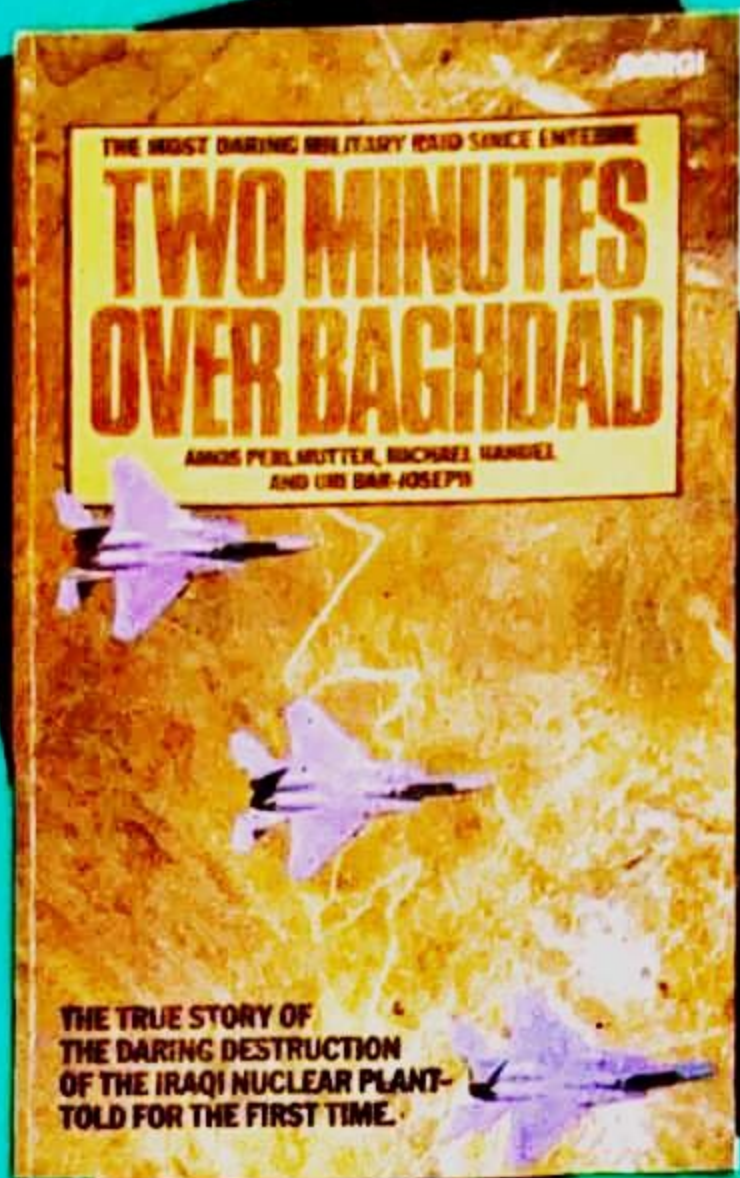


وزارة الاعلام - القاهرة
الهيئة العامة للاستعلامات
كتب مترجمة رقم (٧٦٢)



تأليف
عاموس بيرلموتر
ميسيل هاندل
يوري بارهيوزييف

دقيقتان فوق بغداد

وزارة الاعلام - القاهرة
الهيئة العامة للاستعلامات
كتب مترجمة رقم (٧٦٢)

دقيقتان فوق بغداد

تأليف

عاموس بيرلناتر

ميسيل هاندل

يوري بارهوزيف

كتاب (دليقتان فوق بغداد)

بقلم : هاموس بيرلوتر

ومايكل هاندل

ويورى جوزيف

نبذة عن المؤلفين :

يعمل « هاموس بيرلوتر » استاذاً للعلوم السياسية وعلم الاجتماع بالجامعة الامريكية ، وقد سبق ان صدر له كتاب « العسكرية والسياسة فى اسرائيل ومصر » ، وهو استاذ زائر بجامعة هارفارد وبمعهد بروكنجز وجامعة حيدر آباد بالهند . وعمل عضواً فى الوفد الاسرائيل لدى الامم المتحدة وفى لجنة الطاقة الذرية الاسرائيلية ، ومستشاراً للشئون العسكرية لحكومات عديدة .

اما « مايكل هاندل » فقد تلقى درجة الدكتوراه من جامعة هارفارد عام ١٩٧٤ ، ويعمل باحثاً بمركز هارفارد للشئون الدولية .

وثالث المؤلفين « يورى بارجوزيف » فقد عمل فى السلاح الجوى الاسرائيلى فى مجال التخطيط التيريبى والتكنيكى ، وذلك قبل ان يلتحق بالجامعة العبرية بالقدس ليدرس السياسة .

دقیقتان

فوق بغداد

بقلم :

اموسی بیرلوتر

مایکل هاندل

یوری بار جوزیف

مقدمة

هناك أحداث معينة تعتبر نقاط تحول في التاريخ العالمي ، مثل اجتياح سجن (الباستيل) ، الأمر الذي فجر الثورة الفرنسية ، أو قصف مدينتي (هروشيما) و (نجازاكي) بالقنابل الذرية . وعندئذ يمكن على الفور ادراك أن التاريخ قد غير مساره ، وأن كل شيء لم يمد كما كان من قبل قط . غير أن أحداثا أخرى ذات مغزى تاريخي قد لا تبدو (درامية) هكذا ، بيد أنها لاتزال تعد أحداثا لامثيل لها من قبل . . أحداثا تكون بداية لعهد جديد ، أو لمستوى جديد من الصراع ، أو لتطورات تكنولوجية جديدة ، أو أن من شأنها أن تغير مسار تطورات الأحداث ، وهو الأمر الذي كان يبدو محتبا قبل وقوعها . والواقع أن الهجوم الإسرائيلي على المفاعل النووي العراقي الذي يقع شرقي جنوب بغداد وتدميره بعد ظهر يوم ٧ يونيو ١٩٨١ يعد واحدا من هذه الأحداث .

ذلك انه لأول مرة في التاريخ الحديث يقع هجوم وقائي ناجح على منشأة نووية . وهو لم يكن بالهجوم الاول من نوعه على مفاعل نووي فحسب (بالرغم من أن المفاعل لم يكن قد جرى تشغيله تشغيلا كاملا) بل كان المحاولة الأولى من نوعها التي استخدمت فيها القوة لارجاء الفعالية ومنع الانتشار المحتمل ، لاسلحة نووية .

وقد جرت مناقشة احتمال شن مثل هذه الهجمات النووية الوقائية قبل ذلك في بلاد أخرى . ففي أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات ، بحثت الولايات المتحدة ، مثلا ، خططا عديدة للهجوم وتدمير قدرة الاتحاد السوفيتي على أن يصبح قوة نووية وذلك قبل أن يترجم العلماء السوفيت ما لديهم من معرفة محتملة الى قوة نووية لامثيل لها وعندئذ يكون الوقت متأخرا لتدميرها . غير أن بالنسبة للبعض ، كان مجرد تأمل مثل هذه الأفكار أمرا لا يمكن التفكير فيه ، أما بالنسبة لمعظم صانعي القرار فإن ما ينطوي عليه مثل هذا الهجوم الوقائي على برنامج الاتحاد السوفيتي الخاص بالاسلحة النووية التي لم تكن قد تطورت بعد كان ينظر اليه باعتباره أمرا يثير الفزع للغاية وتكتنف الشكوك انتهاجه . ومن ثم ، نجد أن الاتحاد السوفيتي قد أصبح قوة نووية مساوية للولايات المتحدة ، وغدا ميزان الرعب النووي احدى حقائق الحياة ، مما غير مسار التاريخ على نحو لا يمكن اعادته الى ما كان عليه من قبل .

ومن المثير للسخرية ، ان التاريخ قد أعاد نفسه على نحو مماثل في منتصف وأواخر الستينات ، وذلك عندما بحث الاتحاد السوفيتي نفسه

احتمال شن غارة نووية وقائية على برنامج جمهورية الصين الشعبية الخاص بأبحاث الأسلحة النووية غير أنه أطلع من ذلك . بل ان الاتحاد السوفيتي قد وصل في ذلك الى حد توجيه تطيحات الى الولايات المتحدة بشأن شن مثل هذا الهجوم الوقائي - سواء كان ذلك بقصد الحصول على تأكيد ضمني من جانب الولايات المتحدة او للتعرف ببساطة على كيفية استجابة ورد فعل امريكا تجاه ذلك . وقد امرت الدبلوماسيون الأمريكيون على الفور عن اعتراضهم على مثل هذه الغارة الوقائية . وعلى حين لا تعرف سوى القليل مما دار من مناقشات بعد ذلك بين زعماء الكرملين ، نجد أننا نعرف تماما ان الاتحاد السوفيتي قد قرر عدم شن هجوم وقائي ، وان الصينيين قد حثتوا وحيروا برنابجا واسع النطاق للتصليح النووي ومما لا شك فيه ان كلا من باكستان والهند قد بحثتا كذلك احتمال شن هجوم وقائي على مراكز البحث النووي لكل منهما ليحمر البعض قذرة البعض الآخر على تطوير أسلحة نووية .

وفي ضوء هذه الأحداث السابقة ، نجد الهجوم الاسرائيلي (الدرامي) ، وما ينطوي عليه من معنى تاريخي ، يكتسب منظورا أكثر حدة . ومع ذلك تختلف ملامست وخلفية الهجوم الاسرائيلي اختلافا كبيرا عن الحالات سالمة الذكر .

ذلك ان العراق ، التي تقع على بعد ٣٥٠ ميلا تقريبا من اسرائيل ، قد لعبت دورا اساسيا في الحروب العربية الثلاثة ضد اسرائيل ، فقد اشتركت في كل من غزو الجامعة العربية لفلسطين عام ١٩٤٨ ، وفي حرب ١٩٦٧ . وخلال عام ١٩٧٣ :رسلت قواتها للقتال الى جانب السوريين والاردنيين في الجبهة الشرقية . ومن ثم ، وعلى عكس اية دولة عربية اخرى ممن تشترك اشتراكا مباشرا في الحرب ضد اسرائيل ، نجد ان العراقيين قد رفضوا باستمرار وعناد حتى مجرد ابرام اتفاق وقف اطلاق النار ، او عقد هدنة مع اسرائيل ذلك انه في نهاية كل نزاع من نزاعاتهم ، كان العراقيون يسحبون ببساطة قواتهم الى داخل اراضيهم ، ثم تظهر هذه القوات مرة اخرى حيثما تطلتع حرب جديدة . ولذا تمد العراق من الناحية العملية والقانونية الدولة العربية الوحيدة التي تعتبر في حالة حرب دائمة مع اسرائيل .

كما ان الاسرائيليين كانوا يخشون من ان العراق - التي تتصرف فيما يبدو على نحو غير عقلاني ويتسم بالتهور - قد تمطي قنبلة نووية الى احدى الجماعات الارهابية التي ربما تستخدمها بدورها في ابتزاز اسرائيل او اية دولة عربية اخرى بقصد ممارسة الضغوط على اسرائيل . والواقع ان العراق لم تكن في حالة حرب دائمة مع اسرائيل فحسب بل انها كانت تقدم علانية المساعدة لبعض الجماعات العربية الارهابية المتطرفة للغاية من

ال فلسطينيين وغيرهم . ولما كان الأمر كذلك ، فإن الولايات المتحدة قد أعلنت ان العراق بلد ينتهك القانون الدولي ودولة تساعد الإرهاب . ومن ثم قررت مرض حظر على تزويد العراق بأية أسلحة أمريكية ، وفي ذلك بيع طائرات من طراز بوينج ٧٤٧ .

ويشتهر النظام العراقي - وخاصة منذ الانقلاب العسكري الذي أطاح خلاله عبد الكريم قاسم بالملكية العراقية - بالتطرف في العدوانية وعدم التمثل وقد زادت شهرة العراق في هذا الصدد تحت زعامة الرئيس صدام حسين في أواخر السبعينيات . فقد دخلت العراق في صراعات عديدة لا مع إسرائيل فحسب بل مع حكم البعث السوري كذلك وواصلت حربها العدوانية ضد الأقلية الكردية ، وأخيراً وفي خريف ١٩٨٠ شنت هجوماً مباشراً على إيران ، وما يدعو إلى الغرابة أن مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة لم يسن هذا الهجوم ادانة مباشرة .

وهكذا ، كانت الحكومة الإسرائيلية تجد أن لها من وجهة نظرها ، واستناداً إلى تصرف العراق في الشؤون الخارجية - حقاً شرعياً في أن تخشى من تعجيل الحكومة العراقية بتنفيذ برنامجها النووي . ذلك أن هذا البرنامج يعد تهديداً مباشراً لا لإسرائيل فحسب ، بل للبلاد الأخرى المجاورة كذلك مثل إيران التي تشتبك معها العراق في حرب حول شط العرب وإقليم كردستان (عربستان) ، وسوريا التي تشتبك معها في نزاع عقدي فضلاً عن المسألة الأكثر تعقيداً وهي مستقبل المشاركة في مياه نهري دجلة والفرات . وقد شعرت الكويت بتهديد العراق لها أكثر من مرة . ولم ينقذها في الواقع من غزو العراق لها في أوائل الستينيات سوى البريطانيين . كما كانت السعودية تشعر بخوف واضح من القوة العراقية وتوسمها في اتجاه الشمال ومن التهديد العراقي بالتدخل في شؤونها الداخلية وكانت محر شعراً يتوجس وقلق من اشتراك الزعامة العراقية في الحملة ضد اتفاقات كامب ديفيد ؛ ومن تطلع العراق إلى أن تصبح قوة مهيمنة في العالم العربي - وهو تطلع كان من المؤكد أن يعززه أن تصبح العراق أول بلد عربي يمتلك أسلحة نووية .

كما أن مصالح الدول الكبرى ربما كانت مهددة على نحو غير مباشر من جراء الخط المائل في الشرق الأوسط ، مما يهدد كذلك الاستقرار العالمي . وكانت الدول العظمى تخشى دائماً من جرورها إلى مواجهة نووية وحربية ، من جراء سوء التقدير ، أو تصعيد مفاجئ لمواجهة نووية بين الدول الصغرى . ومن ثم ، باتت كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي تعارضان بوضوح الانتشار النووي ، ويتصرفان حتى الآن على نحو يتسم بالمسؤولية في جهودهما المبدولة لمنع الانتشار النووي .

ومع ذلك ، لم يكن هذا هو الحال بالنسبة للفرنسيين والاطالين
اذ ان كلا البلدين كانا تواقا الى زيادة حجم تعاملها مع العراق (وقد عرفت
كلاما منعت اسلحة ضخمة جدا مع العراق) والى ضمان امدادات منظمة
من البترول للعراقى باسعر ملائمة (وهو جهد بدده نشوب الحرب العراقية
الارهابية) . غير انه على نحو او آخر نجد الحكومة الفرنسية وحاجتها
الحكومة الاشتراكية بزعامة برانسونو جيران التي انتضبت حديثا - كان
لديها سبب مقبول لان تشعر بالذنب وان تجد مبررا مقنونا للتراجع عن دعم
المشروع النووى العراقى قبل نوات الأوان .

والواقع ان الايرانيين انفسهم ، حاولوا بالطبع تصف المفاعل النووى
العراقى يوم ٣٠ سبتمبر ١٩٨٠ وقد اصلوا فيما يبدو المفاعل ، بيد ان
الاصابة كانت سطحية غير ان الهجوم الايرانى هذا لم يثر هذا القدر الضخم
من الاهتمام الذى اثره الهجوم الاسرائيلى ، كما لم يتعرض لمثل هذا النقد
الخيث الذى تعرض له الهجوم الاسرائيلى ومن الاهمية بمكان ان نتفكر -
مع ذلك - ان الايرانيين انفسهم ، رغم اخفاقتهم قد وضعوا سابقة بالهجوم
على مفاعل نووى غير انه لم يوجه اليهم اى لوم (ويمرئى هذا الى التفات
والمعلية المزوجة للرأى العالمى) نظرا لانهم لم يعترفوا رسميا
بذلك ، ولان العراق هى التى بدأت بشن الحرب عليهم ، ولكنهم فى حالة
حرب معها - وذلك مماثل تماما للحال مع اسرائيل من وجهة نظر
المتشورن الدولى .

ولذلك نجد ان الاسرائيليين فى ضوء مخاوفهم وتجربتهم مع
العراق - وضعوا فى اعتبارهم حروبهم العديدة مع العالم العربى ، ممثلين
فى اذهانهم تجربة المذبحة الجماعية ، وقرروا تدمير المفاعل النووى العراقى
الذى كان مما لا شك فيه يستهدف - كما سنبين - انتاج اسلحة نووية .

كما مستحدثت عن الأسباب الاقل ذيوها والتي كانت وراء هذه الغارة
التي لم تكن قرارا اتخذ بين ليلة وضحاها ، وكذا الجهود النووية
الاسرائيلية التى بدأت فى اواخر الخمسينيات والتي كانت تعد وسيلة لحمايه
الدولة اليهودية ولتغيير المواقف العربية تجاه اسرائيل . كما درسنا المواقف
المختلفة العديدة للدول العربية ازاء المشروع النووى الاسرائيلى ، ووضعنا
بالتفصيل مشروع تروى العراقى الذى كان يستهدف اعطاء العراق خيارا
نوويا - بمساعدة الفرنسيين والاطالين خلال الثمانينيات .

ان منحيم بيجين رئيس وزراء اسرائيل المعقد والمثير للجدل ، يعد
شخصية غير عادية فى السياسة العالمية فى الوقت الحاضر . وقد قام بتدور

حاسم في القرار الخاص بتنفيذ « عملية بابل » كما عرفت بذلك الفارة . وقد قال بيجين : هذه ستكون عنتيبي الخاصة بي . وبينما وقعت الفارة في منتصف الحملة الانتخابية الاسرائيلية وحسنت الى حد كبير من شعبية بيجين بالنسبة لاستطلاعات الرأي العام السابقة على الانتخابات وجدنا اصواتنا عتيده ارتفعت داخل اسرائيل وخارجها تمارض الفارة في حد ذاتها ، وتعارض توقيتها كذلك .

ولن نتناول محاسب القرار والتوقيت وشبه الاجماع بين زعماء اسرائيل السياسيين والعسكريين هل ان لهذا الهجوم ما يبرره ، واننا سنحل كذلك باعتباره الخوف المرضي ، الاسرائيلي الزمن - وهو الخوف من محرقة او مخنقة جماعية اخرى - وذلك من خلال بيجين نفسه ، خلال شبابه كيهودي كان يعيش في بولندا حيث كان اليهود لا يتعرضون للتهديد من جانب المانيا النازية فقط ، وانما من موجة المعاداة للسامية بين شعبهم ذاته .

وفي اعتقادنا ان بيجين كان يخشى حقيقة من انه اذا لم يكن قد اسر بهذه الفارة وخسر انتخابات ١٩٨١ ، فان شيون بيريز زعيم المعارضة الصائبة لن يجرؤ على اتخاذ قرار بوقف مشروع تومز وكان بيجين يرى مثله في ذلك مثل كثيرين آخرين احتمال وقوع محرقة جماعية اخرى ، ليس بالنسبة ليهود الشتات في اوربا هذه المرة ، وانما بالنسبة لدولة اسرائيل . وسوف نتناول كذلك الدور السياسي والشخصي لبيريز ، وكذا دور شخصيه رئيسية اخرى في التاريخ العسكري والسياسي الاسرائيلي خلال ما يربو على العقدين الماضيين وهي شخصية الجنرال البارع والرجل القوي الوحيد في حكومة بيجين الا وهو اريل شارون ويشغل شارون الآن منصب وزير الدفاع ، بيد انه وقت الفارة كان يشغل منصب وزير الزراعة ، وكان احد كبار المستشارين العسكريين لبيجين ، وكان يدعو باستمرار لشن غاره وقتانية على المفاعل النووي العراقي . ونحن نتكهن بأنه من المؤكد ان يصبح شارون الشخصية القيادية في السياسة الاسرائيلية خلال الثمانينات .

بيد ان جوهر القصة هو الفارة ذاتها . ولذلك سنكتشف عن تفاصيل حول عملية بابل ، ونحلل المشكلات العسكرية التي واجهت رئيس الأركان الاسرائيلي بشأنها ، ونشرع لماذا جرى اختيار شن هجوم جوى عنى المفاعل النووي العراقي لقد استغرق الاعداد للفارة شهورا من التخطيط ، وسوف نورد تفاصيل تصف المفاعل ولماذا وكيف تمكن الفريق الاسرائيلي من الاملات من ان يعترضهم معترض ، سواء خلال طيرانهم الى العراق او خلال رحلة هبوطهم .

كما حللنا ردود الفعل تجاه الفارة ، لا داخل اسرائيل ومنطقة الشرق الأوسط عامة فقط ، بل في أنحاء العالم ومن ذلك ردود الفعل الانتقاليه التي

تتسم بالنفاق - كما نرى - والتي بدت من خلال أجهزة الإسلام وحكومى
فرنسا وامريكا ومنذ مناقشة نائير الضارة على ميزان القوى في الشرق
الأوسط ، سوف نبحت اثرها المحتمل على الانتشار النووي في العالم ،
ونتكهن بمستقبل الاسلحة النووية في الشرق الأوسط .

والمواقع ان التاريخ قد انعطف انعطافا حادا - ولايزال من الصعب
التحدث من مسار واتجاه هذا الانعطاف . ولعل افضل وجه للمقارنة في
هذا الصدد ان نتساءل عما كان يمكن ان يحدث لو ان المخابرات الفرنسيه
او البريطانيه قد دبرت عملية افتعال ناجحة لادولف هتلر عام ١٩٣٨
او عام ١٩٣٩ . مما لا شك فيه ، ان الكثيرين من الليبراليين كانوا سيحتجون
بشدة بدهوى ان مثل هذا العمل يتنافى مع قواعد اللعبة والسلوك الفزيه بين
الدول المتحضرة . ولكن لو ان عملية الاثتعال هذه كانت قد نفذت ، فربما
حال ذلك دون اندلاع الحرب العالميه الثانيه ، وربما تم تجنب المعاناة التي
تعرض لها ملايين من البشر .

ومع ذلك ، فكيف يتسنى لاي شخص في الوقت الحاضر ان يبرهن على
ان حياة ملايين الأشخاص قد جرى انقاذها عن طريق حرب لم تتدلع ؟ فبالرغم
من كل شيء نجد ان الطبيعة القظة والاجرامية للحرب العالميه الثانيه كان لامثيل
لها من قبل في التاريخ الحديث (كما لم يكن من الممكن التكهّن بها) . ذلك انه
من المتعذر بالطبع اثبات حتمية شيء لم يحدث .

وفينا يتعلق بالهجوم الاسرائيلى على برنامج الاسلحة النوويه
المراقية . فان القرار قد اتخذ بشأن الهجوم ، والعملية كالت بالنجاح ،
ولكننا لا يمكن ان نصف ماذا كان سيحدث اذا لم يكن الاسرائيليون قد اتخذوا
قرارهم هذا ، وكيف كان يمكن ان يتحول تاريخ الشرق الأوسط والفراع
العربى الاسرائيلى بل والعالم بأسره .

تقديم

في الساعة الثالثة بتوقيت جرينتش ، وبعد ظهر يوم ٧ يونيو ١٩٨١ الذى كان يبدو يوما عاديا يتسم بالخمول ، التقطت اجهزة الاستشمار فوق الصحراء الحساسة للغاية المزود بها قبر التجسس الأمريكى في مداره فوق الشرق الأوسط اشارة غير عادية جاءت من فوق الرمال الساخنة بالصحراء العربية وعلى الفور اصدرت هذه الاجهزة اوامرها لعدسات الكومبيوتر التلسكوبية بالقمر الصناعى ان تركز على مصادر حرارية بست عشرة طائرة تحرك بسرعة ، وتطير في مجموعتين على ارتفاع اقدام قليلة من سطح الصحراء - والواقع ان اجهزة الاستشمار الحساسة بالقمر الصناعى قد صممت لتجيب تلقائيا لاي عدد من مثل هذه المصادر الحرارية التى تتحرك في الجو . وكان هذا القبر الصناعى من بين الاقمار التى صممت لتكتشف وتحذر من اى هجوم محتمل من الجو ضد اى هدف في المنطقة .

وقد تمكنت العدسات التلسكوبية على الفور من التمييز والتعرف على الاشغال الكلاسيكية لا التحركة في الجو للست عشرة طائرة من (طراز اف - ١٦ واف - ١٥) وهى تطير في تشكيلين فوق الصحراء . وبعدها استوعبت العدسات تباهما هذا المشهد من مشاهد حرب الكواكب جرى بثه على الفور على الشاشات التليفزيونية الموجودة بمقر قيادة المخابرات الاميركية . لقد كانت الطائرات الست عشرة المتطورة للغاية تخفى نفسها بألوان الصحراء الصفراء ، وتطير على ارتفاع منخفض عبر الصحراء العربية . وكانت تقودها ، فيها يبدو طائرة من طراز اف - ١٥ ، وكانت مجموعة منظمة ومنضبطة انضباطا عاليا وفي مهمة لم تعرف بعد . وقد استمرت في تقدمها الغامض في اتجاه الشرق . وبينما كانت مجموعتا الطائرات تواصلان تقدمهما ، جرت ملاحظة حقيقية غريبة أخرى - فقد استمرت في طيرانها في ظل صمت (لاسلكى) كامل فلم يدر بينها اى اتصال بالراديو ، وهو امر غير مالوف بالنسبة لاي مهمة تدريبية .

وكان الستة عشر طيارا يجلسون مائلين بزاوية قدرها ٣٠ درجة مئوية في كباينهم المكيفة الهواء (والتي صممت لتجنب تعقيم الرؤية عن السرعة العالمية) وهم ينظرون مباشرة الى الامام من خلال الغطاء الشفاف ويفحصون الارض التى يرونها أسفلهم ، وكانوا يطيرون بسرعة هائلة كما لو كانوا قد وقعوا في شرك السرعة .

وكانت الرمال والصحور الصفراء اللامعة الموجودة اسفلهم تومض في عيونهم في مقابل السماء الزرقاء الرتيبة الخالية من السحب ولم تكن ايه شجرة او اى مظهر آخر من مظاهر الحياة موجودا ، وحتى يتجنب الطيارون

الوقوع تحت تأثير الشهور بانهم منومون مغناطيسيا من جراء الرؤية غير
المضاهية للسما الصائبة والرمال الصفراء في الأفق البعيد - كانوا ينظرون
الى لوحة الآلات المثبتة امامهم داخل الطائرة .

وعلى الرغم من تكييف الهواء ، كان الطيارون يعرفون بفزارة وكان
كل منهم يركز على لوحة الآلات المثبتة امامه : شاشات الرادار ،
ومؤشرات أوضاع الأفق ، واجهزة الملاحة الجوية ، ومؤشرات الارتفاع ،
والآلات الحاسبة (الكومبيوترات) المعقدة والاجهزة المضادة للاندكرونيات .
وكن كل منهم يرقب عن كتب ظهور أية اضواء صفراء تحذيرية . فقد كانوا
يدركون ان حياتهم تعتمد على مهاراتهم كطيارين ، وعلى امكانية اعتمادهم
على مجموعة الآلات المعقدة ، وعلى الوقود والأسلاك الكهربائية ونظم
الاسلحة وكل مؤشر موجود في اللوحة المثبتة امامهم ذلك ان أى خطأ انساني
او عطل يصيب احدى الآلات من الممكن ان يعنى الموت الاكيد . ففى ضوء
الارتفاع والسرعة التى يطرون بها مع ما تقله طائراتهم من كميات ضخمة
من الوقود والقنابل - قد يكون أى خطأ خطاهم الآخر اذ يؤدي هذا
الخطأ الى اختفائهم والى ان تبطنهم الصحراء الحارقة .

وبعد ساعة ونصف ساعة من الطيران ، غير قائدهم مسار طائرته
الى الاتجاه ، الشمالى الشرقى . وكثريق مدرب تدريبا عاليا اتجهوا
بطائراتهم المحملة بقدر ضخم من القنابل وراءه . وبينما استمروا فى تقدمهم
الى الشمال ، كانت الضوضاء الفظيعة لمحركات طائراتهم قد امتدت اميالا
هبر الصحراء غير انه لم يكن فى الصحراء أى انسان - اوحى حيوان
يُسمع هذه الضوضاء .

وفى الساعة ٢ر٢٨ بتوقيت جرينتش اتجه قائدهم بطائرته الى اعلى ،
وتبعته ٧ طائرات اخرى ، اختفت معه بين السحب .

اما الثمانى الطائرات الأخرى فقد استمرت فى طيرانها وزادت من سرعتها
لدرجيا . وفى الساعة ٢ر٢٥ بتوقيت جرينتش اقتفوا اثر نهر فضى يلعب فى
الأفق ، وارضى صغيرة خضراء وحقول مهجورة ومهلمة ، ثم نجاة ظهر هيكل
صناعى ضخم . وعند مركزه كان فى وسعهم ان ينتشروا على شكل قبة وقد
بدا لوهلة كما لو كان الهيكل الصناعى يطير فى اتجاههم وعقدت كسرت
مجموعة الطائرات التشكيل واتجهت نحوه . وتبعته الطائرات الأخرى
الواحدة تلو الأخرى الى ان شكلوا مرة اخرى خطا مستقيما : سبها
بحوبا فى قلب القبة .

وعندما انقضوا عليه ، وظهرت فوق القيمة المنفعة الاولى من النيران
والخطام والنخان لم يستطع قائدهم - الذى كان آخر من قصف - ان
يبعد خطرا طاف بذهنه وهو ان هذا الهجوم الذى لا مثيل له من قبل قد
يغير تاريخ الشرق الاوسط والعالم ومع ذلك وكما يعرف جيدا كان ذلك
المطلقة الاخيرة فقط في سلسلة الاحداث التى بدأت منذ ربع قرن مضى تقريبا .

**الجزء الاول
الدعوة الى التسليح
والسباق التـووي**

كان ديفيد بن جورويون يذرع مكتبه بمصيبة مثل أسد حبيس ويحملق في خريطة كبيرة للشرق الاوسط على الحائط ، ثم اتجه مرة اخرى الى مساعديه المقربين ويتذكر اسحق نانون رئيس دولة اسرائيل الحالى - هذه اللحظة جيدا .

وتنهد بن جورويون وهو يقول « لم أستطع أن انام طوال الليل . ما هي اسرائيل ؟ » انها نقطة صغيرة فقط : نقطة واحدة : كيف يمكنها أن تعيش في هذا العالم العربي ؟ ان المحارب القديم ذا الشعر الابيض الذى يشغل منصب رئيس الوزراء وكذا وزير الدفاع طوال الفترة منذ مولد اسرائيل فى أعقاب حرب ١٩٤٨ قد أصبح ملما الماما كبيرا بالامن القومى لبلده . وعلى الرغم من انه ليس خبيراً عسكرياً محترفاً كانت لديه أفكار محددة بشأن الاستراتيجية الطويلة المدى التى ينبغى على اسرائيل تنفيذها .

فقد كان يرى أن مصير اسرائيل على المدى الطويل قد يكون نفس مصير المملكة الصليبية التى اقيمت فى الأرض المقدسة ، والتى اخذت فى اواخر القرن الثالث عشر . ومن المؤكد أن الظروف ليست متماثلة ، غير أن الدروس التى تعلمها الصليبيون كانت ولا تزال تشغل تفكيره - وخاصة فى ضوء وجود عدوه فى العالم العربى ، جمال عبد الناصر .

فقد كان الرئيس المصرى يحب من حين الى آخر أن يقارن اسرائيل بالمملكة الصليبية ، ويشبه نفسه بصلاح الدين المحارب المسلم الذى قضى فى النهاية على الوجود المسيحى فى الشرق العربى . وكان ناصر يذكر شعبه بأن العرب قد وهبهم الله نعمة الصبر الذى لا ينفد . لقد انتظروا ٢٠٠ عام حتى قضوا على معقل الصليبيين فى العالم الاسلامى واذا ما حسبوا خطواتهم حساباً صحيحاً ، فان فى وسعهم أن يخرجوا اليهود من المنطقة فى مده اقل وكان بن جورويون يخشى من انه يوجد ما هو اكثر من ظل الحقيقه فى كلام الرئيس المصرى هذا . فكيف كان يمكنه (أى يمكن بن جورويون) اصابة هذا التهديد الدائم لوجود دولة اسرائيل بالشلل ؟

كان بن جورويون واقعياً : فبعد أن حاول من خلال العديد من القنوات اجراء حوار مع زعماء العالم العربى ، اقنعتته التجربة أنهم ليسوا مستعدين بعد لأن يطرأ تغير اساسى فى مواقفهم تجاه الدولة اليهودية ، وكان يعرف الشخصية العربية ، كما يعرف انه طالما أن العرب مقتنعون بأن فى امكانهم « أن يلتقوا باسرائيل فى البحر » فانهم لن يقبلوا وجود دولة اسرائيل ككيان حى قائم بين بلاد الشرق الاوسط .

وكان احد البدائل للتوصل لاقرار السلام الذى من شأنه ان يجعل اسرائيل آمنة من عداء لعلم العرب ، هو ابرام حلف عسكري بين اسرائيل وبين دولة كبرى او اكثر من دولة ومع ذلك ، لم تكن الولايات المتحدة وبريطانيا مستعدتين فى ذلك الوقت لبحث مجرد اقامة علاقات عسكرية غير رسمية مع اسرائيل - ناهيك عن ابرام تحالف عسكري كامل معها . وكان سبب ذلك يرجع الى رغبتهما فى انشاء ما يسمى بالحلف الشمالى (الذى عرف باسم حلف بغداد) الذى ابرم فى ٢٤ فبراير ١٩٥٥ . وهو ائتلاف من دول اسلامية (تركيا والعراق وايران وباكستان) وبريطانيا العظمى والذى كان من المفترض ان يتصدى لاحتواء الاندفاع السوفيتى فى اتجاه الشرق الاوسط للخليج الفارسى وكانت هذه المعاهدة مع هذا العدد من الدول الاسلامية الهادية لاسرائيل تستبعد امكانية اقامة علاقات عسكرية معها .

وكان الاتحاد السوفيتى يعد حليفا محتملا ، وذلك باعتباره من الدول الاولى التى اعترفت باسرائيل - الدولة الجديدة - عقب اعلان الاستقلال يوم ١٤ مايو ١٩٤٨ ، وباعتباره مورد الاسلحة عن طريق تشيكوسلوفاكيا للجيش الاسرائيل الذى كان يقاتل من اجل وجوده ورغم ذلك ، وعقب انسحاب البريطانيين من فلسطين وعند نهاية حرب الاستقلال ، اجرى الاتحاد السوفيتى - فى ظل زعامة ستالين - اجرى تحولا جذريا فى سياسته تجاه الشرق الاوسط ، ولم يعد ينظر الى اسرائيل على انها تادرة على دعم المصالح السوفيتية فى المنطقة . لقد تحول الآن الاتحاد السوفيتى الى جئلب العرب .

وفى سبتمبر ١٩٥٥ . اعلن ناصر امام الملا عن ابرام صفقة اسلحه تشكيلية (اى روسية) مصرية . وقد اصبحت اسرائيل بصدمة من جراء ذلك فقد كانت الصفقة تتضمن من بين اسلحة اخرى ٢٠٠ مقاتلة قاذفة حديثة ، و ٢٣٠ دبابة و ٢٠٠ حاملة جنود وحوالى ٦٠٠ قطعة مدفعية . ولقد كان هنا يعنى فى ذلك الوقت زيادة كمية ونوعية لا مثيل لها من قبل فى مستوى التسلح فى الشرق الاوسط . ففى ضربة واحدة انهار توازن القوى الاقليمى .

وعند هذه النقطة الحرجة فى تاريخ اسرائيل ، كانت فرنسا هي الامل الوحيد فلقد اسهمت الحرب فى الجزائر والمساعدة التى يقدمها ناصر لجبهة التحرير الجزائرية والتعاطف الطبيعى تجاه نضال اسرائيل البطولى والمنفرد من جانب المقاومة الفرنسية وازمة السويس - اسهم كل هذا فى تنمية علاقات وثيقة بين اسرائيل وفرنسا . فلقد كانت فرنسا هي التى زودت اسرائيل سرا بالاسلحة الضرورية لهزيمة الجيش المصرى فى حملتها الخاطفة فى سيناء فى اكتوبر ١٩٥٦ . فضلا عن ذلك ، كانت فرنسا تؤيد باستمرار

اسرائيل في الساحة الدبلوماسية الدولية ، وكذا تساندا اقتصاديا ورعم ذلك وفي اعقاب انسحاب فرنسا من الهند الصينية وقناة السويس ، اصبح واضحا انها قد أصبحت قوة من الدرجة الثانية فقط . وقبل ذلك بشهور قلائل حصص ، وخلال احتدام حملة السويس ، ارسل بولجانين رئيس الوزراء السوفيتي رسائل لرئيس وزراء بريطانيا وفرنسا اوهمهما فيها بحرب نووية .

ولقد اظهرت ضغوط التهديدات الامريكية والسوفيتية التي مورست في آن واحد على كل من البريطانيين والفرنسيين ، والتي ارغمتها على وقف عليه السويس ، انحصرت اهمية هذين البلدين بالنسبة للدول العظمى ولم يغب ذلك عن رئيس الوزراء بن جوربون الذي تلقى رسالة شخصية من رئيس الوزراء السوفيتي كانت تحتوى - ضمن تهديدات اخرى - الآتى :

• ان الحكومة الاسرائيلية التي تنفذ ارادة الآخرين وتتصرف بناء على تعليمات تتلقاها من الخارج ، تتصرف - على نحو اجرامى وغير مسئول - بمصير السلام ومصير شعبها نفسه . انها تبذر بذلك الكراهية لدولة اسرائيل بين شعوب الشرق ، الامر الذى من شأنه ان يؤثر على مستقبل اسرائيل والذى يضع وجود اسرائيل كدولة ، موضع المخاطرة (٥ نوفمبر ١٩٥٦) .

وكان بن جوربون يعلم جيدا ان التهديد السوفيتي لا يعدو كونه خدمة . ورغم ذلك وبعد مضى عام ، كان بن جوربون لايزال يشعر بالرجفة عند التفكير في خطاب بولجانين وحتى بعد انتصار اسرائيل في حملة سيناء - وهى هزيمة اكبر جيش عربى خلال اقل من عقد - لم تتلاش عداوة العرب لاسرائيل .

وقد كان بن جوربون مقتنعا بانه فى ظل غياب تغير حاسم فى الصراع العربى الاسرائيلى ، لمن ستستمر هذه الكراهية لسنوات قادمة . ان ايا من الدول الكبرى لا يمكنها ان تضمن امن اسرائيل فى المدى الطويل ومن ثم كان بن جوربون يرى ضرورة ان تتحرك اسرائيل تحركا مستقلا بدرجة ما ، وصولا الى ضمان وجودها دون عون خارجى .

وقد اقترح هذا الحل اثنان من اقرب مساعدى بن جوربون فى شئون الامن وهما : الجنرال موسى ديان رئيس اركان جيش الدفاع الاسرائيلى . وشيمون بيريز نائب بن جوربون المقرب منه فقد اقترح هذان المستشاران الكبيران للامن القومى ان تبني اسرائيل مفاعلا نوويا مستقلا ، وذلك لتعويض امكانية تعرضها للاصابة الاقليمية ولتقص القوى المحاربة ، واطرحا ان شأن هذا اتاحة مجال اوسع للمناورة الدبلوماسية فى العالم العربى وبين الدول الكبرى . ولقد بلغ هذا القرار الكبير من الحساسية درجة ان بن جوربون

أبقاه في طي الكتمان ، ولم يطلع عليه معظم أعضاء مجلس وزرائه غير أنه كان قرارا لا رجعة فيه . وطالما أنه لا توجد أي وسيلة أخرى مضمولة لضمان وجود إسرائيل وأمنها فإن إسرائيل ستتجه إلى فرنسا - حليفها الوثيقة الوحيدة - طلبا للمساعدة في تنمية مركز أبحاث نووي إسرائيلي .

وفي أوائل أكتوبر ١٩٥٧ ، وألقت الحكومة الفرنسية على مساعدة إسرائيل في ارساء أساس المعرفة والقدرة النووية ، التي اعتبرها بين جوربون بمثابة الضمان النهائي لوجود إسرائيل في المدى الطويل . وقد أبلغ شيمون بيريز الذي كان مسئولاً عن المفاوضات السرية بين إسرائيل وفرنسا بين جوربون أنه قد توصل إلى اتفاق .

وعندئذ بدأ السباق النووي في الشرق الأوسط .

مولد المناقشة النووية في اسرائيل

في ١٦ ديسمبر ١٩٦٠ نشرت صحيفة « الدليل اكسبريس » عناوين مثيرة تعلن أن اسرائيل تضطلع بعملية تطوير أسلحة نووية . وكان تقرير الصحيفة يستند الى مصادر المخابرات الامريكية والبريطانية ، ويناقش القلق الضخم الذي يسود الغرب من جراء احتمال تطوير أسلحة نووية في اسرائيل ثم نشرت صحيفة « واشنطن بوست » بعد ذلك بيومين ، ان التقديرات الرسمية في واشنطن (اى وكالة المخابرات المركزية الامريكية) ترى انه سيكون في وسع اسرائيل انتاج أسلحة نووية في غضون السنوات الخمس القادمة . وذكرت صحيفة « النيويورك تايمز » في نفس اليوم ان الجهود النووية الاسرائيلية تبذل بالتعاون مع فرنسا .

وقد سبب كشف هذه الانباء قلقا عميقا لبن جوريون . فلقد ضاعت لدى الجهود التي بذلها لابقاء ستار من المرية على مشروع الابحاث النووية . ذلك أنه في الفترة من أكتوبر ١٩٥٧ الى ديسمبر ١٩٦٠ اشترك مئات المهندسين والفنيين الاسرائيليين في بناء مركز الابحاث النووية الاسرائيلية في ديمونا .

غير ان تغيير الحكومة في فرنسا - واقامة الجمهورية الفرنسية الخامسة برئاسة ديغول - قد تخض عن وقوع ازمة مؤقتة في العلاقة الخاصة بين فرنسا واسرائيل . ففي ١٤ مايو ١٩٦٠ استقدمى كوف دي مورفيل وزير خارجية فرنسا السفير الاسرائيلي والتر ايتان وابلغه ان فرنسا لن تزود اسرائيل باليورانيوم اللازم للابحاث النووية والذي كانت الحكومة الفرنسية السابقة قد وعدت بتزويد اسرائيل به . وفضلا عن ذلك ، رأى كوف دي مورفيل انه يتعين على اسرائيل ان تطن على الملا عن وجود مركز ابحاثها النووية . وكان من الممكن الافتراض بأن هذا التغير العميق قد اتخذه الرئيس ديغول الذي كان يريد انهاء العلاقة الخاصة بين الدولتين ، ويريد تحسين علاقات فرنسا مع العالم العربي .

ولهذا ، وصل بن جوريون - الذي كان هذا الامر ليس خيبة امل شخصية خطيرة بالنسبة له محسب ، وانها كان كذلك يخشى ان يتعرض امن اسرائيل للمساومة والقتل ، وصل بن جوريون الى باريس في ١٢ يونيو ١٩٦٠ للاجتماع مع الرئيس الفرنسي . وقد بدت هذه الزيارة الرسمية ناجحة للغاية ، باستثناء مشكلة التعاون النووي بين فرنسا واسرائيل غير انه تم التوصل الى حل وسط بين الزعيمين حول هذه المشكلة ، ويقضى

بن تعطى اسرائيل ضمانات بانها لا تعتمد انتاج اسلحة نووية ، وانها لن تنشئ مصنعاً خاصاً لإنتاج البولوتونيوم ، بينما ومدت فرنسا بامداد اسرائيل بما تبقى من الأجزاء اللازمة لاستكمال اقامة المفاعل النووي الاسرائيلي . هكذا اتفق على ان تعلن اسرائيل عن انشاء مركز نووى للاغراض السلمية في ديمونا .

غير انه كان من المفترض ان الفرنسيين لن يأخذوا تعهدات اسرائيل مأخذ أبجد بشأن هذا الموضوع الحساس للغاية ، ولذلك سربوا بعض المعلومات الخاصة بالمركز النووي الاسرائيلي في ديمونا للولايات المتحدة . ومع ذلك ، كانت المخابرات المركزية الأمريكية تعلم بالفعل ، فيما يبدو ، عن المشروع الاسرائيلي الجديد . وليس ادل على ذلك ، من أنه في مارس ١٩٥٨ ، وبعد اشهر قلائل من قرار باريس والقدس ، الخاص بالتصاوغ النووي فيما بينهما ، سجلت ثلاثات الرادار الاسرائيلي طائرة تطلق على ارتفاع كبير فوق النقب ، ومن المرجح انها كانت في مهمة استطلاعية . وقد انطلقت على الفور طائرتان اسرائيليتان من طراز ستر . ٤ لاعتراض هذه الطائرة المجهولة . وعندما فشل في اعتراضها ، اطلقت لأول مرة المناقلة المتقدمة للغاية وهي السوبر مستر ب - ١١ لاعتراضها . غير ان كانه الجهود الاسرائيلية ذهبت سدى . ولم يستطع الطيارون الاسرائيليون سوى التعرف على ان طائرة الاستطلاع هي الطائرة الأمريكية الشهيرة ي - ٢ وكانت محصلة ذلك بالنسبة لصانعي القرار الاسرائيلي هي ان المخابرات المركزية الأمريكية قد علمت بشأن المشروع السرى الجديد . ويبدو ان الفرنسيين ، قرروا بعد زيارة بن جوريون لباريس ان يضموها الضغوط الأمريكية الى جانب ضغوطهم ضد اسرائيل ، ولذلك تسربت انباء المفاعل للصحف .

واصبح بن جوريون مضطرا الى الاعتراف بان اسرائيل تبني مركزاً للأبحاث النووية في ديمونا . وفي ٢١ ديسمبر ١٩٦٠ أعلن في الكنيست ان اسرائيل تبني مفاعلاً نووياً في النقب بقصد المساهمة في تنمية المنطقة . وأشار الى ان قوة المفاعل ستكون ٢٤ ميغاوات وانه يهدف الى تدريب العلماء اللازمين للزراعة وتصنيع الدواء والصناعة والعلوم ، وذلك حتى يمكن لاسرائيل ان تصمم وتنتج مفاعلها النووي في غضون عشر سنوات او خمس عشرة سنة . وأكد على أن اسرائيل لا تعتمد انتاج اسلحة نووية . تغير ان هذا الاعلان لم يخفف ، فيما يبدو ، مخاوف المخابرات والحكومة الأمريكية تجاه النوايا الحقيقية لاسرائيل .

وفي ٣ يناير ١٩٦١ قدم السفير الأمريكي في اسرائيل لولندا ماثير وزيرة خارجية اسرائيل رسالة تضم مجموعة من المطالب الانذارية حثت فيها

اسرائيل على شرح خططها ونواياها تجاه البلوتونيوم الذى سينتجه المفاعل .
والموافقة على اجراء تفتيش على منشآتها النووية ، وان تعلن على نحو طامع انها
لن تنتج اية اسلحة نووية . وقد شعر بن جورويون باهانة بالغة من جراء
اللهجة الامرة التى تنطوى عليها الرسالة ، واجرى مناقشات مطولة مع
السفير الامريكى الجديد فى اسرائيل . واكد للسفير ان التعاون الفرنسى
الاسرائيل فى هذا المجال الدقيق سيكون على محرار التعاون القائم بين كندا
والهند ، او اى اتفاق بشأن تعاون نووى آخر من جانب واحد و اشار الى ان
البلوتونيوم الذى سينتجه المفاعل سيعاد الى البلد الذى زودنا باليورانيوم
المخصب . وفى الوقت نفسه ، أعرب بن جورويون عن اعتراضه على اخضاع
المفاعل الاسرائيلى للتفتيش الاجنبى وقال شارحا للسفير الشاب « اننا لا نول
اى اهتمام تجاه اية دولة معادية يريد ان تدخل فى شئوننا الداخلية ، غير انه
كان ، من ناحية اخرى ، مستعدا لان تقوم امريكا او اية دولة اخرى صديقة
بزيارة المنشآت النووية الاسرائيلية - على الا تجرى الزيارة فى المستقبل
القريب -- وانما بعد ان تخف حدة الاثارة الناجمة من جراء كشف انباء المشروع
النووى الاسرائيلى .

وقد احيا الضغط الامريكى المتصاعد ، المناقشات ، داخل اسرائيل .
حول امكانية الرغبة فى تحقيق استقلال نووى . وبدأ مجلس الوزراء وأعضاء
الاحزاب - الذين كانوا لا يزالون يجهلون البرنامج النووى الاسرائيلى -
فى التعبير عن آرائهم الخاصة بشأن هذا الموضوع وكان ان تعرض
بن جورويون للنقد من جانب خصومه داخل اسرائيل ، وكذا من جانب اصدقائه
واعدائه فى الخارج . فقد أعرب أعضاء الحزب الحاكم ماباى ، مثل اشكول
وجولدا مائير وسابير عن اعتراضهم على تطوير خيار نووى بالنسبة لاسرائيل
وكان اشكول وسابير وكلاهما خبير اقتصادى ، يخشيان من التكاليف الهائلة
لهذا المشروع اما جولدا مائير التى كانت لمسنوات عديدة عدوة لبيريز ، فقد
اقامت اعتراضها تجاه المشروع على اسباب شخصية اكثر منها موضوعية
او منطقية .

وهكذا ، وفى اوائل الستينيات انقسمت الصفوة السياسية فى اسرائيل
حول السياسات النووية الاسرائيلية وكان السؤال المطروح آنذاك هو : على
' شىء يمكن لاسرائيل ان تعتمد خلال العقد للتادم ، تعتمد على جيش
تقليدى قوى يستند اساسا الى الدبابات ، والطائرات التكتيكية ؟ او تعتمد
على استخدام التكنولوجيات المتوقعة خلال السبعينيات على نحو ما تثير
حماس اعضاء فى مجموعة الامن الاسرائيلى « الى ضرورة تنفيذ البرنامج
النووى .

وقد وجد ديان وبيريز انهما قد اصبحا ضمن الاكثية في هذه المناقشة
انشارة واستخدام ايجال لون القائد السابق « للبايخ » والذي يعد واحدا
من اكثر العقول العسكرية الاسرائيلية اصالة وفكاه ، ضد ديان وبيريز حججا
دامغة .

ويبدو ان بن جوريون ، الذي واجه هذه الضغوط الخارجية ، وكذا المشاكل
الداخلية الاخرى ، قد قرر التقاعد وترك المهمة لجيل اكثر شبابا . لقد كان
قرارا صعبا بالنسبة له . فقد ظل طوال سنوات عديدة يقود اسرائيل خلال
الازمات والعواصف السياسية مستخدما براعته السياسية في ذلك . وكان
هدفه دائما ان ترسو اسرائيل على شاطئ الامان غير انه مثل (النبي موسى
لم يصل ارض الميعاد . وعلى الرغم من ان السلام مع العرب كان باى حال
امرا منثودا . كان بن جوريون لا يزال يأمل في ان يكون الهيكل الاساسي
النوى الذى ارساه مع مساعديه ضحانا اكيدا ضد سعى العرب لتدمير
اسرائيل ، وانه بليجاد خيار نووى ، سوف ينشأ ميزان الرعب في الشرق
الاطوسط مما يؤدي الى اقرار السلام .

غير ان التطورات التى اعقبت ذلك وضمت حدا لهذه الامال .

٣ - كابوس ناصر

وحل السادات

اصبحت المسألة النووية بالنسبة لناصر في مصر ، وكذا بالنسبة لبن جوريون في اسرائيل (مثل أى عناصر أخرى في الواجهة العربية الاسرائيلية) مسألة حاسمة لقد كان طموح ناصر يستهدف تصفية الدولة اليهودية ومحو اسمها من خريطة الشرق الاوسط ، كوسيلة لتحقيق الوحدة العربية في ظل سيطرته وإذا ما استطاعت اسرائيل الحصول على القنبلة فانه سيكون في وسعها القضاء على ذلك . ومن ثم ، وحتى يتسنى شل فعالية هذا التهديد بالنسبة لاهدافه (ناصر) حاول ناصر اتخاذ اجراءات مضادة معينة .

ففي بداية عام ١٩٦٦ ، واثر تسرب انباء الجهود الاسرائيلية الخاصة بانشاء المفاعل النووي ، دعا ناصر اللجنة العربية الاستشارية للشئون العسكرية للانقاد . وكانت تتألف من رؤساء أركان الجيوش العربية . وكان هدفها تزويد ناصر بمشروع شن غارة وقائية على المفاعل النووي الاسرائيل في ديمونا . وقد اعترف ناصر نفسه بان الاجتماع في ذلك الوقت كان يرجع الى انه يشعر بقلق بشأن انتاج اسلحة نووية اسرائيلية .

بيد أن هذا الاجتماع لم يكن يكفي بالنسبة للرئيس المصري الطموح فقد كان يدرك ان « الحرب العربية الباردة سوف تستغرق العالم العربي المنقسم سنوات عديدة أخرى قبل ان يكون مستعدا لان يتوحد لخوض حرب ضد اسرائيل . وشعر ناصر بان عليه ان يعمل على الفور لايجاد تهديد مضاد يمكنه - تبعا لفلسفته - ان يشل فعالية التهديد النووي الاسرائيلي الجديد .

وفي نهاية عام ١٩٥٩ بدأت بالفعل جهود مصرية لبناء طائرات أسرع من الصوت وصواريخ أرض - أرض . فقد جرى تعبئة مئات من العلماء الألمان ، معظمهم من قدامى النازيين ، للعمل في مصر في ثلاثه مشروعات سرية للغاية . اولها كان يدعى المشروع ٣٦ وفي هذا المشروع كان « ويل ميسير شميدت » الأب الشهير لطائرة الحرب العالمية طراز ام . اى . ١٠٩ - مشغولا في بناء طراز جديد من الطائرات للدكتاتور المصري ، تسمى الطائرة طراز اتش - ايه - ٣٠٠ أما في المشروع الثاني الذي كان يطلق عليه ١٣٥ ، فكان « فرديناند براندنر » يرأس مجموعة من المهندسين والفنيين الألمان والمصريين الذين كانوا يحاولون تطوير محرك طائرة نفاثة للمقاتلة التي تضمنها المجموعة الأولى . أما المشروع الأكثر سرية فكان يسمى ٣٣٣ أو (الثلاث ثلاثات) كما

يطلق باللغة العربية . ففي هذا المصنع كان يجري بناء صواريخ ارض ارض
متوسطة المدى . وكان من المفترض ان يتراوح مداها ما بين ٢٨٠ الى ٥٨٠
كيلو مترا ، او ان يمكنها ، كما قال ناصر في احدى خطبه ، ان تصيب أي
هدف في جنوب بيروت .

ويبدو انه عندما اكتشف ناصر نشاطات اسرائيل في ديمونا ، قرر ان
يجري تغييرات قليلة في خطه فقد كان قبل ذلك يحتزم ان يزود رؤوس
صواريخه بشحنات متفجرة تقليدية ، ثم قرر ان يشرع في تنفيذ مشروعات
جديدة من شأنها ان تزود برؤوس غير تقليدية وكان المشروع الاول يسمى
ايزيس ، اما الثاني فكان يسمى كليوباتره .

وكان من المفترض ان يزود مشروع ايزيس رؤوس الصواريخ بمواد
خطرة جديدة هي كوبالت ٦٠ وهي وحدة نظائر مشعة يمكنها ان تنشر اشعاع
مهلكا فوق مساحات شاسعة من اسرائيل . وكانت البدائل الأخرى مثل
الغاز والمواد الكيماوية أو البيولوجية يجري بحثها باعتبارها مواد ملائمة
لتحقيق هذا الهدف .

اما المشروع الثاني فكان يهدف الى انتاج رؤوس نووية باعتبارها
تهديدا مضادا للقنبلة الذرية الاسرائيلية المفترضة . ولما كانت مصر لا تملك
في ذلك الوقت أية مفاعلات نووية أو انه لا يوجد لديها على الأقل مفاعلات
في قدرتها توفير المواد اللازمة للأسلحة . فقد اعترفت مصر شراء يورانيوم
ذی درجة منخفضة من السوق العالمي الحر ثم تخصيبه باستخدام أساليب
فنية خاصة جرى تطويرها في المانيا الغربية وهولندا .

بيد انه لم تتجج الجهود المصرية المستقلة ، ولا جهود ناصر في توحيد
العالم العربي . وعلى الرغم من ان الحكام العرب كانوا يشعرون بالقلق
من جراء القنبلة الاسرائيلية ، الا انهم لم يكونوا مستعدين لوضع جيوشهم
تحت القيادة المصرية . فقد كانوا يعرفون الرئيس الطموح ، وكانوا واثقين
من ان اول شيء سوف يفعله هو الاطاحة بنظامهم ، ثم يتجه بعد ذلك الى
النسدى للاسرائيليين .

وكانت اسرائيل ، من جانبها ، قد بدأت عملية سرية ضد العلماء
الاملن الذين يعملون من اجل ناصر . ففي نهاية عام ١٩٦٢ بدأت الرسائل
الناسفة تتجر في ايدي كبار مهندسي المشروع ٣٣٣ . وقد أختفى الدكتور
كروج ، وهو واحد من المنظمين الاساسيين لمنع محركات الطائرات
النفثة ، ولم يعثر له على أثر حتى اليوم . ومن ثم ، عم الخوف كل
الذين يشتركون في المشاريع المصرية السرية من ان ينقوا حتفهم . وكان
جهاز المخابرات الاسرائيلي (الموساد) ذو الخبرة الطويلة ، في أوج نشاطه

مرة أخرى ، مع اقتران ذلك بالجهود السرية من جانب رئيس الوزراء الاسرائيلي - بن جوريون - لاقتناع المستشار الالماني الفيرمي ادينلور بضرورة كس الطماء الالماني عن العمل من اجل مشروعك ناصر الملكة .

وقد اثرت عملية المخابرات الى جانب الجهود الدبلوماسية الاسرائيلية في المتيا الغربية . وكان المصريون قد انشأوا في منتصف الستينيات عددا من نماذج صواريخ طراز « اس . سي » مثل (القاهر) و (الظافر) و (الناصر) . ورغم ذلك ثبت انها غير موثوق من عمليات اطلاقها وانها غير دقيقة للغاية بالنسبة لتصويبها . ولم يصل المصريون منذ ذلك الحين الى مرحلة وضع الرؤوس في الصواريخ نفسها . . فقد اثبتت خطة ناصر الطموحة على انها خطة غير ناجحة بعد سنوات من العمل الشاق والاستثمارات الباهظة جدا .

غير ان هذا الفشل لم يمنع ناصر من محاولة وقف المشروع النووي الاسرائيلي . ففي منتصف الستينيات ، وبينما كانت مناقشة سرية تجري في اسرائيل حول الاستثمارات الضخمة اللازمة لتمويل المشروع السري ، حاول ناصر تنفيذ البديل الثالث . فقد فكر محمد حسنين هيكل رئيس تحرير صحيفة « الاهرام » والصديق المقرب من الرئيس المصري ، في منكراته ، كيف حاول ناصر الحصول من بعض كبار زعماء العالم ومن بينهم ماوتسى تونج وليونيد بريجنيف على اسلحة نووية جاهزة . غير ان جهوده هذه باءت بالفشل كذلك . ومن ثم أصبح ناصر أكثر شعورا بالاحباط من ذي قبل .

اما البديل الاخير الذي كان لديه فكان أكثر نجاحا . فقد طلب من بريجنيف وغيره من زعماء الكرملين اعطاء مصر ضمانات نووية اذا حصلت اسرائيل على قنبلتها . وذكرت صحيفة « نيويورك تايمز » في ١٤ فبراير ١٩٦٦ في تقرير لها من القاهرة ان (اندريه جريشكو) نائب وزير الدفاع السوفيتي قد اعطى مصر ضمانات نووية معينة ، ولكن لم يكن في وسع احد آنذاك ان يعرف نوع هذه الضمانات .

والواقع انه لم يعرف بعد ، بوضوح السبب وراء تحريك ناصر قواته في صحراء سيناء في مايو ١٩٦٧ هل حركها كخطوة نحو شن غارة وقتالية ضد المنشآت النووية الاسرائيلية او حركها لأسباب أخرى ؟ بيد أنه لا يوجد أي منطلق على الاطلاق في عمله هذه ، مالم يكن هذا هدفا الاساسي . ومن المعروف انه قبل يوم أو يومين فحسب من بدء الحرب ، كان ناصر قد بدأ يبتز اسرائيل ويطلب بالجزء الجنوبي من النقب الذي يصل اسرائيل بالبحر الأحمر . ومن المرجح ان هدفاه كان ابتزاز اسرائيل في الميدان النووي كذلك ، ودون أن تدخل هذا الامر في الحسبان ، لا يستطيع أحد أن يشرح على نحو منطقي ، سلوك ناصر ، عشية حرب الايام الستة .

وسيكون من الخطا اعتبار ناصر انه الحاكم العربي الوحيد الذي شعر بالقلق تجاه التهديد العرقي الاسرائيلي . وذلك ان كافة الحكام السياسيين العرب تناولت خطبهم وبياناتهم مرات ومرات هذا الموضوع . بل از سظمة التحرير الفلسطينية التي كتبت آنذاك لا تزال منظمة صغيرة تعتمد على حسن النية المصرية والسورية والاردنية كانت قلقة ازاء هذا التهديد.

فى مايو ١٩٦٦ ، الذى احمد الشقرى - زعيم منظمة التحرير الفلسطينية آنذاك خطبة فى الجلسة الامتثالية للمؤتمر الثالث للجنة الوطنية الفلسطينية . وقد تناول فيها ، ضمن موضوعات اخرى ، الجهود التى تبذلها اسرائيل فى ديمونا . وقال الزعيم الفلسطينى انه ينبغى على العرب ان يستعدوا لشن حرب وقائية ضد اسرائيل قبل ان تصبح الدولة اليهودية دولة نووية . وكان ضمن البيان الختامى لهذا المؤتمر فقرة تحظر الدول العربية من القنبلة الذرية الاسرائيلية . وكتبت هذه الفقرة تشير الى ان هدف اسرائيل هو خلق الانقسام بين العالم العربى وان تغزو المزيد من الاراضى المصرية .

ومن الممكن للمرء ان يفهم (السيكولوجية) التى حدثت بناصر الى انتهاج مقاومة عنيفة خاصة تجاه المشروع النووى الاسرائيلى . ذلك ان معظم سكان بلاده يتركزون فى وادى النيل ودلتا النيل . ومن ثم تكون اى اصابة لياه النيل بنشاط اشعاعى من شأنها ان تقض حدا للتاريخ الطويل لمصر . كما ان انفجار قنبلة ذرية اسرائيلية فوق سد اسوان من شأنه ان يسبب اتسياب سائل محبر يصل الى كافة قرى منطقة الالقا وكذا الى القاهرة نفسها كما يمكن للمرء ان يفهم قلق الفلسطينيين . ذلك ان حصول اسرائيل على قنبلة ذرية سيجعلها دولة امر واقع وسيحاول دون اخراجها من الشرق الاوسط . غير ان بن جوريون لم يكن يعتمزم توسيع الاراضى الاسرائيلية . وان جهود اسرائيل لم تكن بقصد تغيير الوضع الراهن ، وانما من اجل الحفاظ عليه ، ولذلك كان الفلسطينيون يشعرون بالقلق اساسا من جراء ذلك .

ولم يكن لدى القوات العربية التقليدية ، فى منتصف الستينيات ، اية قدرة على مهاجمة المنشآت الاسرائيلية فى ديمونا . فمن المرجح ان هزيمتهم فى يونيو ١٩٦٧ قد كتنت ناصر وحسين وياتى الزعماء العرب بعض الدروس القاسية . وكان اهم هذه الدروس ان اية محاولة للفوز فى الحرب ضد اسرائيل باستخدام الوسائل التقليدية من المحتم ان تبوء بالفشل . وكان الدليل الاخر هو شن حزب استنزاف طويلة فى مناطق الحدود الجديدة على قناة السويس ومرتفعات الجولان ووادى الاردن . وفيما يتعلق بالحدود المصرية والسورية فقد قامت القوات النظامية اساسا بهذه الحرب . ايا فى

وادي الاردن ، وكذا في الاراضي العربية المحتلة ، فان منظمة التحرير الفلسطينية كانت العدو الاساسى لجيش الدفاع الاسرائيلى . غير ان العرب لم ينجحوا سواء بالحرب التقليدية او بحرب الاستنزاف لم ينجحوا في تحقيق هدفهم . لقد منى جيش الدفاع الاسرائيلى بخسائر كثيرة في الارواح ، بيد ان اسرائيل لم تتخل عن الاراضي الجديدة التى استولت عليها في حرب ١٩٦٧

وقد ادت نهاية حرب الاستنزاف وموت ناصر فى صيف ١٩٧٠ الى خلق وضع جديد فى النزاع العربى الاسرائيلى . فلقد كان للسادات خليفة ناصر - وجهة نظر مختلفة ازاء العلاقات فى الشرق الاوسط . فهو لم يكن يريد استئناف حرب الاستنزاف على ضفاف قناة السويس على النحو الذى كانت عليه بين ١٩٦٩ و اغسطس ١٩٧٠ . فلقد كان يفضل ، بدلا من ذلك ، شن هجوم شامل مفاجيء قد يؤدي الى تحقيق انجازات عسكرية محدودة ، ويسفر عن مكاسب سياسية قصوى .

ومنذ تولى السادات السلطة كانت تجرى داخل مصر مناقشة جادة حول : كيفية وامكان التصدى للتهديد النووى الاسرائيلى . وكانت الجماعة الموالية للسوفييت - ومنها على سبيل المثال وعزيز سحقى وحسنين هيكل وآخرون من الشخصيات العسكرية والشخصيات ذات النفوذ - تطالب بانتهاج سياسة نووية مصرية مستقلة نشطة ، او بالحصول على اقل على ضمانات نووية سوفيتية اكيدة .

وكانت وجهة نظر انور السادات مختلفة عن ذلك . فقد كان يرى انه لا توجد سوى فرصة ضئيلة لتحقيق مظلة نووية مستقلة لمصر ، وانه لن يكون قادرا على الحصول على اجهزة نووية سوفيتية توضع على التراب العربى تحت اشراف سوفيتى مصرى مشترك . وعلى العكس من ذلك ، كان يقرأ قراءة جيدة الاشارات التى كانت تاتى من اسرائيل منذ يوم توليه السلطة فقد كان ديان وغيره فى اسرائيل يلمحون بان اية محاولة عربية للهجوم على اسرائيل فيما وراء خطوط ١٩٦٧ داخل قلب البلاد سوف تواجه بهجوم اسرائيلى مضاد . ومن ثم ، خلص الرئيس الى ان التهديد النووى الاسرائيلى لا ينطبق على اية محاولة عربية لغزو جزء على الاقل من الاراضى التى يحتلها الاسرائيليون منذ ١٩٦٧ .

ووضع السادات هذا فى ذهنه ، وخطط لشن هجوم مفاجيء على اسرائيل عام ١٩٧٣ . ولا يزال غير واضح بعد ان كان السادات قد نسق فى الفترة السابقة فى التخطيط للهجوم - نسق وجود مظلة نووية سوفيتية كرادع ، من وجهة نظره ، لرد فعل اسرائيلى نووى محتمل . وفى ضوء ما يمكننا من الحكم على السلوك السوفيتى خلال الحرب وخاصة قرب نهايتها

يكون من المنطقي ان نفترض انه كان يوجد مثل هذا التوسيع • ففى ٢٢ اكتوبر وصلت صحيفة شحن سوفيتية تصل رؤوسا نووية الى الاسكندرية • ومن المرجح ان هذا كان رد فعل سريع ازاء التهديد الاسرائيلى فى ٩ اكتوبر الذى اكتشفته الاقمار الصناعية السوفيتية التى ترقب من الفضاء كل تحسرك داخل اسرائيل لير ان ثمة تفسير آخر لهذا وهو انه قد يكون اشاعة روجنها عن عهد الولايات المتحدة للضغط على اسرائيل لانهاء الحرب •

والواقع ان حرب اكتوبر من وجهة نظر السادات ، يعين رؤيتها من خلال القول المأثور لكلفينيس "ان الحرب استمرار للسياسة بوصفائل اخرى، ذلك انه بعد ان ادرك الرئيس المصرى ان كافة الجهود الدبلوماسية ستؤدى الى طريق مسغود قرر محاولة اللجوء لتيار عسكري محدود ، مع اقتران ذلك بفرض حظر بترولى ، الامر الذى يؤدى الى انسحاب اسرائيل ذى مغزى من اراض عربية • وطالما ان مصر لن تهدد ، خلاله الحرب فانها ، وجود اسرائيل عسل الرغم من ان ديان كان يرمى فى هذه الحرب تهديدا لوجود اسرائيل - كان السادات لا يتوقع ان تتعرض مصر او القاهرة لاي خطر نووى •

ومنذ حرب ١٩٧٣ ومصر تمد خططا طويلة المدى لتشغيل محطات توليد الكهرباء بالطاقة النووية والواقع انه لا يوجد لدى مصر الآن ايسة منشآت نووية لانتاج قنبلة • ان لديها فحسب مفاعل ابحاث قوته ٢ ميغاجوات فى انشاص • وكان السوفيت هم الذين امدوا مصر بهذا المفاعل من طراز (دبلو - دبلو - آر - سي) فى نهاية الخمسينيات ، غير أنهم لم يشغلوا هذا المشروع • ومن ثم يتدرب فيه العلماء المصريون فى مجال الطبيعة النووية • وفى جميع انحاء العالم العربى لم تبلغ اية دولة المستويات المصرية فيما يتعلق بالماملين المؤهلين والخبرة ورغم ذلك ، ومنذ حرب اكتوبر ، فقد انقسمت مصر فى برنامج طموح لبناء محطات طاقة نووية اكثر من عشرين محطة امريكية والمانية وفرنسية من المقرر ان تصل الى مصر • وقد أعلنت مصر مرارا وتكرارا انها ضد ادخال الأسلحة النووية الى الشرق الأوسط • ويستقى برنامجها الخاص بالذرة من اجل السلام مع سياستها هذه ، وكذا مع سياسة السادات تجاه اسرائيل منذ ١٩٧٣ •

ولقد كانت زيارة الرئيس المصرى الى القدس فى نوفمبر ١٩٧٧ واحدة من اكبر المفاجآت فى تاريخ الدبلوماسية العالمية الحديثة • وبها لاشك فيه ان احد اكبر العوامل التى حركت السادات لاختيار هذا الاتجاه فى السياسة هو التهديد النووى الاسرائيلى (ففى خلال المفاوضات الطويلة بين اسرائيل ومصر ، كانت المسألة النووية مطروحة على نحو بارز - على الرغم من ان الجانبين ، وفيهم الامريكىون ، كانا يحجمان عن اعلان ذلك لأجهزة الاعلام

اعمالية) والواقع ان مصر من الممكن أن تتعرض للاصابة الى حد كبير ، ومن ثم لا يريد الرئيس التعرض لمزيد من المخاطر . ولذلك أيضا ، تخلى السادات عن كل آماله بشأن تدمير الدولة اليهودية . وقد ثبت بالنسبة للسادات ان انخراطه في النزاع دون أن يسترد صحراء سيناء التي احتلت عام ١٩٦٧ ، وان استمراره في اتفاق اموال طائلة على الجيش الذي من المفترض أن يواجه اسرائيل ، ليست سياسة طيبة . ولذا ، كان عليه أن يختار خطأ جديدا ، والا فان اندلاع اية أزمة في سياق هذه العلاقات الدقيقة السائدة بين بلاده واسرائيل قد تؤدي الى ظهور كارثة التهديد النووي .

وقد استمرت في مصر مناقشة مريرة حول مزايها ومساوئها انتهاج حصر خيارا نوويا مستقلا . وكان الذين يؤيدون هذا التيار ، وعلى رأسهم اسماعيل حمى وزير الخارجية يصرّون على أنه يتعين على مصر الا توقع معاهدة حظر الانتشار النووي ، وانه ينبغي عليها تحقيق وضع نووى مستقل اذا ما كانت ترغب في الابقاء على دورها كقائدة في العالم العربي . ويبدو ان فهمي ومؤيديه كانوا يشعرون بالقلق ازاء أن يصبح الشرق الاوسط منطقة نووية خلال الثمانينات . ذلك ان اسرائيل ودولة عربية على الاقل (من المرجح انها العراق) سيكون لديهما القنبلة . ومن ثم ، وبدون ان تحقق مصر وضعا نوويا ، يترجح ان تفقد مصر الكثير من قدرتها على التأثير في سياسات الشرق الاوسط . واذا وقعت مصر على معاهدة حظر الانتشار النووي ، فانها ستجهد الوضع وسيتمكن للاسرائيليين في المستقبل ابتزاز المصريين ، وهو وضع غير مقبول بالنسبة لفهمي وجماعته .

والواقع ان قدرة اسرائيل على ابتزاز مصر قد اثارت متاعب للسادات كذلك خلال مفاوضات السلام . فقد نشرت « فلورا لويبي » الصحفية في « نيويورك تايمز » في ٢ ديسمبر ١٩٧٧ ، أي بعد وقت قصير من زيارة السادات لاسرائيل وقبل ثلاثة أيام من اجتماع السادات مع بيجين في الاسماعيلية ، أن مصر ستطلب من اسرائيل التخلي عن اسلحتها النووية كجزء من اتفاقية السلام النهائية . غير أن اسرائيل وجدت انه من المتعذر عليها الموافقة على هذا الطلب ، بسبب الجهود التي تبذلها العراق في هذا المجال . وفي ٨ نوفمبر ١٩٧٨ ، نشرت نفس الصحفية (نيويورك تايمز) ان اسرائيل رفضت للاسباب سالفة الذكر عرضين مصريين للتخلي عن سباق التسلح النووي في الشرق الاوسط ، والاقتصار على سباق التسلح التقليدي .

ورفضت اسرائيل ذلك لانه كان لا يزال عليها أن تتعامل مع كابوس يسمى « الجبهة الشرقية » يضم سوريا والاردن والعراق وتؤديها السلوك العربية الأخرى .

ومن ثم ، يمكن القول بأنه يوجد الآن مدرستان أساسيتان للتفكير في مصر . أحدهما مدرسة اسماعيل فهمي ، الى جانب هيكل وعلى صبرى وآخرين الذي يصر على أن حصول مصر على قنبلة ذرية سيكون وحده الرد الصحيح على الخيار النووي - الاسرائيلي - أما المدرسة الأخرى ، فهي مدرسة الشاعديين المقربين للسادات الذين يرون أنه حتى إذا حصلت مصر على القنبلة - مع اتفاق الاموال الطائلة التي تتطلبها - فإنها لن تسفر عن حل مشر . ان مصر يمكن أن تتعرض للاصابة النووية ، ولذا ليس لها الا خيار أن تستمر في عمليّة السلام مع اسرائيل . وكان الحرك الأساسي للسادات طوال فترة حكمه هو تجنب ان يخرج المارد النووي من القمم . غير أنه بالنسبة لبعض الحكام العرب الآخرين لم يكن الامر كذلك .

٤ - السعى من أجل القنبلة الاسلامية :

ليبيا وسوريا والسعودية وباكستان

يعد الرئيس الليبي معمر القذافي واحدا من أبرز الحكام العرب منذ السبعينيات . فمنذ نوليه السلطة في عام ١٩٦٩ في انقلاب عسكري ناجح ضد الملك ادريس ، حقق العقيد الليبي الشاب سمعة هي انه أكثر الزعماء المتطرفين وغير المسئولين في العالم .

ويصير القذافي نفسه بمثابة الخليفة الاسلامي للعقيد ناصر . غير ان العامل الفكري والثقافي للقذافي بسيط للغاية وقد تم وصفه في كتابه الاخضر هو تقليد للكتاب الاحمر لما تسي تونج - تبعا لما يرى القذافي ، فان العالم قد اختبر نظريتين اساسيتين فيما يتعلق بنظم الدولة منذ القرن التاسع عشر غير انهما قد فشلتا . وهاتان النظريتان هما . الشيوعية والراسمالية بكل روافدهما المختلفة . ولذلك يقترح القذافي نظرية جديدة هي : نهج الاسلام والقرآن ، ويجد المرء فيها أفضل ما في العالمين الشيوعي والراسمالي . فهي تجمع بين المساواة في الحقوق ، والبساطة ، والتواضع ، والاخلاق ، والواقع ان منهاج القذافي يتسم بالتشدد والعنوانية . فهو يؤمن بانه يتيمين الاخذ بنظرية القرآن في جميع انحاء العالم ، ليس عن طريق الاقناع ، وانما عن طريق القوة . وتبرر اهدافه وسائله تماما . وبهذا المعنى ، يعد استخدام القوة والقهر وحتى الارهاب الدولي ، وسائل مشروعة .

وبالتسبة للقارئ الغربي الذكي ، فان مثل هذه الاساليب من شأنها فيما يبدو تقويض النظام الدولي ، أو اغتيال الأعداء المياسيين في لندن وباريس ، أو مساندة الأعمال الارهابية مثل قتل ١١ رياضيا اسرائيليا في دورة الالعاب الاولمبية في ميونيخ عام ١٩٧٢ أو التعاون مع ارابيين دوليين مثل-كارلوس الشهير . ويبدو كل هذا كأمر لا يمكن فهمها . ولكنها بالنسبة للقذافي تعد أعمالا مشروعة في اطار الجهود التي يبذلها لاقامة منهاج اسلامي خالص في جميع أرجاء العالم .

ولأن القذافي لا تصاوره أية شكوك ، ولأن لدى ليبيا كميات طائلة من المتروك أصبح القذافي واحدا من أكثر الشخصيات خطرا في العالم العربي . وتبدو محاولاته الأولى للحصول على أسلحة نووية مشيرة للشفقة في الوقت الحاضر . فقد ذهب الزعيم الليبي الشاب الى ناصر في بداية عام ١٩٧٠ طالبا منه بدء شن حرب واسعة النطاق ضد اسرائيل . وعندما وُضع

له ناصر ، ثم السادات بعد ذلك ، أن مثل هذا الإجراء المستحيل بسبب التهديد النووي الإسرائيلي المستمر ، قرر القذافي أن واجبه المقدس سيكون شمل هذه الميزة التي تتمتع بها إسرائيل عن طريق إنتاج قنبلة ذرية عربية . ولذلك طلب ، من خلال وسطاء ، من شواين لاى رئيس وزراء الصين الحمراء أن يبيمه معدات نووية . غير أن رجل الدولة الصيني وجد أنه من الصعب جعل الزعيم المتحصب غير المحنك يفهم أن القنابل النووية لا تباع فى السوق الحر العالمى . وكان على العقيد الشاب أن يعود من الصين صفر اليدين .

ولما فشل القذافي فى الحصول على قنبلة جاهزة من على الرف ، شرع فى انتهاج طريق طويل ولكنه يبشر بالأمل . لقد تفاوض طوال سنوات مع الاتحاد السوفيتى لشراء مخازن نووى . وعلى الرغم من أن السوفيت قد زودوا القذافي بأفضل أسلحتهم التقليدية ، إلا أنه كان من الطبيعى أن تساورهم الشكوك من بيع المخازن له . غير أنه فى عام ١٩٧٣ ، تم التوصل الى اتفاق باع الاتحاد السوفيتى بمقتضاه للقذافي مفاعل أبحاث قوته ١٠ ميجاوات كما وافق السوفيت على تزويد القذافي بمحطة نووية قوتها ٤٤٠ ميجاوات .

وإذا ما أخذنا فى الاعتبار انخفاض كفاءة الأيدي العاملة فى ليبيا ، وانتشارها الى العلماء التوويين ، الى جانب مالى ليبيا من فائض من البترول ، فانه يتعين على المرء أن يخلص الى أن القذافي حادل الحصول على خيار نووى عن طريق استخدام المساعدة السوفيتية . والواقع أن الاتحاد السوفيتى ، حتى اليوم ، يراعى بأمانة قواعد معاهدة حظر انتشار النووى ، التى تسمى الى الحد من انتشار الأسلحة النووية فى أرجاء العالم . ومن ثم يكون من العسير الافتراض أنه يمكن لليبيا من استخدام مفاعله لتحقيق هذا الغرض .

غير أن القذافي اختار بديلاً ثالثاً وربما كان أكثر وثوقاً منه واعتماداً عليه . إذ توجد دلائل كثيرة فى الوقت الحاضر تشير الى أن القذافي قدم للجهد الباكستانية فى المجال النووى . مساعدات تربو على ألف مليون دولار . وعلى الرغم من أن الجدل لا يزال مستمرا حول القدر المحدد لهذه المساعدات المالية ، يتضح أنه يوجد تعاون بين البلدين فى هذا المضمار . والواقع أن التكنولوجيا الباكستانية قد بلغت ، فيما يبدو ، أعلى مستوى فى العالم الاسلامى ، ومن المحقق أن نفترض أن باكستان ستكون أول دولة تحصل على « القنبلة الاسلامية » . ويريد القذافي ، فى ضوء الفصل الذى منى به فى الماضى ، أن يكون واثقاً من أنه لن يفقد استثماره فى باكستان .

ومن أجل تحقيق هذا ، اشترت ليبيا من النيجر اكبر قدر ممكن من اليورانيوم امكها ان تشتريه - والتيجر هي اول مورد لليورانيوم في العالم هنا يرجح - وقد ذهب جزء منه الى باكستان . وحاولت باكستان شراء اليورانيوم مباشرة من النيجر لكن حاكم باكستان يفضل ان يبيع النيجر اليورانيوم للغدافي . وعن طريق تراكم الآلاف الاطنان من خام اليورانيوم وسيطر الغدافي - من قريب او بعيد - على الجهد النووي الباكستاني ، ونحن لم يبدو انه لديه فرصا طيبة للحصول على القنبلة اذا صنعتها باكستان .

وإذا ما حدث هذا ، فان امن اسرائيل مستهدده المخاطر . كما ان وجود قنبلة نووية في أيدي مثل هذا الزعيم غير المسئول سيشكل مخاطرة محتملة بالنسبة للدول المجاورة لليبيا ، وفيها مصر ، والواقع ان هذا يعد تهديدا للعالم بأسره .

وقد ابدت دول عربية أخرى في الشرق الاوسط ، الى جانب العراق ، اهتماما بالميدان النووي . غير انه لا توجد أية دلائل واضحة حتى الآن ، على أنها تعتمزم على نحو جاد الحصول على قنبلة .

وتعد سوريا مثالا (كلاسيكيا) على ذلك . فهي من ناحية تبدي اهتماما بتحقيق خيار نووي ، بيد انها من ناحية أخرى لا تفعل تقريبا اي شيء لتحقيق ذلك . ففي حديث صحفي أدلى به الرئيس السوري الأسد في ٢٩ أبريل ١٩٧٨ لصحيفة « النهار العربي والدولي » ، قال « ان لدى سوريا خطة مضادة ذات تفاصيل كاملة ، وذلك في حالة حصول اسرائيل على القنبلة » . ويمكن للمرء ان يفهم مما قاله الزعماء الآخرون لحزب البعث السوري ان سوريا لا تتفاوض بشأن عقد معاهدة سلام مع اسرائيل طالما تتحتم اسرائيل بتفوق نووي . ذلك ان السوريين يشعرون بالقلق فيما يبدو ، مثل فهمي وآخرين في مصر ، من استخدام اسرائيل لخيارها النووي كورقة على مائدة المفاوضات . ومن ثم كان لدى السوريين بديلان واضحا : إنتاج قنبلة نووية سورية ، او الاستمرار في الوضع الراهن ورفض المفاوضات .

وفي ابريل ١٩٧٨ ، اتخذ الرئيس الأسد اول خيار نووي بينما كان يزور الهند ، وذلك عندما حاول التوصل الى اتفاق بشأن التعاون النووي بين الدولتين . وكانت الهند قد اجرت اختبارا نوويا ناجحا عام ١٩٧٤ ، فحينئذ انها اعلنت انها لا تعتمزم تحقيق وضع نووي مستقل ، كما انه لا تروق لها فكرة التعاون العسكري مع سوريا في المجال النووي ، وقد سررت مصادر المعلومات الفرنسية ان هذا هو الفصل الثاني الذي يواجهه الأسد . فقد زدت عليه فرنسا قبل ذلك بشهور قلائل ردا سلبيا في هذا الصدد .

غير ان فرنسا جددت بخل جهودها في هذا الشأن في اعقاب الفسار
على المفاعل العراقي في يونيو ١٩٨١ . على نهية يونيو ١٩٨١ ، زار
عمر يوسف وزير الكهرباء السوري بلجيكا ، وتفاوض لابرام عقد مع عدد
من الشركات البلجيكية والسويسرية لبناء محطات لتوليد الكهرباء بالطاقة
النووية . ويبدو ان هذه الصفقة تشمل ٦ مفاعلات تقدر قوتها الكلية بـ ٦٠٠
ميغاطوات . وفي ضوء الفلرة الاسرائيلية ، أكد الوزير السوري ان الصفقة
لا تنطوي على أية جوانب عسكرية . ولكن اذا وضفا في اعتبارنا الجهود
التي تبذلها سوريا لتحقيق توازن في قدرتها النووية مع اسرائيل ، فلا يوجد
اي شك في ان هذه الصفقة اذا ما تمت سوف تنطوي على جوانب
عسكرية هامة .

غير انه بالنسبة للوقت الحاضر ، حيث لا يوجد لدى سوريا اي خيار
نووي ، يحاول الاسد الحفاظ على الوضع الراهن بالنسبة للعلاقات بين
سوريا واسرائيل . والواقع انه بدون وجود هذا العنصر في الترسنة
السورية ، او على الاقل بدون وجود ضمانات سوفييتية أكيدة ضد اي تهديد
نووي اسرائيلي ، بدون ذلك كله يحق لنا أن نفترض أن النزاع السوري
الاسرائيلي سوف يستمر .

وتجدي السعودية كذلك اهتمامها بالمفاعلات النووية . ولما كان من
الواضح أن هذه المملكة البترولية لا تعاني من أية مشاكل تتعلق بتزويد
نفسها بالطاقة ، فمن الجبل أن كبار زعمائها يهتمون أساسا بالجوانب
العسكرية للمشروع النووي .

في ٢٤ ابريل ١٩٧٩ ، نشرت صحيفة كريستيان ساينس مونيتور تقول :
انه نتيجة للتقدم الذي تحرزه العراق في مجال مشروعها النووي، يبدى السعوديون
اهتماما بمشروع مماثل . وفي مايو ١٩٧٣ قام الملك خالد بزيارة فرنسا ووقع
على عقد صفقة أسلحة تقدر قيمتها بثلاثة مليارات دولار . وقد اتضح في
اعقاب الزيارة ، أن الملك كان مهتما للغاية بتزويد فرنسا بالبترول السعودي
بتقابل حصول السعودية على مفاعلات فرنسية .

وفي يوليو ١٩٧٩ اميط اللثام عن أنه في وقت مبكر منذ ١٩٧٥ وقعت
فرنسا والسعودية على صفقة سرية تقضى بتزويد السعودية بمفاعل
فرنسي . ونشرت مجلة « الحوادث » اللبنانية الموالية للسعودية ، والمعروفة
بمصادرها الجديفة في السعودية ، في ٢٠ يوليو ١٩٧٩ أن السعوديين قد
اشترتوا شركة (كريسو لويار) الفرنسية ، وهي القسم العسكري من
شركة (امبان شنيدر) التي تصنع المفاعلات النووية .

وإذا ما كتبت هذه التقارير تستند على حقائق دقيقة فهي نضى ان
السعوديين ينتهجون اختيارا نوويا . واذا ما كان الامر كذلك ، فان السبب
الرئيسي لهذا التغير لابد ان يكون هو العراقيين . ذلك ان السعودية تصد
هولة من الدول التي تحيذ استمرار الأوضاع الراهنة في سياستها الداخلية
والخارجية ، وتحاول جعل الشرق الأوسط منطقة منزوعة السلاح النووي .
ويدرك حكام السعودية ان انتاج قنبلة ذرية يعنى ان يبلغوا مستوى عالميا
من الأيدي العاملة القادرة على انتاج القنبلة . غير ان مثل هذه المجموعة
من الشبان المتعلمين الطبيعيين من الطبيعي أن يشكلوا تهديدا على الأسرة
بإلحاح . وفي ضوء هذا المعنى يفضل السعوديون دائما الوضع الراهن في
الشرق الأوسط ، دون أن يندلع فيه سباق جديد لتسلح النووي . وفي
وسع المرء أن يفترض لذلك ان السعودية قد استفادت من الغارة الاسرائيلية
على المفاعل العراقي أكثر من أي دولة أخرى في الشرق الأوسط .

ولكن من المرجح أن أول دولة اسلامية ستصنع القنبلة ستكون دولة
عربية ، وانها ستكون دولة لم تتخذ أي موقف نشط في النزاع العربي
الاسرائيلي، الا وهي باكستان .

في يناير ١٩٧٢ ، عقد مؤتمر سرى في (مولتان) وهي مدينة صغيرة
في جنوب شرق صحراء باكستان . ذلك أن (ذو الفقار علي بوتو) رئيس
وزراء باكستان — آنذاك — الذي صدقته نتائج الحرب الأخيرة بين بلاده
وبين الهند ، قد جمع كل كبار العلماء النوويين الباكستانيين في هذا
الاجتماع ، وكانوا مجموعة تتألف من خمسين عالما وقد دارت مناقشتهم معه
حول القنبلة الذرية . وقد طرح عليهم هذا السؤال « هل يمكنكم تزويد
بالقنبلة ؟ » وكان رددهم ايجابيا . وقد ارتاح بوتو لهذا الرد ووعد بتزويد
محتاجه بكل ما يحتاجون اليه .

وفي فبراير ١٩٧٤ ، عقد في باكستان أول مؤتمر للدول الاسلامية .
وكان اهتمام معظم العالم يتركز على الحظر البترولى وغيره من مثل هذه
الموضوعات ولكن وراء (الكواليس) كان بوتو يتفاوض على صفقة مع
العقيد القذافي الذي وافق بمقتضى هذا الاتفاق السرى جدا على دعم جزء
من الجهود الباكستانية للحصول على القنبلة الذرية . ووافقت باكستان
على تزويد الليبيين بالاجهزة والخبرة حتى يتسنى لهم صنع قنبلة في باكستان
وشرح العقيد القذافي أنه يفضل أن تتركز كافة جهود ليبيا النووية
في باكستان ، لأن اسرائيل لن تدع دولة عربية في الشرق الأوسط تنتج
قنبلة نووية على أرضها .

وحتى ١٩٧٢ ، نجرت الهند قنبلة نووية من اجل الاغراض السلمية .
 وكان الهنود قد استخدموا نفس المفاعل الذي يستخدمه الباكستانيون وهو
 كدى « طراز كندو » ، وتحطكه الدولتان منذ بداية الستينيات وبعد هذا
 المفاعل مریدا في نواميه . اذ ان انتاجه الجلبى هو اليورانيوم
 وله نظلم للتحكم من بعد ، ويمكن الطباء من ادخال او تحريك كابسولات
 اليورانيوم دون مرطلة اداء المفاعل .

وقد اصبت الولايات المتحدة قلقة جدا بشأن احتمال الحرب النووية
 بين الهند وباكستان . وقد ضغط هنرى كيسنجر وزير الخارجية الامريكية
 على فرنسا وباكستان لالغاء الصفقة التي عقدت بينها والتي كانت فرنسا
 تزود باكستان بمقتضاهما بصنيع لمعالجة البلوتونيوم الذى يمكن باكستان من
 ان تنتج خلال عام ما يكفيه من البلوتونيوم لانتاج ما بين ١٠ الى ١٥
 قنبلة في حجم القنبلة التي القيت على مدينة نجازاكى . وقد حضر كيسنجر
 رئيس وزراء باكستان من انه قد يخطر بنبصه كرئيس للوزراء ما لم يقلص
 جهوده النووية . كما ضغط كيسنجر على جاك شراك رئيس الوزراء
 الفرنسى لالغاء الاتفاق . وتوجد دلائل على ان كلا من (بوتو) و (شراك)
 قد نقدا بنصيبهما نتيجة لذلك الضغط . وكان المصنع الفرنسى لمعالجة
 البلوتونيوم قد بنى في باكستان عام ١٩٧٥ . غير انه بسبب الضغط الامريكى
 لصر الفرنسيون على ضرورة ان تستخدم باكستان فقط (الكاراميل) وهو
 يورانيوم منخفض الدرجة - بدلا من استخدام اليورانيوم المنضب الذى يعد
 فى حد ذاته قادرا على ان يستخدم لانتاج القنبلة .

وكانت باكستان تترك جيدا الصمويات التى تواجهها فى المجال
 النووى . فقد نجح الامريكىون تقريبا فى الحيلولة بينها وبين الحصول على
 ما تحتاجه من البلوتونيوم اللازم لصناعة القنبلة . ولذلك ، قررت باكستان
 ان تختار بديلا آخر وهو ان تخصب اليورانيوم فى مصانعها . فقد ارسل
 مئات الطلبة الباكستانيين الى فرنسا واطاليا والمانيا وهولندا حتى يتعلموا
 الاساليب الفنية الخاصة بتخصيب اليورانيوم . وقد عمل احد هؤلاء الطلبة
 واسمه عبد الله قمر جون لمدة عامين فى المركز النووى الهولندى فى (المادو) ،
 الذى يخضع لرقابة بريطانيا العظمى والمانيا الغربية وهولندا . غير انه فى
 عام ١٩٧٥ اختفى هذا المهندس واختفت معه خطط سرية جدا بشأن بناء
 مركز حديث لتخصيب اليورانيوم .

وبصفة علمية . يعتبر البرنامج النووى الباكستانى - وهو المشروع
 ٧٠٦ - يعتبر متقدما عن اى برامج نووية فى اى دولة عربية . ويقدر الان

ان البلڪستانيين اما ان يكونوا قد وصلوا الى المرحلة الاولى من صنع القنبلة واما انهم سيحجرون اختبارا لتفجير نووى قريبا جدا .

ولكن لما كانت باكستان لم تتخذ اى موقف نشط فى اى من الحروب التى مشيت فى الشرق الاوسط ، فان اسرائيل لا تشعر بالقلق من اى تهديد نووى مباشر من جانب هذه الدولة . فم ان مخاوف اسرائيل الاساسية تنبع من التعاون بين باكستان وليبيا والعراق . ذلك ان القذافي يحاول الحصول على قنبلة جاهزة الصنع من على الرف ، مقابل ملايين الدولارات التى استثمرها فى هذا البرنامج اما بالنسبة للمراقبين فان الامر مختلف .

اذ يوجد لديهم مركز نووى خاص بهم - بالرغم من انهم فى حاجة الى المساعدة الفنية من باكستان - ومن انهم فى يونيو ١٩٨١ كانوا متقدمين على كافة الدول العربية فى السباق من اجل صنع القنبلة .

• - القبلة في « البديوم »

صيفة ديسان

١٩٦٣

كان ليفي اشكول هو الذى تولى رئاسة الوزراء ومنصب وزير الدفاع خلفا لبن جوريون . ولما كان اشكول قد تولى هذا المنصب بعد ان كان وزيرا للمالية ، فقد كان يعرف تماما التفاصيل المالية للمشروع النووى الاسرائيلى . غير انه لم يكن عسكريا محترما ، وانما كان يعمل معه عن كذب بشأن المشكلة العسكرية شخصان هما : اسحق رابين - رئيس الازكان الجيش الاسرائيلى - وايجال آلون وزير العمل النشط . وكان كل من رابين وآلون من الاعضاء السابقين فى البالمخ (وهى الفرقة الليلية الخاصة التابعة لهاجانا اليهودى ، اى الحركة السرية اليهودية فى فلسطين التى اسسها الحركة العمالية عام ١٩٢١) . وكانا يؤمنان باتخاذ استراتيجية تقليدية فقط بالنسبة لاسرائيل . ومن ثم كانا ضد المبدأ النووى الذى دافع عنه بن جوريون خلال سنواته الاخيرة فى السلطة . وكانا يطالبان بتخصيص المزيد من الاموال للاتفاق على الجيش التقليدى .

وبالنسبة للمجال السياسى ، وافقت اسرائيل على زيارات تفتيشية لبريكية . وقدر من المراقبة الامريكية على منشآتها النووية فى (ديمونا) و (ناهال سوريك) . ووافق الرئيس الامريكى ليندون جونسون على ان يزود اسرائيل مقابل فلك بأسلحة امريكية من بينها القاذفات المقاتلة (طراز سكاى هوك ١ - ٤ - اى) ودبابات (طراز باتون م - ٤٨) وغيرها من نظم الاسلحة الحديثة .

ولقد كان بن جوريون ضد هذا النمط من السياسة - اى استبدال الأسلحة التقليدية بالخيار النووى المستقل لاسرائيل . ولذلك كان احد الموضوعات الاتاسية فى الحملة الانتخابية عام ١٩٥٦ اتهام بن جوريون لاشكول بالاستسلام للضغوط الامريكية حول المفاعل النووى فى ديمونا .

غير ان اشكول لم يوطد الجهود الاسرائيلية فى المجال النووى . اذ ان ما اقدم عليه فى الواقع كان هو ترك الخيار النووى مفتوحا فى المدى القصير ، ولاشئ أكثر من ذلك . وكان هذا يعنى فى الواقع انه اذا طرأت اية تغييرات حاسمة فى الشرق الاوسط ، فانه يكون فى وسع اسرائيل استخدام ما لديها من

طاقة كامنة على وجه السرعة . لقد كان اشكول هو القائل . أن اسرائيل لن تكون اول من يدخل الاسلحة النووية في الشرق الاوسط ، ولكنها لن تكون الثانية في هذا السباق . وقد اصبح هذا ، فيما يبدو ، السياسة النووية الرسمية لاسرائيل منذ ذلك الوقت .

وقد استمرت سياسة الغياب النووي هذه في مقابل الدعم الامريكى (في مجال الاسلحة التقليدية والمساعدات الاقتصادية) حتى نهاية الستينيات . اذ اعادت الازمة الداخلية التي نشبت قبل بداية حرب ١٩٦٧ فتح مناقشة السياسة النووية . ففي يونيو ١٩٦٧ ، دعا اشكول ديان للعمل وزيرا للدفاع ، في محاولة من جانبه للحصول على تأييد قومي . وقد انضم الحزب اليميني ، اى كتلة جاحال برعاية مناحم بيجين للائتلاف الجديد والى حكومة الوحدة الوطنية التي تشكلت . وقد اثارت عودة ديان الى الحكومة ، كوزير للدفاع ، مسألة المبدأ النووي الاسرائيلى . وقد تعرض ديان لمواجهة من جانب آلون زعم انه يتعين على اسرائيل ان تستمر في انتهاز مبدأ الاسلحة التقليدية . وقال آلون ان قنبلة نووية اسرائيلية ستعنى اندلاع سباق تسلح نووى جديد في الشرق الاوسط . وكان يرى ان اسرائيل عرضة للاصابة باى هجمات نووية بسبب ضآلة مساحتها وعدد سكانها ولو حدث هذا لنشأ عنه وضع فظيع . وكان هذا الامر بالاضافة الى ان الحكام العرب يمكن ان يكونوا غير عقلين وانهم لا يمكن الوثوق بهم يزيد من مخاوفه بشأن المعركة النووية الفاصلة .

ولقد كان اشكول ، الذى لم يكن خبيرا في الشؤون العسكرية والاستراتيجية يفضل الا يضطر الى اتخاذ قرار حول كون اسرائيل يتعين عليها ان تصل الى المرحلة الاخيرة من القنبلة ام لا وطبقا لما ذكره بعض الباحثين ، نجد ان هذا القرار ربما اتخذته ديان ، الذى عمل كوزير للدفاع في حكومة المرأة العجوز التي كانت لا تزال تطاردها كوايبس المذابح فى روسيا القيصرية ، وهذه المرأة هى جولدا مائير .

لقد اصبحت جولدا مائير رئيسة لوزراء اسرائيل عقب موت ليفى اشكول في فبراير ١٩٦٩ . وكانت تعترض في الماضى على المبدأ النووى الذى اقترحه جوريون وبريز وديان . وكان بن جوريون ، الزعيم العجوز ، قد اوقف نشاطاته السياسية في نهاية عام ١٩٦٠ . غير ان كلا من بريز وديان كانا عضوين في حكومة مائير وكان ديان هو الذى توصل الى صيغة جديدة هى القنبلة في البدروم .

فقد اُثبتت تجربة حرب ١٩٦٧ لوزير الدفاع ان اسرائيل كانت تعتمد لتحقيق امنها على القوى الاجنبية . ذلك ان الحظر الذى فرضته فرنسا على تصدير الاسلحة التقليدية لاسرائيل في أعقاب الحرب مباشرة ، ورفض الحكومة البريطانية بيع دبابات (شفتين) لاسرائيل ، والشروط التي تفرضها الولايات

المحصلة على اسرائيل لبيع اسلحة لها قد اثبت انها امور تطوى على مخاطرة
بالغنى من وجهة نظر ديان . وتبعاً لمنطق ديان ، يمكن لاسرائيل ان تحقق ، على
نحو مستقل ، معظم الوسائل اللازمة لضمان مستقبلها . وهكذا ، وخلال الايام
التي تضاهاها ديان في وزارة الدفاع ، تم التوصل الى قرار ببناء نظم اسلحة
اسرائيلية مستقلة ، مثل طائرة (كاتير) (القاذفة المغاذلة) وبجبة المعارك
الاساسية الاسرائيلية (ماركانا) .

ان معدات مثل هذه يمكنها ضمان مستقبل الدولة اليهودية ، طالما ان العرب
وحدهم هم الذين كانوا متورطين في النزاع . غير ان ديان كان يشعر بالقلق
بسبب اساسية من الاتحاد السوفيتي ذلك ان دعم الروس للعرب كان مضموناً
لعدة سنوات طويلة ، في حين انه لا يمكن قول هذا بالنسبة لعلاقات الولايات
المتحدة مع اسرائيل . اذ ان قدرات اسرائيل الدبلوماسية كانت محدودة بقليل .
وعنى يقينى تحسين هذه القدرات ، ولتأمين هذه الاراضى التى تعتبرها اسرائيل
ضرورية لدفاعها ، كان عليها ان تثير الشكوك بشكلى استعداد الروس لان
يتورطوا تورطاً مباشراً في النزاع . ذلك ان اسرائيل في حاجة الى ردع الاتحاد
السوفيتي .

وقد زاد من مخاوف ديان اندلاع حرب الاستنزاف على طول قناة السويس
والاعمال الارهابية الفلسطينية داخل حدود اسرائيل ، وكذا استعدادات الجيوش
العربية الاخرى لخوض حرب ضد اسرائيل . غير ان اكثر ما كان يثير مخاوف
ديان هو احتمال الاتساع لاسرائيل ، في المدى الطويل ، تحمل الابعاء
الاقتصادية لسباق التسليح التقليدي في الشرق الاوسط . فعلى الرغم من ان
انتصار اسرائيل في ١٩٦٧ كان مطلقاً ، لم يظهر المرب أية دلائل تتم عن
استعدادهم للدخول في مفاوضات . والواقع ان اشتراك اسرائيل في حروب
الاستنزاف على طول حدودها قد جعلها تواجه مصاعب اقتصادية خطيرة ، وان
الحفاظ على جيش تقليدي قوى قد أصبح عبئاً ثقيلاً جداً على الدولة اليهودية .

وحتى يمكن الخروج من هذا الطريق المسدود ، وضع ديان صيغة جديدة
يمكنها ان تساعد اسرائيل على الاحتفاظ بالاراضى التى تحتاجها من اجل دفاعها
وكذا تحمل التكاليف المتزايدة للجيش التقليدي . وتنص هذه الصيغة على
(تخفيف حدة النزاع باعادة بعض الاراضى لمصر وسوريا) ، الى جانب قوة ردع
اسرائيلية معقولة ، الى جانب جيش تقليدي يكفى للدفاع عن النفس وخوض
حروب على نطاق صغير ، وان كل هذا يساوى تحقيق أمن معقول بنحو معقول .

وطبقاً لهذا المبدأ ، سيكون في وسع اسرائيل ان تعيد بعضاً من الاراضى
المحتلة وان تحدد ميزانيتها العسكرية ، ذلك ان اعادة جزء من هذه الاراضى
سيقلل من دافع العرب لخوض الحرب ، وان هذا الدافع سينتال كثيراً عندما
يكف عن العرب الخيار النووي الاسرائيلي .

ولا يزال منطق ديان سليما حتى الآن . ولكن حتى يمكن لاسرائيل تنفيذه ، لابد من أن تعلن على الملاحة ان لديها خيارا نوويا (وهي حقيقة يفترضها على الاقل معظم الخبراء في هذا الميدان) .

فمن ميب هذه الاستراتيجية ان المرء عندما يفتلها لا يمكنه اخيرا عكسها . والواقع ان السلسلة الرسمية تطلب بجعل الشرق الاوسط منطقته خالية من الاسلحة النووية ، على غرار الاتفاقات التي وقعتها دول امريكا اللاتينية في هذا الشأن . ولقد اعلن ديان ، عندما كان وزيرا للخارجية ، في الامم المتحدة انه يتعمن على كل الدول المجاورة لاسرائيل ان تشترك في مفاوضات مباشرة بقصد الاتفاق على جعل الشرق الاوسط منطقة خالية من الاسلحة النووية .

وقد قاتل البروفيسور يهودا بلوم السفير الاسرائيلي لدى الامم المتحدة في ٢٢ نوفمبر ١٩٧٨ ، لقد اعلنت حكومة اسرائيل في مناسبات عديدة انها لن تكون اول من يدخل الاسلحة النووية الى الشرق الاوسط . وهذا بيان حكومي رسمي انه تمهد رسمي ينبغي (على الدوائر المسؤولة في كافة اتجاه العالم ان تنقبه اليه كما يجب) وحتى تنتهم هذا الاعلان الاسرائيلي ، يتعمن على المرء ان ياخذ في اعتباره الكيفية التي ينظر بها الاسرائيليون للامم المتحدة . اذ يعتبرونها منظمه عاجزة ، ومن ثم فهم يستخدمونها كمنصة للدعاية فقط) .

وقد ادلى ديان في بداية السبعينيات ببيانات مختلفة حول قدرة اسرائيل النووية . ومن ناحية اخرى ، طابان العالم بانته ان تخوض دولة عربية الحرب مع اسرائيل حتى نهاية ذلك العقد . واذا ماوضعنا في اعتبارنا ان تطوير الخيار النووي يستغرق ما بين ٨ الى ١٠ سنوات على الاقل ، يتضح لنا ان ديان كان ولتعا جدا من تفوق اسرائيل على العرب .

غير انه كان على ديان ان يكتشف بأسرع مما تصور ان تفكير الرئيس المصري الجديد كان مختلفا .

فقد فاجأت حرب أكتوبر اسرائيل . اذ كان جيش الدفاع الاسرائيلي يقدر ان مصر وسوريا لن تخوضا حربا واسعة النطاق ضد اسرائيل ما لم تكونا قادرتين على شل فعالية السلاح الجوي الاسرائيلي ، وما لم يكن في وسعهما التسلل بقاذفات مقاتلة على ارتفاع منخفض الى قلب اسرائيل . وكان هذا المفهوم يسئل في اعتباره بعض عناصر فقط من عناصر القدرة العربية ومن ثم ، لم يكن ينطوى على كثير من الادراك والعقولية . ويمكننا ان نفترض كذلك ان الاسرائيليين قيموا عنصر آخر ، وهو تفوقهم النووي . فقد كانت مراكز المخابرات العسكرية والمدنية تقدر ان العرب لن يشنوا حربا جديدة ضد اسرائيل لانها قد تؤدي الى مواجهة نووية . وعندما يوضع هذا الاعتبار في التقدير نجد المفهوم الاسرائيلي ينطوى على مزيد من العقولية . وبالطبع لم يعترف الاسرائيليون بان هذا كان اساس مفهوم عشية يوم كيبور

(عهد الخفران) عام ١٩٧٣ ، لان هذا يعنى ان بحوزتهم القنبلة . غير ان هذا لا يزال هو السبيل الوحيد لفهم منطق تصرفهم خلال هذا الحدث المفجع . لقد منيت وجهة النظر الاستراتيجية الاسرائيلية بالفشل من ناحيتين اولها : ان جيش مصر وسوريا اتاما مظلة من صواريخ ارض - جو مما اسبب التفوق الاسرائيلى بالشلل في مجال الجو . وثانيها : ان السادات والاسد جعلتا اهداف الحرب محدودة منذ بدايتها ذلك انه بتخطيطها لحرب محدودة ، كنا (السادات والاسد) ياملان في تخفيف التهديد الذرى الاسرائيلى . لقد كنا واقفين من ان اسرائيل لن تستخدم الاسلحة النووية ضدنا طالما انهما لم يهددا وجود دولة اسرائيل داخل حدود ١٩٦٧ .

ولقد كانت المراحل الاولى من الحرب افضل مما خطط لها اكثر الجغرافيا . المصريين والسوريين تنازلا . فقد نجح الجيش المصرى في احتلال « خط بارليف » الذى كانت تدافع عنه قوة صغيرة من الدبابات وقوات المشاة . وتمكن الجيش المصرى من احتلال قطاع يبلغ عرضه ٥ ايمال على طول قناة السويس ، وفي الشمال ، نجحت فرق الدبابات السورية في اختراق الخنادق الاسرائيلية ، واحتلت تقريبا مرتفعات الجولان كلها . ولذلك وطبقا لمصادر مختلفة موثوق منها ، اعتبر ديان الوضع في ٨ اكتوبر ١٩٧٣ حرجا بالنسبة لوجود اسرائيل وامنها . ومن ثم قدم استقالته لجولدا مائير بسبب ما اعتبره دورة فشل اسرائيل . وحضر ممز مائير بقوله : « اتنا نوثق ان نفقد المجد الثالث » .

وفي ضوء هذه الخلفية الخاصة بتفسير الرؤيا ، بدا ان كبار المسئولين في اسرائيل قد اتخذوا قرارا باستخدام التهديد النووى . وهناك دلائل على ان ديان قد اعطى - لأول مرة - امرا سرى بان توضع الصواريخ الاسرائيلية الصنع من (طراز اس. اس. اريما) التى تحمل رؤوسا نووية ، وكذا القاذفات المقاتلة من طراز كمبر المزودة بشحنات نووية ، في حالة الاستعداد القتالى . لقد وضعت الاسلحة الاسرائيلية النووية الثلاثة عشر في حالة تأهب . واذا ما كان الامر كذلك ، فقد كانت هذه هى المرة الاولى التى تنفذ فيها اسرائيل خيارها النووى . غير ان المصادر الاسرائيلية تنفى ، بالطبع ، ما تردد من شائعات بشأن هذا التأهب النووى الخاص . واذا ما كان هذا حقيقة ، فمن المفسر فهم ما كان ديان يعتزمه من اعطائه هذا الامر . فربما كان من المرجح انه اعتبر اطلاق الصواريخ بمثابة خيار واقعى . غير انه من المنطقى الى حد كبير اعتبار هذا الامر بمثابة اشارة واضحة لكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى . فقد كان ديان واقفا من ان للقوى العظمى لهما صناعية استطلاعية خاصة تدور فوق الشرق الاوسط ، وانها سوف تلتقط على الفور هذا النشاط الاسرائيلى وتتهم مغزاه . فبالتسبة للاتحاد السوفيتى سيكون بمثابة تحذير بالا يشترك في الحرب

اشترانا جاثرا وكان من المفترض ان تقوم الولايات المتحدة ان اسرائيل ،
تعرض لضغط شديد ، وانها في وضع قد يذلها الى استخدام قوتها
الآخر ، وتجر الممركة النووية الفلصلة في الشرق الأوسط . وكان تزويد
اسرائيل بشحنات ضخمة من الاسلحة التقليدية هو السبيل الوحيد لاتماع
زعيماتها بعدم اللجوء للفترة النووية الاسرائيلية .

وحتى يتحقق هذا ، لابد من ان ترسل الولايات المتحدة اسلحة بالجو
لاسرائيل . وكنت واشنطن تجل كثيرا عمليات ارسال الاسلحة ، بالرغم
من ضغوط اسرائيل في هذا الشأن . ومن ثم ، كان من شأن الاشارات
الاسرائيلية ان توضح لصحى للقرار في البيت الابيض ووزارة الدفاع
(البنتلجون) ووزارة الخارجية ان اى تاجيل آخر قد يؤدي الى وقوع
كارثة في الشرق الأوسط . لها بالنسبة للروس ، فان ديان قد ادرك انهم
سيزدون عملاتهم ، مصر وسوريا ، بالمعلومات الخاصة بهذا التحرك
الاسرائيلي . واذا ما حدث هذا ، فان ديان كان واثقا من ان كلا من
السادات والاسد سوف يحددان من اهداف حريهما حتى يتجنبنا اى رد
نووى اسرائيلي .

ولقد حققت الاشارات الاسرائيلية ، فيما يبدو ، بعض النتائج . فقد
بدا الأمريكيون في تزويد جيش الدفاع الاسرائيلي بكميات متزايدة من الاسلحة
الامريكية التقليدية عن طريق الجو ، أما الجيوش العربية ففقدت حدتها من
اهدائها ، وضد سعت عليها ، على اية حال ، القوات الاسرائيلية
المنتصرة قد حسمها .

وقد ارسل الاتحاد السوفيتي ، كرد فعل او كوسيلة لدعم احتمال تورط
سوفيتي مباشر في الحرب ، سفينة محملة بمعدات نووية الى ميناء الاسكندرية
بمصر . وقد اكتشف الأمريكيون طبيعة ما تحمله السفينة بواسطة اجهزه
الاستشعار الحساسة للغاية عنونها كانت تعبر مضيق الدردنيل . والواقع
انه يتبين على نحو قاطع بالنسبة للأمريكيين او الاسرائيليين معنى ودلالة
هذا التحرك الروسى . سد انه كان في وسعهم استنتاج شيين
لأولها . اعتبار التحرك الروسى بمثابة اجراء لابتنزاز الأمريكيين ، نظرا لان
الخيار النووى قد اثبت انه بالغ الفعالية . وفي ضوء هذا تم اسباغ مزيد
من الثقة على المؤيدين لان تنتهج اسرائيل مبدءا نوويا مستقلا ، وان هذا من
شأنه ان يبريد حرية اسرائيل على الحركة . أما الاستنتاج الثانى : فقد خلص
اليه الذين يجادلون في ان التهديد الاسرائيلي الكامن ، بتدمير البلاد العربية .
اذا اعلنت الحرب ضد اسرائيل وهددت وجودها ، لم يثبت نجاحه نظرا
لان في مثل هذه الظروف اختار السادات تجاهل هذا التهديد الكامن ، وان
مصر وسوريا حصلتا على ضمانات نووية من الاتحاد السوفيتي لثقل تعالیه
التهديد التوربي الاسرائيلي المحتمل .

عمر ان التهديد النووي الاسرائيلي قد كان له ، فيها يبدو ، اثر واحد
كل 7 يذال مختبئا وان قليلين قد نهبوه عام ١٩٧٢ . ذلك ان احد العوامل
الاساسية التي غيرت سياسة السادات في اتجاه اقرار السلام مع اسرائيل .
كان اعتقاله وجود القنبلة الاسرائيلية .

لقد خلقت حرب « يوم كيبور » ازمة داخلية في اسرائيل . ذلك انه
على الرغم من ان النتائج النهائية للحرب كانت مرضية نسبيا ، نجد الطريقة
التي بدأت بها الحرب ، والمفاجأة وفشل الخطة العسكرية ، قد نجرت
ذات الا سياسيا في البلاد . فقد اضطرت جولدا مائير الى الاستقالة تحت
وطأة الانقلابات الضمنية . وخرج ديان معها من الحكومة . وعين اسحق
رابين رئيسا ورييس اركان الجيش الاسرائيلي المنتصر عام ١٩٦٧ . رئيسا للوزراء ،
واسمى شيمون بيريز وزيرا للدفاع .

وهكذا ومرة اخرى يقضى في قلب مجلس الوزراء الاسرائيلي شخصان
كانا مختلفين حول مشكلة المبدأ النووي الاسرائيلي . بيد ان المشكلة كانت
تبدو هذه المرة مختلفة . ذلك ان اسرائيل كان ينظر اليها على انه سيكون
لهذا القنبلة في مستهل السبعينيات . ومن ثم نجد موضوعين اساسيين
كانا مطروحين للمناقشة بين رابين وبيريز وهما :

(١) الى اى مدى يتعين على اسرائيل ان تستمر في تنمية قدرتها النووية
بالنسبة لقدرتها القتالية ؟

(٢) هل يتعين على اسرائيل ان تعلن على الملا عن خيارها النووي . كاجراء
اساسي لوضع العدوانية العربية ؟

ولقد كان شيمون بيريز ، احد كبار المهندسين الاسرائيليين لقدره
اسرائيل النووية ، يعتقد طوال سنوات عديدة ، ان القدرة النووية يمكنها
وحددها اقرار السلام . وكان يرى ان هذا يمكن تحقيقه من خلال مرحلتين (*)

« ان الخطر الكبير الذي تشكله الصواريخ (وكل شيء يقال عن
الصواريخ يصدق على نظم الاسلحة الاخرى المائلة) يتمثل في حالة وجودها
في الجانب العدواني فقط اى العرب . ولكن في حالة وجود الصواريخ لدى
الجانبين ، قد لا يحد ذلك من الادارة العدوانية فحسب ، وانما يحد كذلك
من خطر الحزب . لان حقيقة ان كلا الجانبين معرض للاصابة بحيث لا يجب
الليب بالخطط العسكرية » .

وتبعا لما يرى بيريز كانت هذه هي المرحلة الاولى الا وهي ايجاد توازن

(*) المرحلة القادمة ١٩٥٦ ص ١٧٩

الربيع في الشرق الاوسط . ولن يكون في وسع اسرائيل تحقيقه دون أن تعلن على الملا مبداءا للنوى ، ويندون تطوير خيارها النووي .

وتجبا لما يرى بيريز من انه عندما يصل الشرق الاوسط الى هذه المرحلة

تبدأ المرحلة الثانية :
« ان السلام لن يتحقق من جراء ذاته . . . لن تقره امم اجنبية خارجية انه لن ينمو في ظل الخلفية السياسية الحالية للشرق الاوسط ، غير انه في وسع اسرائيل ان تجعل السلام اكثر مثالا اذا أقنعت العرب بأنه مع استخدام العلم لن يكون لديهم الفرصة لاصابتها ، لافي الوقت الحاضر فحسب ، بل في المستقبل كذلك » (*) .

ودائما ما يستخدم بيريز تقريبا في مقالاته الاشارات التفسيرية التي يضعها بين الاقواس والتعابير اللطيفة عن الاشياء البغيضة . ولذلك وعندما يتحدث عن العلم ، يجب على المرء ان يفترض انه يعني به اساسا ورقة اسرائيل الراجعة وهي : التكنولوجيا النووية . فمن وجهة نظر وزير الدفاع الجديد . يعتبر هذا السلاح هو العجة السياسية الاساسية التي يمكنها ان توضع للربح . انه ليس في مقنورهم على الاطلاق تدمير اسرائيل دون أن يدمروا انفسهم ، ومن ثم يجب عليهم أن يتوصلوا الى اقرار السلام معها .

غير أنه في مواجهة هذا الرجل الاستراتيجي المؤيد للتكنولوجيا النووية كان يقف رابين الذي يصد الجيش الاسرائيلي منذ مستهل الستينيات لغرض حرب تقليدية . فقد عمل رابين في الفترة من ١٩٦٨ حتى ١٩٧٢ سفيرا لاسرائيل لدى الولايات المتحدة الامريكية . ومن ثم طور . خلال وجوده في واشنطن مفهوما جديدا اذ كان الامن الاسرائيلي يمتد - طبقا له - على القرارات التي تتخذ في البيت الابيض ، ولما كانت الولايات المتحدة الامريكية تعارض بشدة طوال العشرين عاما السالفة ، الجهود التي تبذلها أية دولة للحصول على أجهزة نووية . ولما كان واضحا بالنسبة لرابين أن انتهاج اسرائيل مبدأ نويا مستقلا . من شأنه أن يلحق الضرر بالعلاقات الاسرائيلية الامريكية . فقد اعترض على الاستراتيجية التي اقترحها بيريز . وبينما كان رئيس الوزراء رابين يطالب بعلاقات خاصة مع الولايات المتحدة ، يطالب بالحصول على موافقة الولايات المتحدة قبل اتخاذ أية مبادرة اسرائيلية ، كان بيريز يضغط من أجل انتهاج استراتيجية نووية وبذلك يلحق الضرر بالعلاقات الاسرائيلية الامريكية .

ولذلك ، كانت سياسة رابين تتمثل في استخدام الخيار النووي الاسرائيلي كقوة ضاغطة للحصول على مساعدات عسكرية ودبلوماسية

(*) نفس المصدر السابق بصفحة ٤٥ .

والصناديق من الولايات المتحدة . فكان يرى هذه المساعدات كقياس للعلاقات بين الدولتين . اما بيريز فكان يرى الورقة النووية الرابحة كوسيلة لتحقيق السلام او على الاقل التوصل الى وضع علم الحرب مع الدول العربية . وفي ضوء هذه العملية لوجهتي النظر المختلفتين ، تبين ، وقعت مصادمات عديدة بين رئيس الوزراء وبين وزير دفاعه ، وليس أدل على ذلك من الآتي :

وفي يوليو ١٩٧٤ زاد الرئيس نيكسون الشرق الاوسط . وقد عقدت خلال زيارته هذه صفقة بين الولايات المتحدة وبين مصر واخرى بين الولايات المتحدة وبين اسرائيل . وتتضمن الصفقة بأن تحصل كل من مصر واسرائيل على خططتين لتوليد الكهرباء بالطاقة النووية . وكانت هذه الصفقة هامة بالنسبة لاسرائيل التي تعتمد اعتمادا كبيرا تقريبا على المصادر الخارجية للحصول على ما يلزمها من الطاقة كما كانت الصفقة هامة كذلك بالنسبة للمصريين ، وفي اغسطس ١٩٧٦ ، انتهت المفاوضات في واشنطن وتم التوقيع بالأحرف الاولى الى الاتفاقيات الخاصة بهاتين الصفقتين بين مصر والولايات المتحدة ، وبين اسرائيل والولايات المتحدة . وعند مرحلة مصيبة كانت الاحارة الامريكية في ظل حكم كارتر مستعدة للموافقة على الصفقة بدون اجراء تفتيش على المنشآت النووية ، ورغم ذلك اصبح واضحا لكافة الاطراف ان التصديق على الصفقة يعتمد على موافقة كل من مصر واسرائيل على السماح للولايات المتحدة باجراء التفتيش على منشآتهما النووية . وكان من المقرر ان يصديق على الصفقة في منتصف ١٩٧٧ ، غير ان راين اضطر الى تقديم استقالته بسبب المشاكل السياسية الداخلية والشخصية التي واجهته واصبح بيريز الزعيم الجديد للحزب (الحاكم) حتى اجراء الانتخابات العامة في مايو ١٩٧٧ . وقد أدى هذا على الفور الى تغيير موقف اسرائيل ازاء الصفقة . وكان بيريز لا يوافق على شروط عقد الصفقة ، وخاصة تلك المتعلقة بالتفتيش الامريكى ، ولذا لم يوقع العقد على الاطلاق . ولا توجد لامريكا اية رقابة حتى الوقت الحاضر على المنشآت النووية الاسرائيلية .

٥. والواقع ان المناقشة والجدل الذي كان متاريا بين راين وبيريز لم يوقف انبحث النوى الاسرائيلي . فلقد تمكن العالمان الاسرائيليان اسحق نيبزراهل ومناحم ليفين في عام ١٩٧٧ من احراز تقدم في مجال معالجة التخصيب عن طريق استخدام اشعة الليزر . وبمقتضى هذا النظام الجديد اصبح من الممكن تخصيب سبعة جرامات من اليورانيوم ٢٣٥ الى درجة ٦٠٪ خلال يوم واحد . ويقدر الخبراء في هذا المجال ان ٥٠ كيلو جراما من الـ (٦٠٪) من اليورانيوم المنضب هو القدر الذي يحتاجه العلماء لانتاج قنبلة واحدة . وهذه هي ارضى العمليات القائمة لتخصيب اليورانيوم .

غير ان هذا لم يكن الاتجاه الوحيد الذي كانت تعمل فيه اسرائيل . ذلك ان اهداف اسرائيل ، فيما يبدو ، منذ بداية السبعينيات كانت ترمى

الى توسيع نطاق ترسانتها النووية من حيث الكم والكيف ، وكذا ترسانتها
في مجال نظم اطلاق الصواريخ . ومن اجل تحقيق هذا الغرض ، تتعاون
اسرائيل مع جنوب افريقيا ولان .

وقد اكتشفت اقمار التجسس الامريكية والسوفيتية في شهر سبتمبر
١٩٧٩ انفجارا نوويا فوق المحيط الهندي على ارتفاع ٢٦ الف قدم . وقدرت
وكالة المخابرات المركزية الامريكية وغيرها من اجهزة المخابرات في الغرب
ان الانفجار نتج عن اطلاق قذيفة نووية من مدفع خاص (عيار ١٥٥ سم)
انتجته شركة امريكية تسمى ابحاث الفضاء وكانت اسرائيل وجمهورية
جنوب افريقيا اشتركتا هذا المدفع الخاص ، بعد ان نجحتا في الافلات من
نظم المراقبة الامريكية والبريطانية والكندية . وقدرت مصادر المخابرات
الغربية ان الانفجار الذي وقع في سبتمبر ١٩٧٩ كان تجربة مشتركة بين
جمهورية جنوب افريقيا واسرائيل تتعلق باحد النظم النووية التكتيكية
المتطورة جدا .

وقد قال الكاتب الامريكي جاك اندرسون : ان اسرائيل وجمهورية
جنوب افريقيا قد وافقتا على التعاون مع دولة ثالثة . ومن المرجح انها تاوان
(وهي الدولة التي تشعر بتمرضها للحصار ، وخاصة منذ حسنت الولايات
المتحدة الامريكية علاقاتها مع الصين الحمراء) وقد انضمت لنادى الدول
المنبوذة . ويضيف اندرسون : انه في اطار هذا الصاون الثلاثي توجد دلائل
على ان جهدا مشتركا يبذل لتطوير صواريخ كروز التي يبلغ مداها ١٥٠٠
ميل . واذا ما اطلق مثل هذا الصاروخ من اسرائيل ، فسوف يصيب
اي هدف في العالم العربي ، ويصيب كذلك اهدافا عديدة جنوبي الاتحاد
السوفيتي . ويمكن لهذا النوع من الصواريخ اطلاقه من طائرة او من فوق
سفينة وبذلك يزيد مداها امينالا عديدة اخرى . كما توجد دلائل على ان
اسرائيل وجمهورية جنوب افريقيا تحاولان انتاج قنبلة نيوترون ، وانهما
يصلان على اساس اقامة ترسانة تكتيكية بنفس القدر الذي يقيمآن به
ترسانة استراتيجية .

غير ان موقف اسرائيل في المجال النووي ليس واضحا تماما (ومن
المرجح الا يتضح ابدا) ، ولكن من الممكن تقدير ان الجهد الذي بدأه
بن جوريون في هذا الصدد منذ نهاية الخمسينات قد أسفرت عن نتائج
مشرة للغاية من وجهة نظر الاستراتيجيين النوويين الاسرائيليين .

وتوجد تقديرات مختلفة للقدرات النووية الاسرائيلية ، ويقدر آخر
تقارير وكالة المخابرات المركزية الامريكية ان عدد الرؤوس النووية التي
تمتلكها اسرائيل تصل الى حوالي ٢٠٠ رأس وأن العدد الاكبر منها مخصص
لاغراض تكتيكية ، وتقدر قدرته التدميرية بحمل من ٢٥ كيلو طنا . ويوجد

لدى اسرائيل في الوقت الحاضر مجموعة متنوعة من نظم اطلاق الصواريخ . ذلك ان طائرات الفانتوم افسد اي ، او طائرات كابير سي ٢ الاسرائيلية الصنع ، او الطائرات اف-١٥ و اف-١٦ تمسك كلها طائرات مقاتلة قادة على قصف القنابل . والى جانب ذلك ، يوجد لدى اسرائيل - طبقا لتقديرات المصادد الغربية - ثلاثة صواريخ ارض - ارض على الاقل قادرة على حمل رؤوس نووية . كما يوجد نوعان من الصواريخ الاسرائيلية الفرنسية الصنع من طراز اريما وهما : (ام ٥٠ - ٦٦٠) ويبلغ مداه ٤٥٠ كيلو متر ، و (ام ٥٠ - ٦٢٠) وهو ذو مدى اطول ، ومزود بنظام ملاحي افضل . كما يوجد لدى اسرائيل صاروخ (لانس اس . اس) الامريكى الصنع الذى زودتها به الولايات المتحدة فى اعقاب حرب يوم كيبور . ويبلغ مداه حوالى ١٠٠ كيلو متر . ويمتد الخبر الامريكى ان فى امكانه حمل رأس نووى تكتيكي وزنه ١١ كيلو جراما وقدرته التدميرية كيلوطن واحد ، الى مدى يبلغ ١١٨ كيلو مترا . ويمكنه اصابة الهدف بدقة فى نطاق ٧٠ كيلو مترا اذا استخدم نظم الملاحة ذات القصور الذاتى .

والى جانب نظام الاطلاق الصاروخى هذا ، يترجح ان يكون لدى اسرائيل نظامان آخران فى نهاية الثمانينيات وذلك طبقا لتقدير بعض التقارير وسوف يكون أحد هذين النظامين مدفعا نوويا ، والآخر صاروخ كروز . واذا ما كان هذا هو حقيقة الموقف ، فانه سيكون لدى اسرائيل القدرة على توجيه الضربة الثانية - وهو عنصر هام بالنسبة لدولة مساحتها محدودة ، ومواردها من الايدى العاملة محدودة كذلك . وفى ظل هذه الظروف ، يحق للمرء ان يفترض ان اسرائيل سوف تتحرك من استراتيجية القنبلة فى « البدروم » الى انتهاج مبدأ نووى معلن . واذا ما حدث هذا ، فتقد يؤدى الى احداث تغير حاسم فى موقف العالم العربى المهادى للدولة اليهودية . ولقد كان بن جوريون يأمل منذ ٢٥ عاما ، فى ان قدرة اسرائيل النووية قد تحقق السلام فى هذا الجزء المضطرب من العالم .

٦ - صدام حسين ومشروع تموز

كان امتلاك العراق للتكنولوجيا النووية اول محاولة عربية تجاه التصنيع النووي ، على الرغم من أن الهدف الرسمي المعلن لبناء المفاعل لم يكن انتاج اسلحة نووية .

صدام حسين ، مجلة الأسبوع العربي

(لندن ، ٨ سبتمبر ١٩٧٥)

كتب ريتشارد لندنلي في مجلة « دي ليسز » ملخصا اسلوب حكم صدام حسين : « يحكم صدام الشعب وفي احدى يديه بندقتية وفي اليد الأخرى النقود . ويشير النقاد الى صدام حسين - باعتباره رئيسا لمجلس قيادة الثورة وأميناً عاماً لحزب البعث ، على أنه « جزار بغداد » . ذلك ان الضابط البعثي الذي وصل الى السلطة عام ١٩٧٩ قد حافظ على هذه السلطة من خلال العنف ، تبعا لمفاهيم التاريخ السياسي الحديث) في بلد يسيطر فيه الحكام من يتنون الى الاقلية السننية منذ ١٩٦٨ على اغلبية السكان الذين ينتمون الى الشيعة والاكرد . (يتكون سكان العراق من ٢٩٪ من اهل السنة ، و ٤٦٪ من الشيعة و ١٣٪ من الاكرد . وعلى النقيض من ذلك يتالف الجيش العراقي الذي يسيطر عليه حزب البعث من ٨٠٪ من السنة و ١٤٪ من الشيعة و ٤٪ من الاكرد . وأن ٩٠٪ من ضباط العراق من السنة) .

ووضع صدام حسين نصب عينيه ، تاريخ الدكتاتوريات السابقة الناجحة والطفافة السابقين ، ولذا قام - عندما كان رئيسا لقوات الأمن ومديرا للخابرات بعمليات تطهير داخل الجيش ، وأعدم أو نفى عددا من المعارضين من الضباط البعثيين والشيعة والاكرد . كما أنشأ ميليشيا من صفوة الحزب او « الجيش النظامي » ، واختار أعضائهما من العناصر الحزبية المتشددة الموالية له .

ومع حلول عام ١٩٧٨ ، كان النظام العراقي قد أصبح أكثر عنفا واتساما بالحسوية . ووجد صدام حسين أفضل أداة للربح في شخص خير الله حسين صهره وابن عم البكر ، الحاكم الاسمي . وقد نظم خير الله الذي كان يشغل منصب وزير الدفاع العراقي منذ ١٩٧٧ ، وكذا حاكم بغداد ، فرقة اغتيالات تابعة له بدأت سلسلة من الاغتيالات ، من بينها اطلاق الرصاص على (الناييف) رئيس وزراء العراق السابق امام فندق هيلتون بلندن . وفي عام ١٩٧٩ تنازل البكر ، الذي كان قد طعن في السن ، عن سلطته لصدام حسين ، الذي تولى

مصب رئيس مجلس قيادة الثورة ، وهنا ، مرة أخرى ، اطلق صدام حسين ، الذي كان حريصا على الدفاع عن نفسه ، (خير الله) على حوالى ١٢ من الضباط الشيعة المعارضين ، فتم القبض عليهم ، وتعرضوا للتعذيب . وقتلوا في عملية وحشية استمرت يوما واحدا ، مما يعيد الى الازمان ليلة المساكين الطويلة التي اقلها هتلر . ذلك ان صدام حسين ، والى جانبه حراسه . قد شاعه بنفسه عملية الذبح الوحشية لمعارضيه من الضباط الشيعة .

ومما لا شك فيه ان العراق يعد بلدا ذات قدرات عسكرية هائلة وكامنه . اذ يبلغ عدد سكانه ١٣ مليون نسمة ، ويصل اجمالي الناتج القومي له ١٨٠ مليار دولار . وتبلغ ميزانيته العسكرية ثلاثة مليارات ونصف مليار دولار سنويا . ويتألف جيشه من ١٩٠ الف جندي ، وينقسم الى ١٢ فرقة منها ٤ فرق مدرعة وفرقتان ميكانيكيتان . وتوجد في ترسقة العراق ٢٢٠٠ دبابة (منها دبابة سوفييتية الصنع على مستوى عال من طراز (ت - ٦٢ اس) و ١٧٠٠ قطعه مدفعية ، وعدد من الصواريخ المضخمة . كما تمتلك العراق سلاحا جويا يتألف من ٣٠ الف رجل ، وهو مزود بمسجلات مثل ٤٥٠ طائرة مهاجمة (وهذا العدد اكبر من عدد الطائرات المقاتلة التي تمتلكها بريطانيا العظمى مثلا) ، وكذلك ١٤٠ طائرة ذات مستوى عال مثل المراج - ٢٢ والموخوى والتوبولوف . ٢٢ اس . وتتألف البحرية العراقية من ١٤ آلاف بحار ، وتحضم ١٢ زورق طوربيد . ١٤ زورقا مضادا للصواريخ ، و ١٩ زورقا من انواع اخرى . ومنذ عام ١٩٧٣ زاد الجيش العراقي من ٦ او ٧ فرق الى ١٢ فرقة بلاضافة الى ٣ لواءات ابرار جوى . وخلال هذه الفترة ، تضاعفت قوة دبلته ، وزاد اجمالي طائراته المقاتلة من ٢٥٠ الى ٤٥٠ طائرة بينما قفز عدد طائرات الهليكوبتر من ٨٠ الى ٢٢٥ طائرة . كما حصل العراق على اسطول من هيلبات الدبابات ومن المرجح امكان استخدامها ضد اسرائيل .

غير ان اكثر الاشياء التي تفتخر بالشر ، هو ان العراق يعد البلاد العربي الوحيد في الشرق الاوسط الذي يفتخر بقدرته النووية ، وهو الامر الذي سنناقشه فيما بعد في هذا الفصل .

ان صدام حسين والعراق لهما طموحان في منطقة الخليج ، احدهما ذو طبيعة عامة وطويلة الاجل ، وامر عاجل يتعلق بالاراضى . ذلك ان العراق يريد ان تكون القوة العربية المسيطرة في الخليج للفارسي ، ولا ترضى بشيء اقل من ذلك . فهي تريد ان تحل محل ايران التي تتفكك وتحتل ببطء ، والتي تهتم الان تقريبا بسياساتها الداخلية وعدائها للولايات المتحدة .

وتبعاً لما تقوله الصحافة العراقية ، يسمى صدام حسين الى السيطرة على اقليم خوزستان الايراني (او عريستان ، كما تسميه العراق) وعلى اقليم بلوخستان الايراني ، وكذا على الكويت الغنية بالبتروول . والواقع ان ايران والعراق قد خاضتا مع بعضهما عددا من الحروب الصغيرة نيبا بين عام ١٩٧٣

و١٩٧٥ حول المنطقة التي تقع على ضفتى شط العرب ، وهو النهر الذى يفصل إقليم خوزستان الايرانى عن العراق . وتم التوصل الى اتفاق الجزائر « عام ١٩٧٥ بين شاه ايران وصادق حسين (وقد وعدت فيه ايران بعدم التدخل فى إقليم خوزستان بالعراق ، مقابل وعد العراق بالكف عن ممارسة الاعتداءات على إقليم خوزستان الايرانى) ، لكن هذا الاتفاق لم يعد قائما الآن . ففى سبتمبر ١٩٨١ ، تفجرت الحرب القديمة مرة اخرى فى نفس اللحظة التي كانت تواجه فيه ايران المحاصرة والمنقسمة على نفسها العقوبات التي فرضتها الولايات المتحدة عليها وقطع العلاقات الدبلوماسية الرسمية .

اما الهدف التالى لصادق حسين المكمل لهيئته على الخليج فهو تدمير اسرائيل . ذلك ان موقفه المعادى لاسرائيل يتسم بالتشدد والاستمرار والعنفية منذ ١٩٧٨ على الاقل ، وذلك عندما اعلن فى خطاب اذاعه راديو بغداد : « ان الموقف المبدئى والثابت للنظام العراقى ازاء النزاع العربرى الاسرائيلى يقتثل فى الرفض الكامل لاي حل سياسى ، وان تسوية النزاع تكمن فى شن صراع عسكرى شامل بهدف انتزاع الصهيونية من المنطقة » .

وقبل ذلك بعام واحد ، وضع صدام حسين واحمد حسن البكر حاكم العراق الاسمى آنذاك والرئيس السورى حافظ الاسد ميثاق العمل القومى ، وهو اساس جبهة الرفض . وقد قامت الجبهة ذاتها خلال الاجتماع الذى انعقد فى طرابلس فى ديسمبر ١٩٧٧ ، وتضم العراق وسوريا وليبيا والجزائر واليمن الجنوبية ومنظمة التحرير الفلسطينية . وقد دعت الجبهة فى اعقاب زيارة السادات للقدس . الى شن حرب اقتصادية على السادات والصهيونية والامبريالية الامريكية . ومنذ ذلك الحين ، غدت الجبهة التي تراسها العراق المسيطرة عسكريا ، قوة فعالة فى جعل دول عربية معتدلة مثل السعودية والاردن لا تخرج عن موقف الجبهة . وقد قدمت العراق الملجا لكثر الجماعات الفلسطينية والعربية الراديكالية ومن بينها الجماعات ذات الاتصال المباشر بموسكو مثل جماعة « ابو نضال » (يونيو الاسود) التي تعمل فى اليمن الجنوبية . كما ساندت العراق ثورة ظفار فى سلطنة عمان .

ومن المؤكد ان العراق تعد اقرب الدول العربية الى الحصول على القنبلة الذرية ، يدفعها الى ذلك الرغبة فى ان تصبح زعيمة الخليج الفارسى والدول العربية والعالم الثالث . وحتى تجعل العراق سياستها هذه فعالة ، زادت من قوتها العسكرية ببعدل لا مثيل له من قبل . واستخدمت دولاراتها البترولية ، وسعت لتطوير الهيكل الاساسى للتكنولوجيا العسكرية ، وذلك فى ضوء ان العراق قد كونت خلال السنوات الاخيرة او نحوها ، ترسانة تقليدية قوية ، حتى تصبح اقوى دولة بين الدول العربية كلها . غير ان هذا لم يكن كافيا بالنسبة لصادق حسين . ذلك انه منذ منتصف السبعينيات ، تبنى العراق قواتها فى مجال آخر - هو المجال النووى .

ويمكن تتبع اثر الجهود العراقية في هذا الصدد منذ عام ١٩٥٩ . بعد ذلك
العام اصدرت الحكومة العراقية القانون رقم ٤٥ الذي تنشأ بمقتضاه لجنة الطاقة
النووية العراقية . وفي عام ١٩٦١ عين رئيس الوزراء نفسه رئيسا لهذه اللجنة .
والان يتولى صدام حسين هذا المنصب .

وقد قبلت العراق في عضوية الوكالة الدولية للطاقة الذرية عام ١٩٥٩
في ٢٩ اكتوبر ١٩٦٩ وقمت على معاهدة حظر الانتشار النووي . ولم
التصديق على المعاهدة في ١٤ مارس ١٩٧٢ ، مع الاشارة الى ان الموافقة على
المعاملة لا تعني ان العراق تعترف بدولة اسرائيل .

وفي ٢٠ يوليو ١٩٦٠ ، وقمت العراق مع الاتحاد السوفيتي امانتا بشأن
بناء مفاعل ابحاث . وبدا السوفيت عام ١٩٦٢ ببناء المشروع في منطقتهم مع عمل
بعد ٢٠ كيلو مترا جنوب شرقى بغداد . وتم بناء المشروع عام ١٩٦٨ . وقد
وافق السوفيت بعد عشر سنوات على تغيير الوقود المستخدم في المفاعل .
فيبدأ من ان كان يعمل بـ (١٠٪) من اليورانيوم المخصب ٢٣٥ . اصبح يعمل
الآن بـ (٨٠٪) من اليورانيوم المخصب ، وزادت قوته من ٢ الى ٥ ميغابارات .

وقد زود السوفيت العراق بتسهيلات اخرى . وبذلكمكنوا العراقيين
من بناء مجمع نووي كليل ويضم معملا لانتاج النظائر المشعة ، ومعامل فبرياء
خاصة ، وغيرها من المشروعات الصغيرة . وقد ارسل حوالي مائة طالب عراقي
للاتحاد السوفيتي لاستكمال دراستهم في الطبيعة النووية .

ولقد كان هذا المشروع السوفيتي الصنع ، الذي يوجد بالقرب من
بغداد كافيا بالنسبة لاحدى دول العالم الثالث المهتمة بالتكنولوجيا الحديثة .
غير ان هذا المشروع كان بالنسبة للنظام البعثي في العراق غير كاف . فقد
كان الفيتيون الروس يفتشون على المفاعل منذ عام ١٩٦٨ . وفي ظل هذا
التفتيش الوثيق ، ادرك العراقيون انه لن تواترهم الفرصة للحصول على كمية
من اليورانيوم او البلوتونيوم تكفي لانتاج قنبلة . ولذلك ، كان عليهم
- ان ارادوا ان يحصلوا على القنبلة - ان يستعينوا بمصادر خارجية اخرى .

ولما كانت العراق واحدة من اكبر الدول التي تزود الغرب بالبتترول ،
فان زعماء العراق وصلوا الى نتيجة مفادها انه في وسعهم ايجاد فرصة طيبة
تسكنهم من الحصول على المنشآت والخبرة الفنية النووية من اوروبا الغربية .
ولقد كان للدول الغربية ، وخاصة فرنسا وايطاليا ، ميزتان كبيرتان في هذا
الصدد ، بالمقارنة مع الاتحاد السوفيتي من وجهة نظر العراق . اولهما ، ان
الدول الغربية كانت على استعداد لتزويد العراق بالمعدات اللازمة للوصول
الى خيارها النووي ، وثانيهما ، ان التكنولوجيا الغربية كانت اكثر تقدما
من التكنولوجيا الروسية ، وخاصة في مجال صنع اليورانيوم المخصب ،
والبلوتونيوم .

وفي ٧ ابريل ١٩٧٥ ، عقد في بغداد مؤتمر علمي . اشترك فيه الى جانب العلماء النوويين العراقيين ، علماء عرب ، وكذا علماء امريكيين واوروبيين غربيين . وفي وسعنا أن نفترض في الوقت الحاضر ان هذا المؤتمر قد احرز تقدما في الجهود العراقية الرامية الى انتاج القنبلة . فقد عقدت خلاله اواخر الصلوات الاولى بين رئيس ادارة الوقود النووي بلجنة الطاقة النووية الايطالية وبين العلماء العراقيين . ومن ثم بدأت العملية التي ادت الى الفاترة الاسرائيلية على المفاعل العراقي .

ولقد كان من المعروف عند حلول عام ١٩٧٥ ان شاه ايران ، وهو العدو المجاور للعراق ، قد شرع في تنفيذ برنامج نووي طموح من شأنه ان يمكنه من الحصول على القنبلة في غضون اقل من عقد . بيد ان العراقيين لم يكن يحركهم للحصول على القنبلة الخوف من ايران . فخلد كان لزراعة حزب البعث طموحاتها الخاصة - وهي السيطرة على الخليج الفارسي وان تصبح العراق دولة قائدة في العالم الثالث . ومن ثم ، كان الحصول على القنبلة اللدنية يعد مقياسا لبلوغ هذه المكانة القوية ولذلك ، قرر العراقيون التجهيل بتنفيذ خططهم ، وقد ثبت ان اول بلد اتجهوا اليه لتحقيق هذا القصد ، هو من اكثر البلاد التي يمكن الاعتماد عليها وهى : فرنسا .

وفي سبتمبر ١٩٧٥ ، قام صدام حسين نائب الرئيس العراقي آنذاك ، والرجل القوي في النظام العراقي ، بزيارة لفرنسا . وقد وقعت الدولتان ، بعد مباحثات طويلة ، اتفقا بشأن التعاون النووي في ١٨ نوفمبر ١٩٧٥ . ولقد كان العراقيون ، حتى قبل توقيع هذا الاتفاق يبدون اهتماما بالتكنولوجيا الفرنسية التي يمكن استخدامها في الأغراض العسكرية وكذا الأغراض المدنية . وقد طلب العراقيون من الفرنسيين ان يزودهم بمفاعل لتوليد الكهرباء تبلغ قوته ٥٠٠ ميجاوات . ولقد بنى هذا الطراز من المفاعلات في فرنسا في الفترة ما بين ١٩٥٩ و ١٩٧٢ ولم يستخدم كحطلة لتوليد الطاقة بحسب ، بل استخدم لانتاج البلوتونيوم كذلك . كما بنى هذا النوع من المفاعلات الجرافيتية (الكربونية) في الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة ، بل من المرجح انه بنى كذلك في الاتحاد السوفيتي . وعلى الرغم من ان هذه المفاعلات تعمل كحطلات لتوليد الطاقة ، نجد ان الدول الكبرى تستخدمها اساسا لانتاج البلوتونيوم . غير انه عند حلول نهاية الستينيات ، تم اكتشاف نظم أكثر فعالية لتوليد الكهرباء . ولذلك توقفت الدول الغربية عن انتاج هذا النوع من المفاعلات وطلبت العراق هذا النوع من المفاعلات ، ومن الممكن نهم معنى هذا الطلب اذا وضعنا في الاعتبار حقيقة ان هذا المفاعل ينتج ٤٠ كيلو جراما سنويا من البلوتونيوم الذي يمكن استخدامه في اغراض عسكرية .

ولقد رفض الفرنسيون طلب صدام حسين الخاص بالحصول على المفاعل الذي يمكن استخدامه في ابحاث وتسهيلات أخرى يمكن ان توفر لهم على نحو

غير مباشر خيارا نوويا . وكان هذا العرض هو المقاعل النووي أوزوريس المتقدم للغاية ، و ذو الطاقة الحرارية المرتفعة للغاية - اذا ما قورنت بالطاقة الحرارية بغيره من النماذج الاخرى كما انه يعمل باليورانيوم المخصب .

ومن المعروف ان المواد تضر ففصلتها نتيجة تعرضها لاشعاع قوى ولذلك كان من الضروري دراسة نتائج الاشعاع على المواد المكونة لهيكل المفاعل وينتج أوزوريس الى مجموعة من المفاعلات تسمى « مفاعلات اخيار السادة » وقد صمم هذا النوع من المفاعلات من اجل تحقيق الفرض سالد الذكر . ومن ثم ، لا عجب من ان تستخدم الدول الصناعية الكبرى وخدماتها مثل هذه المفاعلات في ميدان التنمية و انتاج بلمعات الطاقة . والعراق لا يعد من بين الدول الصناعية المتقدمة في العلم ، ولا يوجد اى دليل على انها من الدول التي تبني المفاعلات ، ولذلك كان لاختيارها مفاعل ابخات أوزوريس يبدو امرا يتسم بالسخف . غير ان أوزوريس كان يتضم بسمة واحدة جعلته ملائما بالنسبة للاغراض العراقية ، بالرغم من ان العراق لم تؤكد هذه الاغراض . ذلك انه واحد من افضل المفاعلات القائمة لانتاج البلوتونيوم المستخدم في الاغراض العسكرية .

ولقد كان الفرنسيون ، وكذلك الأمريكيون ، يدركون بالطبع دلالات البرنامج العراقي الذي يستند على هذا النوع من المفاعلات ، كما كانت توجد مؤشرات اخرى تدل على الهدف الحقيقي الذي تبني العراق تحقيقه .

وفى ١٥ يناير ١٩٧٦ ، وقع اتفاق بين ايطاليا والعراق ، و امق الايطاليون بمقتضاه على تزويد العراقيين بمعدات وبخبرة فنية لمواجهة المشكلات التووية . وشمل ذلك اعادة دورة الوقود النووي ونظاما خاصا لمعالجة الوقود النووي المشع . وهذا في الواقع اسم آخر لفصل البلوتونيوم

وعند حلول نهاية ١٩٧٦ ، كان العراقيون يتقدمون لتحقيق طموحاتهم النووية . ففي اطار الاتفاق الذي تم التوصل اليه مع فرنسا ، كان مشروع اوزيراك ، كما كان يطلق عليه ، قد بدأ . وتحت مظلة اوزيراك جرى بناء نوعين آخرين من المفاعلات عام ١٩٧٧ . كان الأول هو أوزوريس الذي تبلغ قوته ٧٠٠ ميجاوات ، بينما كان الثاني مفاعل ابخات نوويا صغيرا يسمى ايزيس . ثم غير العراقيون اسم المشروع الى « ٧٠٧ تومز » وهو تاريخ تولي حزب البعث السلطة . وسمى المفاعل لوزوريس « تومز - ١ » ، بينما سمي المفاعل الاصفر « تومز - ٢ » . كما تم بناء بعض مفاعلات خاصة للفيزياء في اطار مشروع تومز . وحتى يتسنى مراقبة نوع المشروع اقيم اتحاد آخر من مجموعة من المؤسسات الفرنسية (كونسورتيوم) في بداية عام ١٩٧٨ .

وبينما كان « الكونسورتيوم » الفرنسي ينشئ مشروع توموز ، تم توقيع اتفاق آخر في ٨ فبراير ١٩٧٨ . وكان هذا الاتفاق قد عقد بين مجموعة « شركات ايطالية » هي « سنين » و « سينا » و « أمن » بين الحكومة العراقية . وكان اسم المشروع الجديد هو « ٣٠ يوليو » .
وكان هذا المشروع بالنسبة للعراقيين يماثل في اهميته تقريبا مشروع توموز . وقد اشتركت فيه بعض الشركات الايطالية الاخرى كعقاولين من الباطن » .

وإلى الوقت نفسه ، تم ايضاً ما بين ١٥٠ الى ٢٠٠ من العلماء العراقيين لدراسة التكنولوجيا النووية المتطورة . كما ارسل ١٥٠ مهندسا وفنيا آخر الى ايطاليا من اجل تلقي دراسات متقدمة . فلقد كان صدام حسين الذي يحرف شخصيا على المشروع النووي يدرك ان تنوع موارد القوى العاملة ، على نحو كاف ، يعتبر اساس النجاح في تشغيل مثل هذا البرنامج الضخم . ولقد كان « رجل بغداد القوي » ، كما تطلق عليه اجهزة الاعلام الاجنبية ، يسي الهدف النهائي لمشروع كله . ولم يكن الايطاليون والفرنسيون ليتمكنوا من انتاج القنبلة . طالما كان الفنيون التابعون لهم لا يزالون يعملون في موقع توموز . ولذلك ادرك العراقيون ان عليهم ان يعمدوا الاجانب عن الموقع قبل ان يشرهوا في العمليات اللازمة لانتاج القنبلة . ولذلك ، كان عليهم ان يعدوا مقدما عددا كانيا من العاملين المؤهلين حتى يمكنهم ادارة المشروع هنذا يتركه كافة العلماء والفنيين الاجانب .

وفضلا عن عقود واتفاقات التعاون التي ابرمها العراقيون مع ايطاليا وفرنسا ، تطلعوا الى تحقيق المزيد من التصالون مع دول اخرى كذلك . وكانت البرازيل من بين هذه الدول . ففي ٨ يناير ١٩٨٠ توصل البلدان الى اتفاق تزود البرازيل بمقتضاه العراق بخام اليورانيوم ويورانيوم مخصب ذي درجة « منخفضة » ووصل العلماء البرازيليون الى بغداد في شهر يونيو ١٩٨٠ لاختيار احتمالات تعدين اليورانيوم في العراق ذاته . وكان العراقيون يرون ان اتفاتهم مع البرازيل هام للغاية ، نظرا لانه كان من المفترض ان البرازيل تحصل على تكنولوجيا تخصب اليورانيوم من المانيا الغربية . ومن ثم كان العراق يتوقع ، بدوره ، ان يحصل على هذه التكنولوجيا من البرازيل ، الامر الذي يفتح امامه خيارا جديدا لانتاج القنبلة .

كما كان العراقيون يحاولون تجميع اكبر كمية من اليورانيوم يمكنهم الحصول عليها من جميع انحاء العالم . ففي عام ١٩٨٠ اشترتوا ١٢٠ طنا من البرتفال و ٢٠٠ طن من النيجر . وكانوا يمتازون شراء اليورانيوم من المغرب في المستقبل . وكانت مصادر المخبرات الغربية تصرف ان عملاء العراق حاولوا شراء يورانيوم منخفض الدرجة من دول اخرى دون ان ينجحوا في ذلك . وقد استخدموا في هذا المجال من النشاط ، خدمات المتعاملين في صفقات الاسلحة وبعض الاطراف المريبة في العالم الثالث .

ولقد كانت المفاوضات بين العراق وباكستان سرية مثلما كانت تطوى على أهمية بالغة . فكما قلنا بالفعل ، توجد لدى باكستان أكثر تكنولوجيا نووية متقدمة في العالم الإسلامي . وتفصيل ضئيلة بشأن هذه المفاوضات قد عرفت حتى الآن ، لكن من الواضح ان الاتفاقات بين هاتين الدولتين يمكن ان تكون في مجالات حساسة مثل اليورانيوم المخصب ونصل البلوتونيوم بل حتى بناء أجهزة نووية .

ويحلول منتصف عام ١٩٨٠ ، لابد ان مدام حسين ، الذي اصبح رئيسا للعراق منذ العام الماضي ، كان يشر بالرضاء البالغ ازاء ما تحرزه بلاده من تقدم في الاتجاه النووي .

في نهاية شهر يونيو ١٩٨٠ شحنت فرنسا الى العراق اول (١٢ كيلو جراما) من يورانيوم مخصب تبلغ درجة جودته ٩٢٪ وكان من المقرر ان تستلم العراق من فرنسا حوالي ٨٠ كيلو جراما من هذا النوع من الوقود المفاعل لتشغيل مفاعليها تموز - ١ وتموز - ٢ ، واذا كانت العراق قد اختارت منهاجا صريحا يحقق لها انتاج لثقلية، فان عليها ان تحصل على ٨٠٠ كيلو جراما من يورانيوم ابي ملينكي لانتاج ما بين ٤ الى ٦ « قنابل » في قوة قنبلة هيروشيما . غير ان هذا الخيار كان ملائما بحسب في حالة وجود وضع طارئ . وفي المدى الطويل كان صدام حسين ورفاقه في حزب البعث يتوقعون تشغيل كلا المشروعين - ١ و ٢ تموز لفرنسي الصنع ، و ٣٠ يوليو الايطالي الصنع . في نهاية عام ١٩٨٠ . وكان الجمع بين المشروعين من الممكن ان يوفر للعراق قودة بلوتونيوم على الفور . وقد وصف كبار العلماء النوويين العراقيين « للرجل القوي في بغداد » كيف سيستمر في المشروع من اجل انتاج البلوتونيوم اللازم لانتاج القنبلة بعد ان يخاطر العلماء والفنيون الاجانب المشروع .

واستطرد العلماء العراقيون شارحين لزمعهم كيف يمكنهم بما لديهم من التسهيلات والأجهزة التي حصلوا عليها من فرنسا وايطاليا وغيرها من الدول ، صنع القنبلة بانفسهم .

وقد حدث هذا في صيف عام ١٩٨٠ . ووعده العلماء العراقيون صدام حسين بانه اذا لم يحدث شيء غير متوقع ، فان مشروع ١٧ تموز سيتم اتمامه في غضون اقل من عام .

وكان صدام حسين يشر بالارتياح ، وهو يفكر في الخطة التي عرضها عليه العلماء . وكان يأمل في اتمام هذا المشروع في أسرع وقت ممكن . غير انه عندما اخذ في اعتباره العقبات التي كانت تترض المشروع في ذلك الوقت ، والطرق الفاضلة للمفاعلات ذاتها . وطن نفسه على مجابهة مشاكل أكثر من الذي تنبأ به العلماء المتفائلون .

الجزء الثالث

صنع القرار

٧ - تهذير - التخريب في فرنسا

عل الرغم من أن العراقيين كانوا في صيف ١٩٨٠ يمشون قدما في تنفيذ برامجهم النووية ، كان عليهم أن يواجهوا الكثير من الصعوبات ، والتأجيلات منذ بدا المشروع في عام ١٩٧٥ ولابد ان مجموعة من الضغوط الدبلوماسية مقترنة بنشاط تامري غامض - قد حذرتهم من أن الطريق الى انتاج القنبلة لن يكون سهلا .

ولقد تعرض الاتفاق الاساسي بين العراق وفرنسا بشأن اقامة مشروع ١٧ - تموز للهجوم على ثلاث جبهات .

اولها : انه كان هناك انشقاق داخل فرنسا بشأنه . ذلك انه فور توقيع الاتفاق احتج (اندريه جيرو) رئيس لجنة الطاقة النووية الفرنسية ، لان الاتفاق قد يسمح للعراق بالانضمام للنادي النووي الخاص كما احتج كذلك مسئول بالحكومة الفرنسية ضد الاتفاق ، زاعما انه قد يؤدي الى توقيع اتفاقات مماثلة مع دول عربية اخرى من بينها ليبيا . ذلك ان الشرق الاوسط عندما يصبح منطقة نووية وتكون القنبلة في حوزة حكام مثل القذافي وصدام فان ذلك سيكون خطرا بالنسبة لفرنسا كما هو خطير بالنسبة لاسرائيل .

ولقد كان لـ (جاك شيراك) رئيس وزراء فرنسا عام ١٩٦٧ وجهة نظر ازاء الاتفاق . فقد كان ينظر الى العراق على انها ستكون دولة عربية فائدة في المستقبل ، وأهم مورد للبترول لفرنسا ، ولم يكن شيراك ساذجا ، وكان يمكنه ان يفتخر جيدا الى السبب الذي يجعل صدام حسين مهتما جدا بمشروعه الباهظ التكلفة ومع ذلك قرر ان الاتفاق يجب ان يتم من اجل مصلحة فرنسا مهما كانت العقبات التي تنشأ بسببه ، ومن ثم هدد باقصاء (اندريه جيرو) من منصبه اذا لم يتم الاتفاق . وكان في وسع رئيس الوزراء الفرنسي تجاهل رأى المسئولين المهنيين ، الا انه لم يكن في استطاعته تجاهل الاحتجاج الامريكى .

والواقع ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي تعتبران أكثر الدول الموثوق منها فيما يتعلق بمراعاة اتفاقية حظر الانتشار النووي . اذ تتمتع الدولتان بتكنولوجيا متقدمة في المجال النووي، وقد بذلت الدولتان غاية ما في وسعهما لمنع الانتشار النووي . كما كان في وسع الولايات المتحدة التأثير على السلوك

الفرنسي . لانها تمد فرنسا بمعظم محتاج اليه من اليورانيوم المخصب من اجل تشغيل مفاعلات على نبط اوزوريس . ويبدو ان الادارة الامريكية حددت فرنسا بفرض حظر على اليورانيوم المخصب الامريكي الذي تنقله فرنسا الى العراق ، غير ان الفرنسيين اكتشفوا سبيلا فعالا للتغلب على هذه العقبة ، فقد قرروا تزويد العراق بيورانيوم من المخزون الاستراتيجي العسكري لفرنسا . وقد بولى الرئيس الفرنسى (جيسكار ديستان) بنفسه الاشراف على موضوع المساعدات الفرنسية للعراق حتى يجنب اى ضغوط ، اخرى او تعطيل للمشروع .

غير انه كانت هناك دولة اخرى لاتزال تخشى المشروع العراقي واعربت عن احتجاجها ضد المساعدات التى يقدمها الفرنسيون للمشروع . ففي بدايه عام ١٩٧٦ ، وبناء على تعليمات من (ايجال يانين) وزير الخارجية الاسرائيلى زار (مورد خاى جازيت) السفير الاسرائيلى لدى فرنسا مقر رئاسة الوزراء الفرنسى فلقد كان الاسرائيليون منذ وقت طويل يسمعون بالقلق ، بالطبع ، من المفاوضات الفرنسية العراقية ، اما الان وقد وقع الاتفاق بين البلدين ، فان (جازيت) قد طالب الحكومة الفرنسية بان تقدم لبلاده ايضاحات حول هذا الاتفاق كما ارجح لدى رئيس الوزراء الفرنسى . غير ان احتجاجه لم يسفر عن اى نتيجة ، وذهب سدى .

ففى ١٧ سبتمبر ١٩٧٦ . صدق برلمان الدولتين على الاتفاق واذا كان بعض اعضاء البرلمان الفرنسى قد احتجاجوا على التعاون الفرنسى العراقى ، الذى قد يودى الى خيار نووى ، لمن (جيسكار ديستان) و (شيراك) لم يواجهوا اية مشاكل بالنسبة للحصول على تأييد غالبية اعضاء البرلمان الفرنسى .

وفى شهر ديسمبر ١٩٧٦ . وقع حادث اضر كلف الى اى مدى كان العراقيون جادين فى تحقيق خيار نووى من خلال مشروع ١٧ تموز . فلقد دعا (هنرى كيسنجر) وزير الخارجية الامريكى - الذى كان مدركا للنتوات المحتملة فى العالم الثالث ، اذا ما استقرت دول اوربية غربية فى تزويد دول من الدرجة الثانية والثالثة بتسهيلات نووية ، مما يزيد من الانتشار النووى - اندول الغربية الى عقد مؤتمر فى لندن لبحث هذا الموضوع ، وقد وافق المؤتمر ابدى اشتركت فيه الدول الغربية المتقدمة فى هذا الميدان الخاص (من بينها المملكة المتحدة وفرنسا والمانيا الغربية ، وايطاليا ، وكندا واليابان ، والولايات المتحدة) على ضرورة فرض قيود اكثر تشددا مما تفرضها اتفاقية حظر الانتشار النووى على مسألة التعاون النووى مع دول العالم الثالث . وكانت فرنسا مضطرة الى التوقيع على هذا الاتفاق العلم ، وقد اعلنت نتيجة لهذا الغاء اتفاقها بتزويد باكستان بمحمن لانتاج اليورانيوم المخصب . ولكن مما يدعو الى الغرابة ان فرنسا لم تقل كلمة واحدة حول المشروع العراقى . كما التزم الامريكويون الصمت بشأنه .

وطوالي مام ونصف لم يتغير أى شئ، ولقد كانت فرنسا والمراق تشعمران
بمفرضا فلك ان مشروع تروز (وكذلك مشروع ٣٠ يوليو الابطالى ، بجرى
المصل فيه دون عقبات . ولقد كانت الشركة الفرنسية (نافالست
آبه مستيبالميس دى لايدنربيلال ، التى تعادتت على بناء قلبى المفاعلين قد اتعت
بمبشها . وكان من المنتظر شحن هذين القلبين من جنوب فرنسا الى العراق فى
٩ ابريل ١٩٧٩ . غير ان هذه الشحنة لم تغادر الاراضى الفرنسية .

على ٤ ابريل ١٩٧٩ ، وصل الى طولون على الشاطيء الفرنسى ٣ سائحين
يحملون جوازات سفر اوروبية . وبعد ذلك بيومين . اى فى ٦ ابريل ، وصل
(سائحين آخرون وانصوا الى اصديقاتهم الذين كانوا يقيمون بأحد الفنادق
الصغيرة بالمدينة . وفى تلك الليلة ، غادروا طولون فى سيارتين منجهين الى
« لسين - سير مير » بالقرب من كوت دازور ومى احد الملاجمى التابعة للشركة
الفرنسية بميناء المدينة كان قلبا مغالى تروز - ١ وتوز - ٢ على استعداد
للمشغنها خلال ٨ ساعة الى العراق . ولم تكن اجراءات الامن فى
الميناء جيدة .

ولذلك ، لم يجد فريق الأشخاص السبعة القوى اية صعوبة تعترض
طريق دخولهم مكان قلبى المفاعلين العراقين . ونشرت الصحف الشعبيه
بئها بعد - حكايات تصف فيها : كيف حاولت المجموعه سرقة بعض عناصر
من قلب المفاعل ، الا ان هذه الحكايات ثبت انها محض خيال . لقد انجزوا
مهمتهم على وجه تام . لقد اوصلوا شحنات متفجرة بقلبى المفاعلين . وقد قام
خمسة رجال بهذه المهمة ثم لحقوا بالرجلين الآخرين اللذين كانا ينتظران فى
الخارج لتفطيتهم . وقد عاد الرجال السبعة الى سيارتيهما . وخلال خمس
دقائق ، كانوا قد غادروا المدينة الصغيرة بينما كان سكانها لا يزالون نائمين .
وفى الساعة الثالثة صباحا دوى انفجار فى الميناء ولم تكذب دقايق قليلة
حتى دوى انفجاران آخران .

واندمع البوليس وجهاز المخابرات الفرنسية والخبراء العسكريين الى
الميناء حيث موقع الانفجارات . وهناك وجدوا بقايا قلبى المفاعلين - كومة من
المواد المحترقة . وقد تعرف احد الخبراء عليها . كما عثر البوليس فى نفس
المكان على ٣ شحنات اخرى لم تنفجر . وبامستثناء قلبى المفاعلين لم تدمر
اية معدات اخرى .

ولم يكشف النقاب عن شخصية وجنسية الفريق المقاتل الذى قام بهذا
العمل البالغ الاحتراف وايا كانت التخمينات والتكهنات ، فمن الواضح ان هناك
عددا كبيرا من القوى الاجنبية التى كانت ترى ان المشروع العراقى يعد تهديدا .

وعقب الفارة السرية تلقت صحيفة « الموند » وغيرها من الصحف
الفرنسية الرئيسية مكالمات تليفونية مجهولة من افراد منظمة تسمى « جياحه

البيثة الفرنسية، زعموا انهم دمروا المعدات العراقية حتى يسهلوا فعالية الاسلحة الخطيرة * من اجل مستقبل الجنس البشرى * ولم يكن احد قد سمع عن هذه الجماعة قبل ذلك ، كما لم يسمع عنها احد بعد ذلك . ولم يساور المخابرات الفرنسية اى شك في انه لا توجد اية جماعة من ائصار البيئة بيكتها ان تقوم بهذه العملية المعقدة التي لا يضطلع بها غير محترفين . ولذلك فان شكوى المخابرات الفرنسية اتجهت الى منطلات اخرى . وكثمت المخابرات الاسرائيلية (الموساد) هي اكثر هذه المنطلات المرجح اضطلاعها بهذه العملية ، واكثرما احتراما تبعا لما ذكرته اجهزة الاعلام الفرنسية .

ذك ان المخابرات الاسرائيلية حققت شهرة ملحوظة خلال وجودها القصير فمن بين النشاطات التي قامت بها هذه المخابرات تلك العملية التي نفذتها و بداية الستينيات لتقويض جهود عبد الناصر للحصول على صواريخ ارض - ارض - مزودة برؤوس غير تقليدية ولم يساور الفرنسيون اية شكوك في ان لاسرائيل مصلحة مباشرة في ابطاء المشروع العراقي او حتى وقف تنفيذه كما لم يساورهم اى شك كذلك ، في ان الموساد كان بيكتها تنفيذ هذه المهمة . وقد تكهنت اجهزة الاعلام الفرنسية بان الاسرائيليين كان في وسعهم القيام بهذه الغارة ، ولكن بعد حصولهم على مساعدة من الداخل وترددت تلميحات بان علماء من وكالة الطاقة النووية الفرنسية قد زودوا الاسرائيليين بمعلومات لتنفيذ هذه المهمة واذا ما اخذنا في الاعتبار ان بعض هؤلاء العلماء كانوا يفركون جيدا الاهداف العراقية ، وكانوا يشمرون بالقلق تجاهها ، فان هذا الامر ينطوى على معنى واضح . كما ان للاسرائيليين تاريخا من العلاقات مع فرنسا . بل ان مثل هذه الاتصالات ربما كانت لاتزال قائمة حتى بعد التفجير الذي نتج به العلماء المعتدلون .

بل ان صحيفة « انترناشيونال هيرالد تريبيون » الامريكية قد ذهبت الى ما هو ابعد من ذلك فقد المحت الى ان الغارة قد قام بها موظفون في المخابرات الفرنسية ممن امركوا اخيرا ان الاتفاق مع العراق قد يشكل خطرا على دول اخرى في الشرق الاوسط وان هذا يعد ضد مصالح فرنسا ذاتها . وان رنسف قلبى المفاعلين كان الاجراء الاخير الذي كان في وسعهم القيام به لابقاء السيطرة على النشاط العراقي دون الحاق الضرر بالعلاقات الفرنسية العراقية .

غير ان دولا ومنطلات اخرى قد تردد ارتباطها بالغارة . فقد ذيعت مجلة « لوبوان » الفرنسية الى ان المخابرات المركزية الامريكية قد قامت بهزم الغارة من اجل تجنب الانتشار النووي في جزء استراتيجي هام في العالم . وكثمت ليبيا بزعاية العقيد القذافي احدى الدول التي اشتبته في قيامها بالغارة وتبعها لهده الرواية الاخرة ، يكون الراهبيون التابعون لمنظمة التحرير الفلسطينية قد نفذوا الغارة لصالح القذافي الذي نفع لهم مبلغا سخيا من المال . كما ان الروس

والسوريين - بل والعراقيين أنفسهم - كانوا موزعا للشبهات على نحو او آخر . ولكرت مجلة « شترن » الألمانية الغربية ان مصدرا في المواسد / المختبرات الاسرائيلية) قد كشف التفاصيل الكاملة للغارة غير ان بعض هذه التفاصيل ثبت زيفه تماما .

ولكن الافتراض الاكثر ترجيحا هو ان الاسرائيليين قد نفذوا الغارة . ذلك ان لديهم الخبرة والقدرة على تنفيذها وما هو اكثر من اى شيء آخر انهم لديهم الدامع ، على الرغم من ان هذا لا يستبعد احتمال حصولهم على مساعدات ومعلومات من مصادر خارجية .

وقد كشفت تكهانات اجهزة الاعلام حقيقة هامة للغاية يفيض النظر عن امرايل ، كان يوجد عدد كبير من الدول الاخرى في الشرق الاوسط وفي كانه انحاء العالم ممن لديهم مبرر للشعور بالخوف من المشروع العراقي . وكثت هذه الغلظة بالنسبة للعراقيين تحذيرا لهم . ولكنهم آثروا تجاهل التحذير ، غير انه لم يكنه يعض عام حتى حدث نذيرا آخر .

كان يحيى المشد عالما مصرية فى الحسين من عمره وكان له ماضى (اتاكيبى) طبيب فهو حاصل على شهادات دراسية من الجامعات الامريكية والروسية . وكان زملاؤه ، يعتبرونه عالما من الصف الاول في ميدانه ، وكان خلال الستينيات يدرس في جامعة الاسكندرية بمصر . ويعمل كعالم في مركز الابحاث النووية المصرية في انشاص .

غير انه يبدو ان مصر ، التي تخلصت عن الخيار النووى خلال الستينيات والسبعينيات ، قد ضاقت بالنسبة لعالم جاد وطموح ، ولذلك عندما بدأت الحكومة العراقية مشروعها النووى عرضت على المشد ان يتولى منصباً جديداً . وكان العرض العراقي طيباً من وجهة نظر العالم المصرى . فلقصد كان لدى العراقيين الامكانية والارادة لتنفيذ مشروع نووى وكثت النقود التي

دفعوها له حانزا اضافيا . وقد عين المشد في منصب كبير في مشروع تومز . وفى صيف ١٩٨٠ ذهب الى فرنسا حيث وصلها يوم ٦ يونيو ومعه تعليمات من الحكومة العراقية بفحص المعدات والمواد التي سيجرى شحنها لبغداد وكانت هذه النشحنة تضم عنصرا هاما للغاية وهو اول ١٢ كيلو جراما من اليورانيوم المخصب بنسبة ٩٣٪ والذي من شأنه ان يقرب العراق من الخيار النووى مباشرة . وقد امضى العالم المصرى ما يزيد على اسبوع في فرنسا ، وخاصة في المركز النووى الفرنسى في (فونتينا - اوريث) وفي (ساكلا) و (كلدراش) ، و (بيريلات) . وفى يوم الجمعة ١٣ يونيو عاد الى فندق (مريديان) في باريس بعد ان اشترى سلما لعائلته استعدادا للعودة الى الوطن وقد علقت على ججرته رقم ٩٤١ طوال ليلة الجمعة اشارة مكتوب عليها « رجاء عدم الازعاج » .

وعندما جاءت خادمة الغرفة الشابة لتنظيفها صباح السبت لم تعرف هل
ترجع الضيف ام لا . وبعد تردد استغرق دقائق قليلة قررت ان تفتح الحجرة .

وكان المشهد الذي رآته يثير القزع فقد كان جسد العالم المصري ملقى
السريين الموجودان بالحجرة وكانت السجادة تنضح بالدماء وكان قد فارر
الحياة ، بينما هضمت رأسه .

وقد اكتشف البوليس الجنمان صباح السبت ، غير ان مستارا من
السرية قد احاط بعملية القتل . وفي يوم الخميس ١٧ يونيو مسح الصحافه
الفرنسية بنشر نبأ الجريمة الفاضحة وكان النبأ يشير الى كل شيء حول
شخصية المصري الذي اغتيل . ويبدو ان الحكومة الفرنسية قد اجرت اتصالا
مع العراق قبل السماح بنشر قصة الاغتيال .

وكان اغتيال المشد يرتبط ارتباطا مباشرا بالعملية النووية العراقية .
مقد كان يعمل في مشروع نوز ، وكلن من اكثر الطلبة تدريبا . ويرجح انه كان
لتفعل عالم عربي عمل في العراق .

وسرعان ما اكتشف البوليس الطابع الخاص للفندق الذي كان يقم فيه
المشد فقد كان من المعروف ان شابات صغيرات يتسمن بالجانبية يقدمن خدماتين
الخاصة للضيوف وكانت احداهن تسمى (ماري كلود ماجال) وهي في الثانية
والثلاثين من عمرها ، وهي التي قالت : انها قدمت مرضا وديا للمشد في نفس
المساء الذي قتل فيه . فقد زعمت انها قابلت العالم منذ مدخل الفندق واصطحبته
حتى حجرته ، التي دخلها بعد ان رفض عرضها . وقد انتظرت خارج الغرفة
عدة دقائق يحدها الامل في ان يغير رأيه ولكن دون جدوى . وبينما كانت
لا تزال منتظرة في المر بين الحجرات كان في وسعها ان تسمع اصواتا قادمة
من حجرته ولكن لم توجد اية دلائل على نشوب قتال في اطلاق رصاص .

وقد روت فتاة الليل الشابة قصتها هذه للمخابرات الفرنسية في اول
يوليو ١٩٨٠ . وعندما ازادت المخابرات استعمالها لاجراء استجواب آخر
معها تبين لهم انها قتلت بعد ان تعرضت للهجوم عليها في ١٢ يوليو وقد
مارقت الحياة .

ومرة اخرى ، وكما حدث بالنسبة للفاة على طلي المفاعلين منذ ١٤
شهورا مضت ، لم تستطع المخابرات الفرنسية تعقب آثار قتلة المشد . بل ان
المخابرات لم تتمكن من تحديد الدافع للاغتيال - هل هو عاطفي أم جنسي أم
اجرامى أم سياسي . و (حانظة نقود) المشد تركت في جيبه وبها ١٤٠٠ فرنك

وله الحقيقة جعلت المحققين يستبعدون السرقة كدافع لارتكاب الجريمة ، ومن ناحية أخرى ، جرى اغتياله بطريقة وحشية مما يشير فيما يبدو الى ان قاتله ليس صيلا محرفا . وكما كان الامر بالنسبة للفارة، لم يستطع رجال البوليس الاخصيين ما حدث . فقد استنتجوا ان رجلا دخل حجرة المشد بينما كان في الخارج . ويمكن ان تكون فناء الليل الشابة قد اغرته لإبقائه خارج الحجرة . ولما كان الامر ، فانها فصلت ، ودخل العالم حجرة . وقد فوجيء الرجل الذي كان بداخل الحجرة بينما كان يفتش في أوراقه (ومن المرجح مذكراته) ولم يجد امامه مناصا عن قتله ، وتبعا لهذه الرواية ، فان وفاة المشد لا تعتبر بمصحلا . بل تعتبر وفاته حائنا .

غير انه توجد رواية أخرى تشير الى ان العميل او الصلاء قد خططوا في الواقع لاغتيال المشد ، حتى يكون اغتياله مبررة لكل العلماء الذين يشاركون في المشروع العراقي . وقد اثار هذا التحذير الوحشي مخاوف بعض العلماء الفرنسيين والاطالين ، بيد ان العراقيين تمكنوا من التغلب على هذه المشكلة . وعلى الرغم من الروايات المختلفة للقصة ومن حقيقة ان المخابرات الفرنسية لم تستطع تعقب القنلة ، كان هؤلاء العلماء واثقين من شيء هو : ان هذه السيدة الفرنسية الشابة قد قتلت ، وان الذي دبر عملية قتلها كان ايضا مسؤولا عن وفاة المشد .

ومرة أخرى ، ارتبطت الموساد بهذه القضية غير ان مصادر المخابرات الفرنسية اعربت عن اعتقادها بان حادث اغتيال المشد كان عملا من أعمال الهواة . وان الموساد على قدر كبير من الاحتراف بحيث لاتضطلع بمثل هذه المهمة القذرة . وقد نفى الاسرائيليون انفسهم نفيا قاطعا بمسئوليتهم عن هذا العمل .

وبعد وقت قصير من اغتيال العالم المصري ، ذكرت مصادر ان العملاء السوريين الذين يعملون لحساب السوفيت قد ارتكبوا هذه الجريمة . وترى هذه المصادر ان الروس ، كانوا يريدون معرفة المرحلة التي وصل اليها مشروع تيموز وكان من المفترض ان السوريين يصورون اوراق العالم عندما فاجاهم . وعندئذ قتلوه . ثم غادروا الفندق .

وكما هو الحال بالنسبة للفارة بالقرب من طولون ، اثبتت التكهات المتضاربة نقطة هامة وهي ان للمشروع العراقي اعداء كثيرون ، وان حكومات كثيرة كانت مستشعر بالسعادة اذا ما رات المشروع وهو يهوى ، وان بعضها ربما عمل تبعا لهذا الطوح . ولكن يبدو ان العراقيين قد تجاهلوا مرة أخرى : هذه الدلائل ، وذلك التحذير .

٨ - تحليل : تمزيق الخيط

ان لاسرائيل صحافة حرة ولكن من المعروف جيدا انها مثل اى صحافة في دولة ديمقراطية اخرى ، يمكن ان تناور لتركز على موضوع تطلب الحكومه الاهتمام به . ولذلك ، ظلت الصحافة الاسرائيلية ، طوال شهور عديدة هادئة نسبيا في تناولها للمشروع العراقي ، بالرغم من انه كان ربما يعتبر اكثر التهديدات خطورة حتى الآن بالنسبة لوجود الدولة اليهودية ، غير انه فجأة ، وفي منتصف شهر يوليو ١٩٨٠ ، بدأت الصحف الاسرائيلية كلها والتلفزيون كذلك في مناقشة المشروع العراقي ومسألة التعاون بين العراق وفرنسا واطاليا . وكانت مقالات تنشر تحت عناوين مثل « القنبلة العربية النووية : سبب يبرر الحرب بالنسبة لاسرائيل » واسرائيل تعتبر المفامرة الفرنسية (في العراق) سبيلا لادخال الشرق الاوسط الى العصر النووي « وكانت مثل هذه العناوين ظاهرة جديدة في الصحافة الاسرائيلية .

والواقع ان (رماثيل ايتان) رئيس الازكان الاسرائيلي ، والذي يعرف بانه شخص هادئ جدا ومتواضع قد اجاب ردا على سؤال على الجهود العراقية بشأن القنبلة ، خلال حديث للتلفزيون الاسرائيلي - اجاب بقوله :

اذا ما حصل العراقيون على القنبلة ، فسيكون ذلك كما لو ان كافة بلاد المنطقة قد ملقت من شامق بخيط ربيع . وان اية محاولة لاستخدام القنبلة النووية ستؤدي على الفور الى تمزيق هذا الخيط وتدمير هذه الدول .

ولقد كان من يجري الحديث مع ايتان ، ماهرا بما يكفي لان يساله عما يقصده من العبارة السالفة . بيد ان اجابة ايتان كانت تتسم بالغموض على نحو ماهر . فاذا ما انتجت العراق القنبلة ، فان الشرق الاوسط بأسره سوف يكون رهينة لديها . وان اية محاولة من جانب العراقيين لاستخدام القنبلة ضد اسرائيل ستؤدي الى اندلاع معركة كبرى فاصلة في الشرق الاوسط . وربما كانت هذه اشارة الى دول الشرق الاوسط الاخرى ومن المفترض ان تحذير ايتان قد قصد به دول عربية اخرى في الشرق الاوسط كان من مصلحتها ، مثلما كان من مصلحة اسرائيل الا تحصل العراق قط على القنبلة .

غير ان اجابة ايتان ربما كانت تنطوي على معنى آخر كذلك . ان اسرائيل لن تدع قط حاكما متعصبا مثل صدام حسين ليحصل على القنبلة ، نظرا لان وجودها عندئذ سيعتد على سلوكه المجنون وغير المتوقع . ولقد كان مسئولون اسرائيليون آخرون اكثر وضوحا بالنسبة لتحديد رد فعل اسرائيل ازاء المشروع النووي العراقي في المستقبل .

فقد قال (ماتياهو شومبوليفيش) وهو أحد كبار مساعدي مناحم بيجين :

رئيس الوزراء ان اسرائيل لا يمكنها الجلوس والانتظار الى ان تسقط القنبلة
للغزيرة العراقية فوق رؤوسنا .

واشار مسئول كبير آخر ، طلب عدم ذكر اسمه ، الى ان دولا عربية
اخرى في الشرق الاوسط يمتين ان تكون اكثر قلقا من اسرائيل بالنسبة
للمشروع العراقي وقال : لو ان اية دولة في العالم من المحتمل ان تستخدم
القنبلة ، فان هذه الدولة هي العراق .

ويضيف انه عندما تحصل العراق على القنبلة أولا ، فان الروس سوف
يسدون سوريا بأسلحة نووية لانهم يخشون من العراق . وعندئذ ستحصل
ايران على هذه الأسلحة وبذلك تكون هناك اسلحة نووية في حوزة ثلاثة نظم
من اكبر النظم العالمية جنونا وعدم استقرار .

ويعنى هذا ، اساسا ، مصالح الغرب الذي يعتمد على بتروال الشرق
الايوسط . ذلك ان اندلاع حرب نووية في هذا الجزء من العالم قد تؤدي الى
تفسير موارد البترول في العراق وايران ، كما ان السعودية وبقية ممالك
الخليج (الفارسي) قد تتورط فيها مما يشكل تحطرا بالنسبة لجزء كبير من
احتياطيات البترول في الشرق الاوسط . ومن ثم حاول الاسرائيليون ان
يشرحوا انه من مصلحة السالم الغربي ، مثلما هو من مصلحة اسرائيل
تجنب وضع مثل هذا . بيد ان الغرب كان ينتهج سياسة قصيرة النظر ذلك
ان فرنسا وايطاليا وغيرها من الدول الغربية ، كانوا على استعداد لفعل اى
شئ تقريبا حتى يحصلوا على البترول في الحال . وكان في وسع الصهاينة
باعتبارها موردا كبيرا للبترول لكل من اوروبا الغربية واليابان ان تبتزها
وان تحصل على القنبلة من خلال تعاونهم معها .

ولقد اعطت الحملة العامة التي شنتها الصحف الاسرائيلية في يوليو
١٩٨٠ الاشارة للصحف الاجنبية كي تنضم الى الاسرائيليين .

فعل الرغم من ان اسرائيل لم تكن الموضوع الاكثر شمبية وتماطفا في
صحافة اوروبا الغربية ، نجد الصحفيين الغربيين فهموا أهمية ما كان يحدث .
وكان ان تدفق سيل من القصص الاخبارية والمقالات عن المفاعل العراقي ،
والتعاون بين العراق وبعض دول اوروبا الغربية .

ولو كانت الحملة الصحفية الجديدة التي اضطلعت بها الحكومة الاسرائيلية
قد اثارت اهتمام العالم ازاء هذا التهديد لا يمكن اعتبار انها نجحت جزئيا
غير ان الحملة كانت موجهة بصفة خاصة لبلد واحد هو العراق .

ففي العديد من المقالات التي نشرت في الصحف الاسرائيلية والاجنبية
على السواء كان يتردد باستمرار تحذير واحد مفاده : ان المشروع العراقي
يعتبر مسألة حياة او موت ، وان اسرائيل ستبذل اقصى ما في وسعها لمنع

التشاور الاسلحة النووية في العالم العربي . وفي ضوء وجهة النظر هذه
أعلنت اسرائيل في صيف ١٩٨٠ اعلانا بالنوايا ، بالرغم من انه لم يكن
اعلانا رسميا .

وقد نشرت هذا مجلة « تايم الامريكية » في عدد اغسطس ١٩٨٠ فقد
اشادت الى ان اسرائيل وجهت انذارا صامتا مفاده انها اذا اعتبرت ان
العراق أصبحت على وشك الحصول على القنبلة ، فانها قد تشن غارة وقائية
عنه المفاعل العراقي . وقد استند هذا الافتراض على حديث أدلى به اسحق
شامير وزير خارجية اسرائيل للمجلة . وقال فيه : « ان المفاعل العراقي
قد يفجر لزاما في المنطقة ويلقى الجهود المبذولة لتحقيق السلام ، ولا توجد
اشارة يمكن ان تكون أوضح من هذا الى الكيفية التي كان يرى بها
الاسرائيليون المشروع النووي في العراق في صيف ١٩٨٠ . بيد ان العراقيين
أفروا تجاهل حتى هذه الاشارة . وسرعان ما كان عليهم ان يعلموا ان الحملة
هذه جهودهم قد تحولت الى عالم العمليات السرية القاسي والصامت .

لقد كان (ماريو فيوريللي) هو المدير العام للشركة الايطالية المشتركة في
المشروع وطبقا للمقد الموقع بين العراقيين والشركة ، وافق الايطاليون على بناء
مفاعل « ساخنة » وأخرى باردة في نطاق مشروع ٣٠ يوليو (تموز) مسن
شأنها ان تمكن العراقيين من بناء «صنع مستقل لفصل البلوتونيوم ، وكان
هذا هو هدف الوكالة الفاضلة التالية التي تعمل ضد المشروع العراقي .

ففي ليلة ٧ اغسطس ١٩٨٠ ، انفجرت قنبلة صغيرة بالقرب من باب
شقفة (فيوريللي) في شارع (ديلا لانجريتتا) بروما . وكانت الحسائر المادية
التي أسفر عنها الانفجار ضئيلة . ولم يصب أى شخص . فلم يكن فيوريللي
بشقتة لانه كان خارج المدينة .

وفي الوقت نفسه ، انفجرت قنبلتان أخريان في مكاتب الشركة الايطالية
وكانت الحسائر المادية جسيمة . فقد جرى تدمير الاثاث وجهاز التكييف . وقد
غطت بالجلودان تقريبا سببها الانفجار .

ولم يتمكن جهاز الامن الايطالي من تعقب المنظمة التي دبرت هذه
الانفجارات ، وهي مجموعة يطلق عليها « لجنة حماية الثورة الاسلامية » اعترفت
بالانفجارين . ولم يكن أحد قد سمع عن هذه المجموعة ، سواء قبل الحادث
أو بعده ، ولذا تعذر على الايطاليين التعرف عليها . غير أنهم كانوا واقعيين
من شيء واحد هو ان هذه الانفجارات مثلها مثل الهجوم على «قلمبي المفاعلين»
العراقيين في أبريل ١٩٧٩ واغتيال المشد في يونيو ١٩٨٠ ، تعتبر بمثابة
تحذير للعراقيين . غير ان التحذير هذه المرة كان ينطوي على غرض مزدوج .
فلمرة الأولى لم تكن ممدات عراقية أو عالم عربي حما الهدف ، وإنما كان
الهدف شركة ايطالية ، وقد دمرت . وكان الهجوم على شقفة (فيوريللي) يبنى ان

الذين دبروه يقصدون توجيه تحذير الى كافة الاوروبيين الذين يشتركون في المشروع العراقي .

وكانت الرسالة التي وجلت بالقرب من شقة فيوريللي تشير الى اتجاه جديد في الحملة ضد القنبلة العراقية . فقد جاء بالرسالة ، ضمن اشياء اخرى ، و اننا نعلم عن تعاونك الشخصي مع اعداء الثورة الاسلامية . وان اولئك الذين يتعاونون مع اعدائنا سيكونون لعلاء لنا . واستطردت الرسالة مطالبة بان تنهى الشركة الايطالية تعاونها مع العراقيين لتجنب اراقة الدماء . وانتهت بتوجيه تحذير شخصي : و اذا لم تفعل ذلك ، سوف نهاجمك انت وعائلتك بدون رحمة .

وفي اعقاب الهجمات التي وقعت في روما ، ارسلت خطابات تهديد الى علماء اوروبيين آخرين في فرنسا وايطاليا بل في العراق ، كانوا يشتركون في المشروع العراقي . وقد ارسلت الخطابات للعلماء الذين كانوا يعملون بالفعل في المشروع من داخل العراق . ولم يكن هذا لتوفير النقود وانما ليعتبر للعلماء والفنيين الاوروبيين ان الذين يهددونهم قريبا جدا منهم ، وان في وسمهم تنفيذ تهديداتهم اذا لم ترضهم نتيجة هذه الخطابات .

وكانت كافة المحطات موقعا عليها من جانب نفس المجموعة التي اعلنت مسؤوليتها عن انفجارات القنابل في روما والتي تسمى « لجنة حماية الثورة الاسلامية » . وكان هذا الاسم يوحي بجماعة موالية للخميني داخل العراق شعرت بتهديد المشروع العراقي لها . غير ان اجهزة الامن التي حطمت في الامر كانت واثقة من ان اية جماعة ايرانية لا يمكنها ان تنفذ مثل هذه العملية التي لا يضطلع بها الا محترفون . ومرة اخرى ، وجه اللوم الى المخابرات الاسرائيلية (الموساد) التي نفذت عملية مماثلة ضد العلماء الالمان الذين كانوا يتعاونون مع عبد الناصر في مستهل الستينيات .

وعلى الرغم من ان عملية الابتزاز هذه قد نفذت بطريقة تتسم بالاحتراف نجد ان تأثيرها ، في حد ذاتها على المشروع العراقي كان ضئيلا فقد فكر بعض العاملين الاجانب في المشروع ، فيما يفعلونه . وبعضهم تجاهل ذلك كلية . وقد وعدت الحكومة العراقية وكذا الحكومة الفرنسية والسلطات الايطالية العلماء الخائفين بانها ستكفل حمايتهم ممن دبروا هذه الهجمات ايا كانوا .

وفي منتصف هذه العملية السرية ، نشبت الحرب بين العراق وايران . وكان صدام حسين يتوقع تحقيق انتصار سريع على القوات الايرانية في هجوم خاطف . غير انه سرعان ما ادرك ان مبادرته هذه قد دفعت بالعراق في معركة طويلة واثبت الجيش العراقي انه اقل كفاءة مما كان يخشى اعدائه .

٩ - التحذير الأخير : الهجوم الإيراني

بدأت الحرب بين إيران بزعامة الخميني والعراق برئاسة صدام حسين في ٢١ سبتمبر ١٩٨٠ . وقبل نشوب هذه الحرب بأربعة أيام ، أعلن الرئيس العراقي الفاء اتفاقية عام ١٩٧٥ المبرمة بين العراق وإيران حول الاستخدام المشترك لسطح العرب .
ولقد كان لهذه الحرب بعض الآثار المباشرة على مشروع تموز . وقد وُلح أولها في ٣٠ سبتمبر .

ذلك انه منذ بدء الحرب ، كانت الطائرات المقاتلة الإيرانية والعراقية تلمس أهداف كلا البلدين على نحو تكنيكي واستراتيجي - ولقد أثبت الدفاع الجوي لكلا البلدين أنه غير فعال تماما . وكان في وسع الطائرات المقاتلة العراقية أن تصل بسهولة الى طهران ، بينما كان في وسع طائرات الماتدوم الإيرانية أن تحلق فوق بغداد . وعلى الرغم من أن كلا من العراق وإيران قد قصفتا معامل تكرير البترول وغيرها من الأهداف البترولية لهما ، كان العراقيون واثقين من أن الإيرانيين لن يحاولوا مطلقا قصف المشروع النووي العراقي .

غير أن العراقيين اكتشفوا في الساعات الأولى من بعد ظهر يوم ٣٠ سبتمبر انهم قد أخطأوا التقدير . فقد حطقت طائرتان إيرانيتان من طراز إف - ٤ مزودتان بالصواريخ والمدافع ، على ارتفاع منخفض أثناء اتجاههما الى موقع مشروع تموز الذي يقع على بعد ٢٠ كيلومترا فقط جنوب شرق بغداد . وقد أطلقت الطائرتان صواريخهما وما في جونهما من ذخيرة مرة واحدة ، ودون أن تقوما بجولة أخرى من القصف ، ثم اختفيتا خلال ثوان . ولم يجد العراقيون وقتا كافيا للرد عليهما . فلم يطلق عليهما أي صاروخ مضاد للطائرات . وبقيت المدفعية المضادة للطائرات من (طراز سزيو - ٢٣ - ٤) صامتة .

وكان الدمار الذي لحق بمشروع ١٧ تموز طفيفا . ذلك أن المفاعلات ذاتها لم يصيبها أي ضرر ولم يصب القصف سوى بعض المامل وغيرها من المعدات . غير أن بناء نظام تبريد المياه للمفاعلات قد دمر من جراء أحد الصواريخ الذي أصابه إصابة مباشرة ، كما دمرت بعض منشآت أنابيب المياه ونظم شبكة المواسير . وقد لحق دمار خطير بمستودع تخزين النفايات المشعة السائلة . ولحق دمار طفيف بالجهاز الخاص بالتعامل مع النفايات المشعة .

وقد قدر (رنايل أبتان) رئيس أركان الجيش الإسرائيلي ، الذي تعتبر مصادر مخابراته في هذا الجزء من العالم من بين أفضل مصادره ، أن المشروع

قد تمكن من البقاء بعد الهجوم الاول عليه ، واضاف ايتان انه في الدقيقة التي يعود فيها الفتيون الفرنسيون للحمل في المشروع معيبدا تشغيله مرة اخرى .

غير ان الهجوم قد عطل اهراز اى تقدم في المشروع النووي . ففي بدايه اتدلاع الحرب ، غادر معظم الخبراء الفرنسيون العراق . وبعد تصف المفاعل ، هادد على الفور بقية الفنيين الاجانب المشروع ولم يبق سوى عدد قليل جدا من الفنيين الذين اعطتهم السلطات العراقية تصريحا بالدخول لمنطقة المشروع .

وايا كان الامر فان الوقت الجديد كان ينطوى على بعض المزايا بالنسبة للعراقيين فقد كانوا قد شغلوا بالفعل مفاعل نوز - ٢ الصغير باول كمسيه من اليورانيوم المخصب زنتها ١٢ كيلو جراما . ولما كان جزء صغير من هذه الكمية قد استخدم ، فقد بلعروا بنقل بقية الوقود من المفاعل وحفظوه في مكان آمن . وكاتت العراق قد التزمت بان تخضع للتفتيش من جانب الفرنسيين والوكالة الدولية للطاقة الذرية ، لكنها رفضت مثل هذا التفتيش في الوقت الحاضر ، يدعى ان الحرب مع ايران قد خلقت وضعا جديدا .

غير ان اهم مافي الهجوم الجوي الايراني هو الهجوم في حد ذاته فهو يمسى بالنسبة للعراقيين انه حتى اكثر مشروعاتهم حساسية معرض لغارة الجوية . ولقد بدأ العراقيون في الوقت الحاضر الصنالية بصمة خاصة بنظام الدفاع الجوي بالنسبة للمشروع كله . فقد كانوا يدركون انه اذا ماتت الطائرات الايرانية يهجوم مرة اخرى ، فانها ستسبب اضرارا ثانيا ، ولذلك وقعت شركة (طوميسون) للصناعات في فرنسا في اكتوبر ١٩٨٠ اتفاقا قيمته ٩٠٠ مليون دولار مع العراق ، يقضى بان تنشئ الشركة الفرنسية صناعة الكترونية في مدينة السمره على ان تبدأ بتصنيع اجهزة الراديو والرادار من اجل الاغراض العسكرية . وكان على فرنسا بمقتضى اتفاق آخر تبلغ قيمته ٨٠٠ مليون دولار ، ان تزود العراق بصواريخ جو - جو من (طراز ماجيك ر - ٥٥٠) او صواريخ (اكسوسيت) او صواريخ (شين) ارض - جو . ويبدو ان العراق كلت مهتة اهتماما كبيرا بشأن دفاعاتها الجوية المضادة للطائرات . ولذلك وقعت في يناير ١٩٨١ اتفاقا آخر مع شركة طوميسون تزود بمقتضاه الشركة العراق بصواريخ خاصة ارض - جو وكذا نظم رادار ذات كفاءة خاصة ضد النظم الالكترونية الامريكية .

وربما كان العراقيون يفهمون معنى الهجوم الايراني الذي وقع في ٢٠ سبتمبر ١٩٨٠ . غير انهم لم يتمكنوا من ان يفطنوا الى ما تمه اسرائيل لهم . ففي الوقت الذي هدد فيه الخبراء الفرنسيون الى موقع المشروع خلال شتاء ١٩٨١ . كان السلاح الجوي الاسرائيلي يستعد لشن غارة وقائية ضد مشروع نوز العراق .

١٠ - الثلاثة يقررون

على الرغم من الطابع الفريد والسري للقرار الإسرائيلي الخاص بتدمير المفاعل النووي العراقي ، نجد أن هذا القرار قد اتخذته مجلس الوزراء في وقت ما في شهر أكتوبر ، ١٩٨٠ . وفي الماضي ، كانت القرارات التي من هذا النوع يتخذها إما شخص واحد - مثل بن جوريون عام ١٩٥٦ - أو الدائرة الدبلوماسية غير الرسمية لحكومة حزب العمل (والتي كان يطلق عليها مطبخ مجلس الوزراء ، إبان حكم جولدا مائير) أو اللجان الوزارية الخاصة بالامن (والتي قد تضم رئيس الوزراء ووزراء كل من الدفاع والخارجية والخزانة ، وفي بعض الأحيان رئيس أركان الجيش ورئيس المخابرات العسكرية) وقد سبقت اتخاذ هذا القرار مناقشات جادة وهي مناقشات وجود تستهدف الحلولة دون استعراة التعاون النووي بين فرنسا والمراق . ولقد كانت حكومات حزب العمل التي رأسها اسحق رابين (١٩٧٤ - ١٩٧٧) ووزير دفاعه شيمون بيريز قد عانت بالفعل حول انتهاء اهنس استراتيجية عسكرية ودبلوماسية لم تتم اقامة المفاعل النووي الحربي في العراق . وعلى الرغم من انه لم يحدد توقيت ليوم الهجوم ، كانت ادوات الحرب - السلاح الجوي وتسم العمليات في قيادة الجيش الاسرائيلي والمخابرات قد بدأت التخطيط في العبيد من الاحتمالات التي يمكن ان تطرا خلال تنفيذ الهجوم ، وكذا شرعت في التدريب اللازم من اجل العملية .

ولقد كان واضحا من خلال المناقشات الاولى لهيئة كبار الضباط برئاسة اركان الجيش الاسرائيلي - والتي بدأت في وقت ما ، في أواخر صيف أو اوائل خريف ١٩٨٠ ان خيارات الضباط العشرة ، أو الاثنى عشر ضابطا ، المشتركين في المناقشات كانت منقسمة تماما تقريبا .

وكانت الحجة الاساسية للذين يعارضون الهجوم هي انه حتى اذا نجح الهجوم فانه لن يدمر الاثنى عشر كيلو جراما من اليورانيوم المخصب الذي زود به الفرنسيون بالفعل العراقيين ، ولا الكمية الصغيرة من اليورانيوم المخصب التي قد يكون العراقيون قد حصلوا عليها من مكان آخر . وكان من المعروف كذلك ان على الفرنسيين ان يزودوا العراقيين فيها بعد باثني عشر كيلو جراما اخرى من اليورانيوم المخصب ، الذي يوجد في مكان ما ، محصن وعلى شكل هرمي (ومغطى بحوالي ٢٤ قدما من الاسمنت) ولذلك كتبت مخاوف الذين يعترضون على شن الغارة تتمثل في انه : حتى في حالة نجاحها ، سيكون في مقدور العراقيين المضي قدما وانتاج القنبلة النووية - بل انه قد يزيـد لديهم الحافز على ذلك .

لما الذين كانوا يوليدون شن الغارة فكثرتا يرددون بان كمية اليورانيوم للنرى
لدى العراقيين لا تكفى لصنع حتى قنبلة واحدة - وكثرتا يرون انه اذا ما مسح
للعراقيين بالحصول على كميات اكبر من اليورانيوم المخصب (٢٦ كيلو جرام
في السنة) فسوف يستخدم لتشغيل المفاعل الذي سينتج في النهاية كمية محقولة
من البلوتونيوم - تكفى لصنع قنبلة او قنبلتين في السنة ولذلك اذا تم تدبير
المفاعل قبل تشغيله وقبل ان تزود فرنسا العراق باثني عشر كيلو جراما اخرى
من اليورانيوم ، فان العراقيين لن يكون في وسعهم انتاج قنبلة نووية . وفضلا
عن ذلك ، كانوا يرون انه في اعقاب شن مثل هذا الهجوم ، قد يحجم الفرنسيون
والايطاليون عن اعادة بناء المفاعل العراقي ، اما اذا عملوا على اتمام بنائه ،
فلمتهم سيبرزون في هذه الحالة المزيد من الضوابط والقيود على امدادات
واستخدامات اليورانيوم وما ينتجه المفاعل من بلوتونيوم .

وكان من بين الذين يوليدون الهجوم على المفاعل رمثائل ايتان رئيس
الاركان . وقد كسبوا المناقشة بجهد ضئيل . وتقرر المضي قدما في تخطيط
العملية . وفي ذاك الوقت تقريبا زار مهنمان اسرائيليان الولايات المتحدة
وتشاورا مع خبراء نوويين امريكيين حول ما قد يحدث اذا ما تعرض مفاعل
نووي للتصف بقنابل تبلغ زنتها الف كيلو جرام .

وكلفت المناقشة التي دارت حول توقيت العملية تطوى على جانبين
متشاكلين ومتداخلين متى يصبح المفاعل العراقي في مرحلة الخطر بالنسبة
لاسرائيل ، ومتى يعين استخدام الحيار المسكرى ؟ ومتى يصبح القرار الذي
انخفته الحكومة في اكتوبر بحروفا بالنسبة لزماء حزب العمل ، اى (بينير)
و (جور) ؟ وسرعان ما اختلطت هذه المناقشة حول التوقيت بالمهاشات
الانتخابية .

لمنى وقت مبكر ، سمعت حكومة حزب العمل وزعمائها للحصول على
مزيد من الوقت من اجل الدبلوماسية ، على الرغم من انه في عام ١٩٧٧ وعندما
خسروا في الانتخابات كانت الاغراض العسكرية للمفاعل العراقي لم تتحدد
ولا بد ان بيريز بصفة خاصة ، باعتماره المحرك الاسلحى للمفاعل النووى
الاسرائيلى في ديمونا في الفترة من ١٩٥٨ - ١٩٦٥ قد شعر في حزيران ١٩٨١
بان المفاعل العراقي لا يشكل بعدا خطرا ، وبان تولى الرئيس نيتان السلطة
في فرنسا ، وهو اشتراكي وصديق شخصى ، قد يثبت انه مفيد من الناحية
الدبلوماسية لاسرائيل فيما يتعلق بالنشاطات الفرنسية العراقية .
وهكذا في مايو سنة ١٩٨٠ وعندما كان بيريز لا يزال في القسمة في
استطلاعات الراى العام التي تسبق الانتخابات ، بعث بيريز بالرسالة الثانية
الى بيجين في الاجتماع الاسبوعى التقليدى لمجلس الوزراء الذي يعقد كل
يوم لحد .

١٠ مايو .

فخصي - سرى جدا .

السيد/ رئيس الوزراء .

في نهاية شهر ديسمبر ١٩٨٠ ، استدعيتني الى مكتبك في القدس
والبلدتين بشيء ممين خطير للغاية . ولم تستجب لردى كما اننى لم ارد
بالرغم من شعورى الغريزى (في الظروف التى كانت قائمة آنذاك .

وانى لاشعر هذا الصباح بانى من واجبى الاعلى ان انصك بعد تدبر
صديق في ضوء تقدير المصلحة القومية - بان تطلع عن هذا الشئ (١) .

واننى اتكلم كرجل له خبرة ، ان اتفاننا على المرحلة التى يصبح فيها
المسائل العرائى يشكك خطرا ، بحيث تقرر الحكومة تصفه ليس الاتفاق
الواقعى (وانى لادرك قلق شمسنا) ان الوسيلة يمكن ان تتفخر بوسيلة
اخرى (٢) . وان ما نعتزم ان نحول دون حلونه قد يصبح مثيرا للتفاعل (٣) .

ومن ناحية اخرى ، ان اسرائيل ستكون مثل شجرة في الصحراء - وان
لدينا ما ينبغي ان نشعر بالقلق عليه (٤) .

وانى اضيف صوتى - وهو ليس صوتى بهفردى (٥) - الى اصوات
اولئك الذين يطلبون منك الا تعمل ذلك (٦) ، وبالتاكيد في الوقت الحاضر
والظروف الراهنه .

مع كل تقديرى

شمعون بيريز

هوامش :

(١) يميل بيريز الى استخدام تعبيرات لطيفة من شئ بخفى منسما
يناقش امورا حساسة ، وتزخر رسالته السرية بمثل هذه التعبيرات التى
سنورد فيما يلى فرحا لها .

امتزاز اسرائيل التحرك خطوة اخرى في الجهود الرامية الى وقف
المشروع النووى العرائى ، اى تصفه .

(٢) ان عملية تصف المفاعل (تبعا لمصادر بيريز) ليست عاجلة فلا تزال
توجد مساحة من الوقت للدبلوماسية وغيرها من النشاطات الاخرى ضد
المفاعل العرائى .

(٣) ان حذف الفارة الاسرائيلية هو منع العراق وغيرها من الدول
العربية من ان تصبح دولة نووية . ومع ذلك ، قد تؤدي هذه الفارة الى
تكتيف جهودها لانه سيبين كيف تسمى اسرائيل الى التمتع بوضع احتكرى
نووى في الشرق الأوسط .

وقد اطلع بيجين - الذي استجبت به الدهشة والغضب لان قرار اكتوبر لم يعد سرا في طي الكتمان - عضو الكنيست موسى اريفز رئيس لجنة الشئون الخارجية والامن بالكنيست على رسالة بيريز ، اذ ان قرار اكتوبر لم يعد سرا بالنسبة لنخبة مختارة ، فبالاضافة الى بيريز ، فان وايزمان وزير الدفاع السابق ، وموردخاي جور - رئيس الأركان السابق ، واثنان من الصحفيين ولحد رجال الاعمال المترين من وايزمان كانوا يعرفون بالفارة المتوقعة .

وكان ما تبين يوم ١٠ مايو ١٩٨١ من ان القرار الخالص بتدمير المفاعل العراقي قد اتخذ في اكتوبر ١٩٨٠ قد نرض على بيجين ودائرته الداخلية من لائق مساعديه ومعاونيه ضرورة ان يخفل موعدا آخر بدلا من الموعد الذي تحدد من قبل . وكان بيجين يدرك ان المخابرات الامريكية تعرف نوايا اسرائيل ومخاوفها كما كان يدرك انه اذا خسر في الانتخابات القادمة ، فان المعارضه سوف تكون اقل رغبة في تنفيذ الخطة على الفور .

وحتى يتأكد من عدم وجود تسرب آخر ، وحتى يضمن الفوز في الانتخابات ، كون بيجين جماعة صغيرة من شأنها الحفاظ على الامن وكان يطلق على هذه الجماعة اسم لجنة الثلاثة ، وكانت تتألف من شارون ورفائيل ايدان ، واسحق شامر . وكنت تجري مشاورات حول الموعد الجديد مع الآخرين مثل ايجال يادين وتسيوري نائب وزير الدفاع . ومع ذلك كان أكثر المتحمسين لشن الفارة التي تقرر لها ٧ يونيو ١٩٨١ شارون وايفان والواقع ان معظم المناقشات كانت تدور بين « بيجين وبيجين » ذلك ان بيجين كان يدرك بوضوح الخطر الذي يشكله صدام حسين الذي يشبه النازيين . وكان بيجين يخشى مذبحه جديدة يروح ضحيتها نصف مليون يهودي من جراء القنبله العراقية التي لم يكن يساور بيجين اية شكوك في ان صدام حسين سيستخدمها عندما يتم انتاجها . ومن ثم ، فانه وبالنسبة لبيجين كانت المسدبة والناجحه التاريخيه اليهودية الشخصية والجمامية للمذبحه الجماعية (الهولوكوست) كانت المحرك الذي جعله يقرر تدمير المفاعل العراقي في ٧ يونيو ١٩٨١ .

(٤) اشارة الى الجهود النووية الاسرائيلية اذ يشعر بيريز بالقلق من ان تؤدي الفارة الى تركيز الاهتمام العالمي على الخيار النووي الاسرائيلي ، وهو الامر الذي سيكون ضد مصلحة اسرائيل .

(٥) سرب بيريز المعلومات الخاصة بالفارة على المفاعل الى بعض كبار اعضاء حزبه ومنهم رابين وجور (وكلاهما كان رئيسا سابقا للأركان) ولابا اييان (وزير الخارجية السابق) وكانوا جميعا ضد الفارة .

(٦) ان بعض اعضاء مجلس الوزراء الاسرائيلي كانوا ضد الفارة وليس ضد توقيتها فحسب . كما كان يعارض البعض الآخر الفارة وخاصة في الجيش . ويبين بيريز هنا ان المسألة ليست بمسألة معارضة ضد الانتلاد الحاكم برئاسة بيجين ، وانما هي مشكلة اوسع نطاقا من ذلك .

الجزء الثالث
الاعداد لعملية بابل

١١ - عملية بابل : للخبرات

كان الاسم الشفري « عملية بابل » وكان من المتوقع ان تستغرق دقيقتين على غرار الفسارة على عنيتيبي - هجوم ضد مشروع ١٧ تموز العراقي (الذي يسمى اوزيراك) وهو مفاعل نووي تبلغ قوته ٧٥ ميجاوات ، ويقع في مركزها الأبحاث النووية على بعد ١٧ ميلا جنوب شرق بغداد .

وكان مكانة الخبراء العسكريين يدركون انه وراء كل عملية عسكرية معقدة للغاية حتى اذا استغرق تنفيذها وقتا قصيرا وجرى تنفيذها بدقة - تمكن مشهور عديدة من الاعداد المكتف اذ تتطلب كل عملية معقدة تخطيطا دقيقا ومعرفة عميقة ، وابداء اهتمام بالغ بكل التفاصيل الدقيقة بل النسيئة اذ يقتضى الأمر الحاجة المستمرة الى مراجعة اجراءات كل خطوة وتحديث هذه الاجراءات تبعاً للتطورات الموقف ، واختيار القادة والجنود الملائمين لتنفيذها ، واختيار المعدات والأسلحة المثالية لتنفيذ العملية وقد يقتضى الأمر تصميم واعداد اجهزة ومعدات خاصة لصليبة محددة . وتنفيذ اعمال الصيانة بدقة . واخيراً وليس آخراً ، ان نجاح كل عملية عسكرية يتطلب عملاً شاقاً وتدريباً مستمراً ويمتد تنفيذ كاتمة اوجه الاعداد الضرورية بدقة يمكن ان يتوافر للعملية فرس النجاح .

لن الفسارة على مشروع تومز (اوزيراك) التي من المقدر ان تستغرق ، مدها - تعد ذروة عملية اعداد وتخطيط شاق وطويل ، وعملية تعكس طليمة وتاريخ السلاح الجوي الاسرائيلي والواقع ان السلاح الجوي الاسرائيلي - الذي يعد من حيث الكم والكيف ثالث سلاح جوى في العالم ومن اكثرها خبرة في « التكتيكات » الجوية الحديثة والحرب ، ان هذا السلاح الجوي الاسرائيلي له تاريخ طويل في الاعداد الكامل لاية عمليات خاطئة يضطلع بتنفيذها . وليس ادل على ذلك من تدمير طائرات السلاح الجوي العربي وهي وابضة على الارض خلال الساعات الثلاث الاولى من حرب الالام الستة .

وعملية السلاح الجوي الاسرائيلي باعتباره بمنفعة طائرة خلال حرب الاستنزاف ، والاستيلاء على محطة رادار سوفييتية الصنع من بحر في غلره جريته ، واسقاطه من اكثر الطيارين السوفيت خبرة في نهاية حرب الاستنزاف في مصر ، والاداء الرائع في اعقاب الهجوم المفاجيء الذي شفته بحر وسوريا عبر قناة السويس ومرتعات الجولان وذلك عنحما حلول السلاح الجوي الاسرائيلي خلال اليومين الاولين ، التصدى لهجوم للجهتين وقتفه . وكان محل الخسائر في القتال الجوي خلال حرب يوم كيبور هو (٥٥) الى (١) في صالح السلاح الجوي الاسرائيلي . واخيراً وليس آخراً ، توجد المساهمة الأساسية التي قدمها السلاح الجوي الاسرائيلي لضمان نجاح عملية الانتقاد الاسرائيلية في عنيتيبي .

والواقع انه في اعقاب ان تلقت المخابرات العسكرية الاسرائيلية . والموسم معلومات تحذيرية خلال ربيع وصيف ١٩٨٠ حول التقدم السريع الذي يحوزه

العراقيون بمساعدة من جلبت الفرنسيين والابيطاليين في برنامج البحث النووي وبعد ان اصبح واضحا ان العراق قد تتوافر لديها القدرة لتصميم وانتاج اسلحة نووية اولية ثم اسلحة نووية بعدها ، وتميل الموعد الذى كان مقررا سابقا لانتاجها (نلقد كان من المقرر ان العراقيين سيكون في وسعهم انتاج الاسلحة النووية قبل عام ١٩٨٥) ، وهو موعد متوقع رفضت المخابرات المركزية الامريكية تغييره على عكس ما نقلت خبراء المخابرات الاسرائيلية في خريف عام ١٩٨٠) في اعقاب هذا كله كانت الحكومة الاسرائيلية وهيئة الأركان تدرك ان انه يضمن اتخاذ عمل وقائى لتدمير المفاعل النووي قبل نوات الوقت .

وكان في وسع اسرائيل ان تختلر بين { بدائل محتملة لتحقيق هذا الهدف .

١ - ان تكثف حملتها الدبلوماسية ضد الدول الغربية التى تزود العراق بالخبيرة الفنية والمواد النووية ، او ان تطلب بدلا من ذلك مساعدتها في وقت التقدم العراقى في مجال الخيار النووى .

٢ - ان تنفيذ عمليات سرية مكثمة ضد العراق وضد الذين يساعدونها .

٣ - ان تنفذ عملية كوماندوز ضد المفاعل العراقى .

٤ - ان تعشن هجوما جويا على المفاعل .

وقد بدا ان شن حملة دبلوماسية مكثفة ضد فرنسا او ايطاليا او البرازيل او البرتغال او نيجيريا او ليبيا - وكل منها تساهم على نحو او آخر في الجهود النووية العراقية - لن يكون ناجحا كل النجاح . ذلك ان لدى المسرائق الأموال والبترول والعمل الذى تحتاج اليه هذه البلاد . وعندما حاول الفرنسيون كقتاع العراقيين بشراء مفاعل من طراز آخر - كاراميل - رفض العراقيون حتى يجزء الاستماع الى الاقتراح الفرنسى . وعندئذ سرعان ما اذعن الفرنسيون - الذين لا يخشون المخاطرة ببيعهم الاسلحة الفرنسية الهائلة للعراق فحسب (تهد فرنسا العراق ببيع الاسلحة العراقية) ، وانما يخشون كذلك المخاطرة بالاتفاق النووى وبمصدر مضمون لامدادات البترول - سرعان ما اذعنوا للضغط العراقية المضادة . والواقع ان كلا من ايطاليا وفرنسا كقتنا تلقيا بالمسئولية في هذا الشأن على بعضهما فقد كان الابيطاليون يزعمون ان مصنعهم الكيجاوى (المصنع الخالص بفصل البلوتونيوم) عديم الجدوى بدون المفاعل الكووى ١٧ نوز الفرنسى الصنع . ولذلك يجب القاء اللوم على فرنسا ، ويجب على الفرنسيين ان يلغوا اتفاهم مع العراق وفي الوقت نفسه كان الفرنسيون يزعمون انه بدون المصنع الابيطالى لا يمكن انتاج اية اسلحة نووية . ولم يتغير هذا الوضع تحت وطأة الضغط الدبلوماسى الناتج الذى حدثته اسرائيل ضد الولايات المتحدة ومن ثم ، كان استمرار الحملة الدبلوماسية بل تكثيفها يتلوى على احتمال

سكيل
نه في
للحكومتين
مع العراق
تستغرق
المرجو
وقت ما
والصنع

في لهرز اي نجاح ضد الفئاق والجشع الفرنسي والاطالي ، والواقع
انضل الحالات ، سيكون شن حملة دبلوماسية مكثفة سببا في جعل هاتين
الحكومتين تشعيران بمزيد من الذنب وتضطرا من ثم الى استنرار اتفاقاتهما
العراق في ظل شروط تتسم بمزيد من السرية . ونضلا عن ذلك ، قد
المحلات الدبلوماسية وقتنا معقولا حتى نؤني نمارها وحتى تحقق الانر
: وفي انشاء ذلك قد يكون العراقيون قد وصلوا الى نقطة لا عودة معها
، في صيف ١٩٨١ ومن المرجح تماما ان ينشطوا المفاعل النووي
الاطالي الخاص بفصل البلوتونيوم .

ولهذا . كان عامل الوقت يشكل قيادا على العمل الدبلوماسي .

ونبما يتصلق بالنشاطات السرية ، فلم يكن هناك دليل معين على
استخدام تلك الاساليب . ومع ذلك ، نجد الصحافة الدولية قد نشرت
تقارير عن نشاطات من هذا النوع مثل الانفجار الناجح في قلب المفاعل
العراقي الفرنسي الصنع وذلك قبل وقت قصير من نقله من مصنعه في
(سين - سير - مير) وشحنه الى العراق . ثم اغتيال العالم النووي
المصري الدكتور يحيى المشد رئيس البرنامج النووي العراقي بعد ذلك بصام
في درلته بفندق ميرديان بباريس ، وتفجير مكاتب الشركة الايطالية بروما ،
وهي الشركة انوية التي كانت تزود العراقيين بمصنع فصل البلوتونيوم ،
واخيرا الالباء التي ترددت حول محاولة اغتيال عالم فرنسي يعمل في المشروع
العراقي اويرذاك في باريس .

ومما لا شك فيه ان كانه هذه الحوادث كلنت ترمى الى ردع الخبراء في
اطاليا وفرنسا عن العمل في مثل هذه المشروعات العراقية . وكانت تهدف
الى توجيه اشارة الى الحكومات المشتركة في المشروع العراقي بان عليها ان
تكف عن التعاون مع العراق في هذا الصدد ومثل هذه النشاطات
- وخاصة تخريب قلب المفاعل العراقي - كانت ترمى الى تعطيل تقسم المشروع
العراقي بقدر الامكان .

وايا كان الامر ، ففي التحليل النهائي ، ان كل الحيل القذرة لم يكن لها
سوى تأثير محدود في تعطيل المشروع كما انطلوت هذه الحيل على تأثير هامشي
ضئيل بالنسبة للطموحات النووية الطويلة الامد للحكومة العراقية .

ولقد طرح للمناقشة كذلك احتمال تدمير او تخريب المفاعل النووي
العراقي من الداخل - غير ان هذا الاحتمال قد رفض باعتبار انه ينطوي على
مخاطرة كبيرة وخطرة ذلك ان تنفيذ ذلك على نحو فعال يستلزم كمية ضخمة
من المتفجرات وانه من غير المرجح ان يتسنى تهريب مثل هذه الكمية من

المتفجرات الى منطقة تفرض عليها حراسة مشددة . إذ يخضع كل مس من الأجانب (وكذا من العراقيين) لتفتيش دقيق مرتين على الأقل عند دخوله للعمل في المشروع . وتوجد في نفطة المرافية والتفتيش الاول والثانية أجهزة خاصة (كذلك التي توجد في المطارات) للكشف عن المتفجرات . بل ان العاملين في منطقة المشروع يخضعون كذلك لرقابة شديدة من جانب رجال الأمن العراقيين السريين ، وكذا من جانب لدى الباريجات الحضرية المزودة بمسحات صوتية الصنع من طراز (ايه - كي - ٤٧) ويوجد العديد من رجال الأمن الآخرين ، يتحنت الكثيرون منهم اللغة الفرنسية والاطالية في منشآت المشروع . واخيرا فان المنطقة كلها تخضع لرقابة مستمرة عن طريق كاميرات تليفزيونية وربما أجهزة اخرى كذلك .

ومن المنتبه فيه كذلك ان بعض العمال الاجانب كانوا عملاء للمراقبين ويخاضون مراتب اضافية مقابل مراقبة فتلانهم . بل ان منطقة المشروع النووي بأسرها كانت محاطة بجدران من الاسمنت وبمسور من الاسلاك الكهربائية التي تنذر الحراس في حجات المراقبة الخاصة بأى انتهاك لسور فور حدوثه . واخيرا ، فان المنطقة كانت تخضع لرقابة مستمرة من جانب دوريات مسلحة في سيارات لاندروفر البريطانية والسيارات الأمريكية .

ودهم كافة اجراءات الأمن الوقائية هذه ، نجد انه لو كان أحد الفنيين أو المهندسين العاملين في المشروع عميلا مزدوجا لاسرائيل (ولا بد انه كان هناك العديد منهم - وأن كل واحد منهم لا يعرف الآخر) لو كان أحد الفنيين أو المهندسين عميلا لاسرائيل وتكن من تهريب كمية صغيرة من متفجرات شديدة الانفجار الى منطقة العمل ، فمن المؤكد انها ستكون ضئيلة بحيث لا تشكل أية فعالية . بل انه سيكون من الصعب اعداد الشحنة للاشتعال في ظل الرقابة الشديدة . من جانب العديد من الحراس لهم المروفتين ومن نافذة القول ان أى شخص يلقي عليه القبض وهو يحاول مطل تلك المحاولة ، سوف يعذب ويمدح كل الفور . والواقع ان جمع معلومات وإبلاغها ينطوى على قدر كاف من المخاطرة . اما محاولة التخريب في ظل مثل هذه الحراسة المشددة من الداخل فهو أمر آخر . بل ان أكثر العملاء المخلصين جسارة - ناهيك عن المرتزقة - قد يعمن النظر والتفكير في مثل هذه الهمة الانتحارية التي سوف تسبب فحسب تسميرا طفيفا في المشروع على أى حال من الأحوال .

واخيرا ، يترجع ان الاسرائيليين فكروا في اهم - تجنب القيام بعملية سرية ، والاتجاه بهدا من ذلك الى شن هجوم شامل ، - سيكون في وسعهم ودع الحكومات الأجنبية من الاستمرار في الاشتراك في المشروع . وفي ضوء هذا استبعد منذ البداية القيام بعملية تخريب سرية مباشرة .

كان احتمال العمل الآخر المطروح امام المخططين الاسرائيليين هو عملية مستمرة مباشرة وطويلة المدى على المفاعل نفعها صفة من القوات الجوية الاسرائيلية انطلاقا من قاعدة اسرائيلية ، ومن المرجح ان يتكروا كما لو كانوا جنودا عراقيين ، وان يتحدث الكثيرون منهم اللغة العربية بطلاقة ولهجة عراقية ولا يد ان مثل هذا البرنامج قد حظى باعجاب رفائيل ايتان رئيس الأركان الاسرائيلى الذى كان يبدى اهتماما خاصا بهذا النوع من العمليات . ومثل (ايجان) العديد من كبار ضباط الكوماندوز - لكن هذا البرنامج كان اقل جدلية بالنسبة لضباط ينتمون الى الاساحة التقليدية واقل جدلية بالنسبة للرجال الفتيين من القوات المسلحة او من سلاح الطيران .

وكما نعلم الآن ، لم تكن هذه هي الاستراتيجية النهائية التى جرى اختبارها لاسباب عديدة طيبة .

ذلك ان شن غارة كوماندوز طويلة المدى يبلغ مداها حوالى ٥٥٠ ميلا فى كل اتجاه ليست امرا سهلا حتى فى ظل توافر اكثر الظروف مثالية . وان شن غارة مماثلة عبر صحراء من اكثر الصحراوات فى العالم اجديا وقسوة ، وهجر اراض صعبة لا تقدم الا القليل جدا من الاماكن التى يمكن الاختباء فيها ، وضد عدو فى حالة حرب (ومن ثم فى حالة تاهب) ان شن مثل هذه الغارة يعد امرا ينطوى على مخاطرة ضخمة ، ومنه لعديد من المشاكل الفنية ومشاكل الامدادات الصعبة للغاية .

ان تخطيط مثل هذه الغارة يمكن ان ينقسم بصفة عامة الى ثلاث مراحل : الاقتراب من الهدف ، والهجوم على المنشأة ذاتها ، والانسحاب . وتتم هذه المراحل مجموعة من المشاكل التى تتطلب حولا مختلفة ، واطرافا مختلفة تشترك فيها وفرة من الاساليب الخاصة . وينطوى التخطيط لكل مرحلة على ايجاد الحلول لعدد كبير من المشاكل المعقدة والمتشابكة ، وكذا الاعتماد لمواجهة العديد من التطورات والتفديدات غير المتوقعة . والواقع ان المفاجآت الخطيرة لا تنشأ بالضرورة من أحداث مفاجئة وعنيفة او من هجمات مضادة ، وانما من امور او أحداث صغيرة وقد تبدو غير ذات أهمية ، مثل الاقتدار الى مرشحات الرمل فى طائرات الهليكوبتر (سى ستاليون سى - ه - ٥٣) التى كانت تقل فريق الانقاذ الأمريكى الى ايران والتى أدت الاقتدار اليها الى اتخاذ قرار باجهاض المهمة . وما لا شك فيه ان النهاية المفاجئة للغارة الامريكية على ايران كانت ماثلة فى اذهان كل المخططين الاسرائيليين الفتيين بغارة كوماندوز طويلة المدى ضد المفاعل العراقي . ذلك ان أى خطأ سواء من الاقتراب من الهدف او عند الهجوم على الهدف ذاته ، او عند الانسحاب ، قد يؤدي الى موت او أسر الثقات من الجنود والاجهزة الباهظة الثمن . والواقع

ان احتمال المفاجآت غير المتوقعة ، ووقوع خطأ صغير أو كبير يؤدي الى تاربه -
امر معروف جيدا لكل من اشترك في تخطيط أو تنفيذ مثل هذه الغارات .

ان نجاح الغارة على هنتيبى ، بالرغم من انها خلقت سابقة لمثل هذه
العمليات ، جعل تكرار اداؤها لمرأ بالغ الصعوبة .

ففى المقام الأول ، كانت هنتيبى عملية انقاذ طويلة المدى ونوعا لم يحاوله
أحد من قبل . ومن ثم ، كان من المتفرد أن يضطلع بها أحد ومن هنا كان
حمولتها مفاجأة كاملة - والمفاجأة فى مثل هذه الحالة كانت جوهر النجاح -
ولكن وكما هو معروف فى الشؤون العسكرية ، وفى الحياة عامة ، لا يمكن
للرهء دائما أن يقوم بنفس الهدعة مرتين وأن يأمل فى نجاحها .

والغارة الأمريكية على ايران لم تات فحسب بعد هنتيبى ، بل حسنت
ايضا فى ضوء ظروف مختلفة للغاية . فعلى خلاف هنتيبى ، التى كانت تقع
خارج كجبالا فى منطقة منعزلة ، لم يتوانوا لها سوى قدر ضئيل من الدفاع -
كان الرهائن الأمريكيون فى ايران فى قلب العاصمة (طهران) ونحت حراسة
مشددة؛ ونضلا من ذلك ، كانت الخطة الأمريكية تقتصر الى براعة الفسارة
الاسرائيلية على هنتيبى وكانت الغارة الأمريكية تضم عاملين من الفزع عديدة
من القوات المسلحة الأمريكية ، وتنطوى على نسلط كثيرة للترود بالوقود
وغيرها من الاستعدادات - وكانت تتضمن الهبوط بالقسرب من طريق عام
رئيسى ، وكانت وسائل الوصول مختلفة من وسائل المغادرة وكانت العملية
كلها تقتضى وقوع قتال عنيف .

والواقع ان عملية الانفاذ الأمريكية كانت عملا من اممال اليأس بدلا من
ان تكون تخطيطا عسكريا رشيدا . ومن ثم ، لم تكن تتوانر لها أية موهبة
لنجاح ايا كان الامر .

ان الضباط والجنود الاسرائيليين الذين كلنوا سيشاركون فى الغارة
والذين اشتركوا فى التخطيط لها هم من بين اكثر الضباط والجنود خبرة فى
العالم ، وكانوا يدركون تماما المخاطر الجسيمة التى تنطوى عليها
مثل هذه العمليات .

والواقع ان عملية واسعة النطاق من هذا النوع كان لابد ان يشترك
فيها ٢٠٠ جندى وطيار على الاقل (وربما اكثر) لابد من نقلهم الى مملعات
طويلة وان مدى اضخم طائرة هليوكوبتر اسرائيلية لا يكفى لقطع تلك المسافة
ذهابا وايابا . ومن ثم ، كتلت كل طائرة من طائرات الهليوكوبتر التى تقل القوات
سيتين عليها أن تزود بالوقود فى مكان ما فى الطريق الى الهدف أو قبل
الهجوم على الهدف (والمرجح ان يتم خلال الليل) وهى عملية معقدة تكون فيها
طائرات الهليوكوبتر واطقتها عرضة للامسابة من جانب اى هجوم مضاد اذا
ما اكتشف امرها . وعملية التزود بالوقود ستتطلب - فضلا عن ذلك - وجود

طائرات شحن جوى اخرى لتحمل الوقود اللازم وعلى هذه الطائرات الاخيرة ان يتكشف امرها في مكان ما ، في اراضى العدو . ومرة اخرى ، ونظرا لحجمها وحقيقة ان العراق مشتبكة في حرب مع ايران ، واتها على الاقل في حالة تاهب جزئى ، نجد ان هبوط هذه الطائرات لن يكون امرا من السهل تحقيقه .

وعلى حين ان اقتراب مثل هذه الطائرة الضخمة دون اكتشافها يعد امرا صعبا للغاية ان لم يكن مستحيلا ، كان الاسرائيليون ولديهم قدرة بارعة على سبل الغدع العسكرية — كانوا سيحاولون بالتاكيد حياية اقتراب طائرانهم عن طريق بعض الخدع او غيرها ، كان يكون ذلك مثلا باخفاء الطائرة على انها طائرة تجارية تحلق في الممرات الجوية الدولية او بالتظاهر بانها طائرة عراقية او طائرة تابعة لبعض الدول العربية او الاجنبية المصدقة . ومن المؤكد ان الاسرائيليين فكروا كذلك في « تكتيكات خذاعية » اخرى .

وبغلا عن ذلك ، كانت طائرة الشحن المعرضة للاصابة في حاجة الى ان تصيها طائرة مقاتلة في طريق عودتها على الاقل ، وذلك بعد الهجوم على الهدف ويده مطاردة العدو للمهاجمين وتحتاج مثل هذه الطائرة الضخمة الى نظامين للهبوط عليهما ، والى تنسيق ارضى جوى ، والى اخصائين في الصيانة وما شابه ذلك .

ولا يحتاج الامر الى طائرة شحن ضخمة من اجل تزويد طائرات الهليكوبتر بالوقود فحسب بل يحتاج الامر ايضا لاحتمال حمل بعض الطائرات الهليكوبتر الصغيرة التى قد تكون ثمة ضرورة لها لنقل الكوماندوز مباشرة الى موقع الهدف . ومن المنطقي ان نفترض ان السبيل الاسرع والاكثر امانا للتغلب على الدفاعات المراقبة الموجودة حول المفاعل هو استخدام طائرات هليكوبتر صغيرة تحلق على ارتفاع منخفض جدا ، حتى يتسنى لها الانتقاض مباشرة في قلب مركز الابحاث النووى .

غير ان العيب الاساسى لمثل هذه الخطة يكمن بالطبع في احتمال تعرض طائرات الهليكوبتر للاصابة الى حد كبير من نيران مدفعية ارض — جو ولذلك ، لم تحقق مفاجأة كاملة واستطاعت طائرات الهليكوبتر ان تخترق بنجاح نطاق الدفاعات الموجودة حول المفاعل ، ويمكن للكوماندوز ان يهبطوا منها سالمين في منطقة الهدف ، وان تظهر المنطقة بامان ، لكان من غير المرجح ان يمكن استخدام هذه الطائرات لنقل القوة المهاجمة وهى تتسحب .

وثمة اسلوب آخر للوصول الى المفاعل ويكون بان يستقل الكوماندوز الاسرائيليون قافلة من السيارات عليها علامة الجيش العراقى . على ان يتم نقل بعض الشاحنات (باللوريات) عن طريق طائرات الشحن التابعه للسلاح الجوى الاسرائيلى (مثل طائرات هرتل طراز سى — ١٢٠) بينما يتم شراء

اسيرات الأخرى أو الحصول عليها محليا من طريق عملاء خصوصيين يصلون الى منطقة بغداد (أو يعيشون فيها) قبل الهجوم بأسبوع وق ضوء هذه الحطة ينم اسقاط الكوماندوز بالمظلات فوق الهدف . والواقع ان عمليات المظلات ، حبا هو معروف نعتبر عمليات دقيقة للغاية وتتطلب برامه وحذرا . ذلك ان رجال المظلات يكونون عرصة للأصبة الى حد كبير حينما يكونون في الجو . ثم يتطلب الأمر وقتا معقولا حتى يجمعوا جمع مصلحتهم التي تنازرت عند هبوطهم على الاراضي . وفي عبارة أخرى الاقتراب الآمن والفعال لقوات الكوماندوز عيسر لنصحراء الى هدف يخضع لحراسة جيدة تشير ، فيها يبدو ، مشاكل لا يمكن معالجتها تقريبا .

ومن الطبيعي أن المرحلة الثانية لمثل هذه العملية هي الهجوم على الهدف ذاته وتدميره وسوف يكون لدى القوات المهاجمة خطط ومشروعات للمنازل النووي أويوزراك وربما دليل من أحد الخبراء أو أكثر ممن يعملون في المشروع ، واطداد المعلومات عن المنشآت الدفاعية حول المشروع وداخله ، وعدد الحراس والتوريت ، ونوع اسلحتهم وأساليب اتصالاتهم بمقار قيادتهم وما شابه ذلك من أمور ومن المرجح أن القوات المهاجمة قد تدربت على الهجوم على نموذج لهذا المفاعل . وأن هذه العملية لا يمكن أن تحدث ما لم يقرر المسؤولون عن عمليات التدريب هذه ، أن القوات أصبحت مستعدة لشن الهجوم وأنه تتوافر لديها مرصعة معقولة للنجاح في مهمتها والعودة سالمة الى اسرائيل .

ولكن ، كما اكنتنا بالفعل ان مثل هذه العمليات تنطوي دائما على الكثير مما هو مجهول وغير متوقع . ففي أي الاحوال ، لا يمكن انجاز الهجوم على هدف يخضع لحصاية شديدة مثل هذه ، الا بتكلفة مرتفعة من جانب المهاجمين والمدافعين على السواء وكذا بالنسبة للخبراء الأجانب الذين يصلون في المظلات خلال الهجوم عليه . وتوقع حدوث خسائر كبيرة في الأرواح قد تظل بوضوح من احتمال الموافقة على مثل هذا الهجوم من جانب الزعماء السياسيين والعسكريين الاسرائيليين ، الذين كانوا يخشون على ارواح الكوماندوز المهاجمين انفسهم (ومن المعروف جيدا حساسية اسرائيل المفرطة لتوقع خسائر في الأرواح ، كما كانوا يخشون من انه اذا لقي عدد كبير من العلماء للمصراقيين وغيرهم من المنفيين او ما هو أسوأ من ذلك ، وهو الخبراء الاجانب بصرعهم ، فان أجهزة الاعلام العالمية وذوى القلوب الرقيقة ستنتهم اسرائيل باستخدام القوة في غير موضعا ، ويقتل المدنيين الأبرياء .) وبمعنى ان نتفكر بالطبع أن وجهة نظر اسرائيل ان أي شخص يشترك في انتاج اسلحة للتدمير والقتل الجماعي مثل هذه القنبلة الذرية ، مع عدو وحشي في دولة هي في حالة حرب مع اسرائيل لا يمكن اعتباره مدنيا بريئا . وفي ضوء وجهة النظر هذه كلما كان عدد الخبراء النوويين العراقيين الذين يلتون بصرعهم كبيرا ، كلما كان افضل . إذ ان ذلك يعني خفض القدرة العراقية على انتاج اسلحة نووية — وان مشروع اسلحتها النووية سوف برجا تنفيذه الى أجل غير مسمى) .

والواقع ، ان مثل هذه الاعتبارات ، تقتضى تنفيذ الهجوم خلال يوم عمل
حيث يعمل فيه اكبر عدد ممكن من الخبراء النوويين العراقيين في مركز
النوى . غير ان شن هجوم في يوم كهذا فيه سموية لانه حينما يوجد
العراقيون في المفاعل ، يوجد كافة الخبراء الاجانب الاخرين هناك ومن
ثم تؤدي سموية التمييز بين الخبراء العراقيين والفرنسيين واليطاليين الى ان
يستأجر الكثيرون من الخبراء الاجانب بخسائر في الأرواح ولقد كانت اسرائيل
تجنب كل هذا بقدر الامكان . والواقع كما يتبين لنا فيما بعد ان
الاسرائيليين كانوا حذرين للغاية حتى لا تحدث أية خسائر في الأرواح بين
الخبراء الاجانب (١) .

واخيرا ، تاتي المرحلة الأخيرة الهامة وهي الانسحاب فيبعد ان يكون
الكوماندوز قد عبروا ، كما ياملون ، المفاعل النووي ، يكون عليهم ان يغادروا ،
منطقة المفاعل بأسرع ما يمكن . واز الكثير عندئذ يتوقف على السرعة التي
يسيطرون بها على المفاعل والقيام بالاستعدادات اللازمة لنفسه . (وقد يكونون
قد تلقوا تعليمات بان يأخذوا معهم اليورانيوم المخصب الذي يوجد في مؤخرة
المفاعل . ويضطلع بهذه المهمة بالطبع فريق من الملاء النوويين الاسرائيليين
الذين يقدرهم باعتبارهم ضباط كوماندوز والذين سيكونون ضمن فريق الهجوم
اذا كان الأمر ، فقد كان من المعروف بالنسبة للخبايرت الاسرائيلية ان اليورانيوم
المخصب لم يكن موجودا في ذلك الوقت في منطقة المفاعل ، وانما يوجد في مكان
آخر تفرض عليه حراسة مشددة للغاية وسوف نذكر الكثير عن ذلك فيما بعد) .

ان السرعة التي تتم بها العملية تعتبر امرا حاسما . فمن المفترض انه
بمذ الحقيقة التي يبدا فيها الهجوم سوف تعلن القيادة العسكرية في بنداد .
وقوات الامن الداخلي والقوات الجوية حالة التأهب ، ومن المفترض ان تحركاتهم
المضادة ستبدا على الفور . ولذلك ، كلما تم انجاز اهداف الغارة بسرعة ،
كلما كان الانسحاب اسرع وأكثر امنا . ومن المرجح ان الكوماندوز اما ان
يستقلوا طائرات هليكوبتر تحلق بهم ثانية ، او ان يركبوا شاحنات
(لوريات) توجد في الخارج لتنقلهم بعيدا عن منطقة المفاعل . وسواء استخدموا
هذه الوسيلة او تلك كان عليهم ان يصلوا الى الطائرة التي ستقلهم عائدا بهم
الى الوطن .

(١) لقد جرى اختيار يوم الاحد لشن الغارة على افتراض ان الخبراء
الاوروبيين لا يعملون في ذلك اليوم . ولقد كان هذا التقدير خطأ فاذن وقعت
فيه المخابرات الاسرائيلية لان الخبراء الاجانب لا يعملون يوم الجمعة ، لان يوم
الجمعة يوم العطلة في البلاد الاسلامية ، ولذلك يعملون ايام الاحد . غير انه
في الوقت الذي وقعت فيه الغارة وهو السادسة والنصف مساء بتوقيت
العراق ، كان معظم العمال قد غادروا موقع المفاعل وتوجهوا الى منازلهم .
ولم يكن بالموقع سوى خبير فرنسي لقي مصرعه خلال الغارة .

والطائرات ذاتها (اذا ما كانت ستنتظر على الارض خلال الغارة) كانت هناك مخاطرة ان تكتشف . واذا ما كان الأمر كذلك ، فانه سيكون من السهل ان يتعرض العراقيون طريقهم . واذا لم يكن الأمر كذلك ، فانها سرعان ما تعلق ، ومن المرجح ان تطير على الارتفاع منخفض قدره حوالي ١٠٠ قدم فقط (وهو امر خطر للغاية) وهذا قد تكتشف وتعرضها طائرات مقاتله عراقية سواء فوق العراق أو الأردن . والواقع ان حماية وتغطية طائرة الشحن الثقيلة والبطيئة التي تحلق في الليل في اجواء العراق سيكون امرا مستحيلا تقريبا .

وهكذا ، فان مثل هذه الخطة ذات المراحل الثلاث تمهيداً لمقدمة للغاية وتنطوي على مخاطر بالغة . ولذلك قرر المخططون الاسرائيليون ان أي غارة يقوم بها انكوماندوز على الارض لن تكون فعالة وان احتمال فشلها كان مرتعاً جداً . لقد كانوا يبحثون عن عملية تنسم بمزيد من السرعة والامان ، وتنطوي على الحد الأدنى من نفاط الاحتكاك والاشطاء . لقد كانوا يبحثون عن اقصر مسافة بين نقطتين ، لا عن عملية معقدة ومتعددة المراحل .

ولذلك ، قرروا أخيراً ، تحويل تخطيط عملية الغارة الى السلاح الجوي الاسرائيل ، بشرط ان يضمن السلاح الجوي الاسرائيل تدمير المفاعل بشن غارة واحدة من الجو . وبذلك يتم التدمير الكامل للمفاعل النووي بالقلل مخاطرة في الارواح البشرية ، واقل حمار بالنسبة لاسرائيل من وجهة الرأى العام العالمي .

ولقد قال احد كبار ضباط السلاح الجوي الاسرائيل لاحد الصحفيين ، الذي سألته عن نجاح السلاح الجوي ، ان المبدأ الاساسي وراء عمليات السلاح الجوي يمكن تلخيصه في عبارة « اجعلها بسيطة ، يا غبي » ، ولقد تجاهل هذا المبدأ الاساسي رجال وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون) عندما خططوا عملية انقاذ الرهائن الأمريكيين في ايران .

ولقد عهد الى فريق عمل من أفضل العقول في فرع العمليات بالسلاح الجوي الاسرائيل ، ايجاد « أبسط » خطة وأكثرها فعالية لتدمير المفاعل النووي العراقي .

الرجل. الذي تم اختياره لتولى عملية التنسيق بين السلاح الجوي الإسرائيلي والموساد ، والمخابرات العسكرية ومقار رئاسة الاركان العامة وتخطيط الفارة كان من فرع العمليات التابع للسلاح الجوي الإسرائيلي ، وهو خريج جامعي وطيبار على قدر كبير من الخبرة . فقد اشترك في حرب الايام الست عام ١٩٦٧ وحرب الاستنزاف في قناة السويس (من اكتوبر ١٩٦٨ حتى اغسطس ١٩٧٠) . وحرب يوم كيبور عام ١٩٧٣ . ولقد ظل خلال هذه الحروب بمجرة في قيادة طائرات ميراج - ٣ الفرنسية الصنع ، وطائرة سكاي هوك الامريكية ، واخيرا طائرة الفانتوم طراز اف - ٤ ، وهي انقل طائرة في السلاح الجوي الاسرائيلي الى ان حصل على طائرات اف - ١٥ .

وعل الرغم من انه كان الضابط المسئول في فرع العمليات بمقر قيادة السلاح الجوي الاسرائيل منذ عامين ظل طيارا وعل اتصال بعملية الطيران والتدريب ، على الاقل مرة في الاسبوع ، وهو تقليد يحرص على رعايته حتى اكبر الرتب العسكرية في السلاح الجوي الاسرائيل .

ولقد كان صغير السن نسبيا ، مثل معظم ضباط السلاح الجوي الاسرائيل فلقد كان في الثامنة والثلاثين من عمره . ولم تسمح الرقابة الاسرائيلية بنشر اسمه او حتى الحروف الاولى منه . اذ ان عليه ان يبقى مجهولا .

وثمة شيء واحد واضح وهو انه واحد من الملع العقول في مجال تخطيط العمليات في السلاح الجوي الاسرائيل ، ورجل يمتدق بوجود دور اساسي لقوة الطيران في الحرب الحديثة ، ويؤمن بانها اكثر اشكال القوة العسكرية فعالية اذا احسن فهمها واستخدامها ولقد وجد في تخطيط عملية بابل وتفليدها فرصة ذهبية لاثبات ذلك . والواقع ان معتقداته هذه ، تلتقي مع المصلحة البيروقراطية للسياسة القوية داخل السلاح الجوي ، التي لا تبرر فحسب ضرورة الاتفاق عليه (يخصص له اكثر من ٥٠٪ من الميزانية العسكرية) بل تشير الى ضرورة زيادة الميزانية المخصصة له .

وبمجرد ما ان تم الاتفاق على الاتجاه لشن هجوم جوى على المفاعل العراقي، بدأ فريق التخطيط بالسلاح الجوي الاسرائيل العمل بنشاط . وكان من الضروري جمع كافة المعلومات اللازمة لشن الهجوم من جانب المخابرات العسكرية والموساد ومخابرات السلاح الجوي - وكانت كل هذه الجهات تحاول بالطبع بذل اقصى ما في وسعها لجمع المزيد من المعلومات . وكانت المخابرات الاسرائيلية قد جمعت ملفا حول الامكانيات النووية للعراق ونواياها منذ ١٩٧٥ . وباستمرار كان يتم ضم معلومات حديثة لهذا الملف . وعلى الرغم من ان هذا الملف قد اصبح يتكون من مجلدين كبيرين ١٥

كان الأمر يقتضى الحصول على المزيد من المعلومات الحديثة . ولقد ضاعمت
المخابرات العسكرية والموساد بصفة خاصة ، جهودهما للحصول على معلومات
من عملتهما ، ومن المرجح أنهما زادتا من جهودهما لتجنيد الخبراء النوويين
الاجانب الذين يعملون في العراق .

ففي أعقاب الغارة الإيرانية على المفاعل العراقي في ٣٠ سبتمبر ١٩٨٠
عاد كافة الخبراء الفرنسيين والاطالين الى بلديهما (غير أنهما رجعا الى
العراق في فبراير ١٩٨١ للعمل في المفاعل النووي العراقي حيث بدأ العمل
فيه على نطاق واسع في وقت ما من شهر ابريل ١٩٨١) . ولحل هذا التطور
قد اعطى الموساد فرصة لتجنيد بعض كبار الخبراء للعمل في خدمتها .

ولقد كان الامر يقتضى الحصول على معلومات حديثة حول عدد كبير من
المسائل ، منها : متى تقدم العمل في الموقع النووي ، والمكان الذي يخزن فيه
اليورانيوم المنضب الفرنسي داخل العراق ، ونوع الدفاعات - الجوية وغيرها،
الموجودة حول المفاعل النووي - وقد جرى تصنيفها في أعقاب الهجوم الإيراني
في ٣٠ سبتمبر ١٩٨٠ - والدفاعات الرادارية لكل من العراق والسعودية
والاردن ، وتفاصيل عن احوال الطقس فوق الهدف ، وتحديد كمية المتفجرات
اللازمة لضمان تدمير المفاعل ، وغير ذلك من المعلومات .

وفي وقت ما خلال شهر اكتوبر ١٩٨٠ ، وفي أعقاب الهجوم الإيراني
على المفاعل يترجح ان يكون سلاح الطيران الاسرائيل قد حصل على تصنيف
لاوسال طائرة استطلاع تحلق على ارتفاع شاهق جدا فوق المفاعل للتأكد
مصدر من الجو لمنطقة المفاعل .

فمن المؤكد ان الاسرائيليين كانوا مهتمين للغاية لمعرفة حجم الدمار الذي
لحق بالمفاعل العراقي ، والى اى مدى يمكن ان يبطل هذا الدمار البرنامج
النووي العراقي ، وعلى تعزيز الدفاعات العراقية المضادة للطائرات حول
المفاعل في أعقاب الغارة الجوية الإيرانية عليه .

وفي وقت ما في خريف ١٩٨٠ اجتمع ممثلو المخابرات الاسرائيلية مع
اقرانهم الامريكين - المخابرات المركزية الامريكية ووكالة مخابرات الدفاع -
في العاصمة واشنطن لتبادل الاراء حول التقدم الذي احرزه البرنامج النووي
العراقي . ولم يشارك الامريكيون اقرانهم الاسرائيليين فيما أبدوه من قلق
عاجل بشأن هذا التقدم على الرغم من أنهم أعربوا عن قلقهم ازاء مخاطر حصول
العراق على اسلحة نووية في المدى الطويل . وقد ابلغوا الزائرين الاسرائيليين

الذين يساورهم القلق أنه طبقا لتقديراتهم لن يحصل العراقيون على اية اسلحة نووية أو قنبلة نووية قبل عام ١٩٨٥ أو ١٩٨٦ . غير أن الاسرائيليين امرىوا عن محاولات من أن العراقيين قد يحصلون على مثل هذه الاسلحة في وقت سابق للتحديد الأمريكى بكثير . ومن المرجح الى حد كبير ان يكون الاسرائيليون قد حصلوا في تلك المناسبة على الصور الجوية التى التقطها القمر الصناعى الأمريكى لمنطقة المفاعل .

كما ترددت شائعات فى ذلك الوقت تقريبا (وربما قبل ذلك بوقت كثير) ان الاسرائيليين حصلوا على صور جوية من السافاك (المخابرات الايرانية) . ذلك ان للاسرائيليين علاقة وثيقة بالسافاك منذ منتصف الخمسينيات . قد تولوا تدريب ضباط المخابرات الايرانية وبعوا اسلحة لایران . وعلى الرغم من أنه فى أعقاب الثورة الاسلامية وتولى الخمينى السلطة قد قطعت العلاقات بين إيران واسرائيل . واغلقت السفارة الاسرائيلية فى إيران (وسلم بينهاها الى منظمة التحرير الفلسطينية) على الرغم من ذلك تردد أن الحكومتين استمرتتا فى الاحتفاظ بنوع من الاتصال السرى غير العلن، وأن الاسرائيليين كانوا يبيعون للايرانيين الذخيرة وقطع الغيار لاسلحتهم الأمريكية الصنع . فضلا عن ذلك ، كانت اسرائيل وإيران (كما اعترف بذلك شاه إيران الراحل) لديهما مصلحة مشتركة قوية فى تدمير الطوحوات النووية العراقية التى من المرجح أنها كانت موجهة ضد إيران أكثر مما هى موجهة ضد اسرائيل (على الرغم من أن تصريحات صدام حسين تشير الى عكس ذلك) .

وفضلا عن كل ذلك ، تمد إيران عدوا قديما للعراق التى لها مزارع اقليمية فى الاراضى الايرانية . وفى ضوء هذا كله ، خلق الهجوم العراقى المفاجئ على إيران فى سبتمبر ١٩٨٠ حافزا قويا للتعاون بين إيران واسرائيل . ولهذا ربما يمكن افتراض ان الايرانيين اعطوا الاسرائيليين كل ما كانوا فى حاجة اليه من معلومات لديهم عن المفاعل النووى العراقى الذى يقع بالقرب من بغداد ، وذلك فى ضوء التقليد السائد فى الشرق الاوسط وهو أن عدو عدوى يعتبر صديقى » . ولقد كان الاسرائيليون - على عكس الأمريكيين الذين تتوقع تقديرات مخابراتهم استكمال المشروع النووى العراقى فى عام ١٩٨٥ - يشعرون بضغط عنصر الزمن ، ومن ثم بدأوا - فى الوقت الذى كانت فيه المعلومات لا تزال تتدفق عليهم - بدأوا التدريب ، مع بذل الجهد فى مجال التخطيط ، وذلك قبل وقت طويل من اكتمال الحطط الخاصة بالفارة .

وقد اثار التخطيط للفارة عددا ضئيلا من المشاكل الخطيرة فى مقبستها المسافة الطويلة بين بغداد وقواعد السلاح الجوى الاسرائيل ذلك أن المسافة جوا بين القواعد الجوية الاسرائيلية الرئيسية فى (اترزيون) و (ايتام)

في سيناء وبين بغداد تبلغ أكثر من ٦٠٠ ميل (أي أكثر من ألف كيلو متر)
والا ما قارنا هذه المسافة بهجمات القصف البريطانية على مدن أوروبا خلال
الحرب العالمية الثانية فهي تنازل المسافة من لندن إلى برلين أو دريدن أو براغ
أو فيينا أو ميلانو أو مرسيليا - وفي عبارة أخرى أنها أقصى مدى تقطعه
القاذفات ذات المحركات الأربعة القوية خلال الحرب العالمية الثانية .

وهذه المسافة تمنى أن السلاح الجوي الاسرائيل سيقوم بأطول غارة
في التاريخ .

والصقر المقاتل

هناك درس المخططون لعملية الهجوم على المفاعل النووي في العراق
البيكيات التي يمكن أن يحصلوا عليها ويعتمدون عليها من السلاح الجوي
الاسرائيلي شعروا بالرضاء الكامل .

لقد تعرض ذراع اسرائيل المقاتل الاكثر اهمية ، لعدد ضئيل من التغييرات
الحاسية التي تمكس دروس حرب يوم كيور .

في عام ١٩٧٣ ، لم يكن السلاح الجوي الاسرائيلي مستعدا تام
الاستعداد لنوع الهجوم الذي شنه الجيشان المصري والسوري .
في ١٩٦٧ ، شنّت الطائرات الاسرائيلية هجوما مفاجئا على المطارات
العربية ، وبذلك دمرت الطائرات المقاتلة والغائفة العربية (حوالي ٣٥٠
منها) على الارض خلال الساعات الاولى للحرب . ومع ذلك حالت الضغوط
السياسية في عام ١٩٧٣ دون أن يقوم سلاح الطيران الاسرائيلي بفترة
وقائية مماثلة .

وكانت النتيجة بالنسبة للسلاح الجوي كارثة . ففي غضون الايام
الاولى للحرب ، استقطت الدفاعات المصرية والسورية المضادة للطائرات ،
وخاصة صواريخ سام - ٦ والمدفعية المحركة المضادة للطائرات من طراز
زد اس. يو - ٢٣ - ٤ ، أكثر من ٥٠ طائرة اسرائيلية .

وتعتبر القيود السياسية ، بالطبع ، واحدة من الاسباب الرئيسية التي
جمعت الطيارين الاسرائيليين يضطرون الى القتال في ظل ظروف صعبة
للغاية . ولكن عندما انتهت الحرب ، اعترف المطلقون الاسرائيليون بأن بعض
الاحطاء الاساسية التي وقعت في عملية اعداد السلاح الجوي للحرب القادمة
كانت سببا في معدل الخسارة المرتفع . ولذلك جلسوا في اعقاب الحرب
مباشرة . ليضعوا خطة الحرب القادمة .

وبحلول الثمانينيات كان الاسرائيليون قد بذلوا جانبا كبيرا من الممل
والجهد للتغلب على ضعفهم الاساسي .

ولقد كان التغيير الاساسي والاكثر اهمية تغيرا كبيرا . ففي ١٩٧٣ ،
ومشية حرب اكتوبر ، كان لدى الاسرائيليين حوالي ٣٤٠ طائرة مقاتلة ،
ومقاتلة قاذفة ، وخاصة طائرات الفانتوم من طراز اف-٤ وسكاي هوك
طراز ا - ٤ ، والمراج ٣ - سي اس ، والطائرة الاسرائيلية الصنع نيشر .
بل لقد كان عليهم أن يستخدموا طائرات قديمة هي سوبر مستر . أما السلاح
النصوي المصري والسوري فقد كان لديهما أكثر من ٨٥٠ طائرة بالمقارنة
للطائرات الاسرائيلية .

لما الآن - في عام ١٩٨٠ - كان صندوق الطائرات التي لدى اسرائيل
تصل الى ٦٥٠ طائرة وهي طراز فانتوم اف-١٥ وافي-١٦ والطائرات
الاسرائيلية الصنع كاتير . وبذلك تصل النسبة بين عدد الطائرات الاسرائيلية
والطائرات المصنوعة الى ١٤ الى ١٠ بحسب اى عام ١٩٧٢ ومسير
معظم للطائرات الاسرائيلية بتطورة للتغلب ولتفضل تجهيزا بالمعدات اذا توفرت
بمراها من طائرات السلاح الجوي في الشرق الاوسط .

ومع ذلك ، ليس هذا هو التغيير الوحيد . فقد اكتشف الخبراء
المسكرون ٩ نقاط ضعف هي التي دمرت اداء السلاح الجوي الاسرائيل عام
١٩٧٢ . وبطول عام ١٩٨٠ ، وعلى حد تقارير الصحف الاجنبية ، جرى
تصحيح معظمها ، وبذلك لم ايجاد آلة حرب اكثر كفاءة وقوة .

وقد اشارت الصحف الامريكية الى ان ابرز اوجه ضعف السلاح الجوي
الاسرائيلي خلال ١٩٧٢ هي :

١ - الانتشار الى مراكز معالة لادارة المعركة ، وقد حث الانتشار اليها
دون وجود تنسيق بين طلعات الطائرات على الجبهتين .

٢ - كبح الاستطلاع بطيئا وغير فعال . ولم يكن لدى اسرائيل القدرة
على تحليل المطويات التي تحصل عليها والاستفادة منها في الوقت المناسب ،
او على الاقل في زمن قريب من الوقت المناسب .

٣ - الانتشار الى التدريب على جهاز القياس الالكتروني المضاد الخاص
بالتنوير ذلك ان حرب ١٩٧٢ كتبت حريا استخدمت فيها الاجهزة الالكترونية
اكثر من ذي قبل . غير ان الطيارين الاسرائيليين لم يكونوا مدربين تدريباً
كافيا لمثل هذه الحرب .

٤ - ان الطيارين الاسرائيليين قد تدربوا لسلسا على الدفاع الجوي
والقتال الجوي ومع ذلك ، كتبت المهلة القتالية تهلجم اعدانا تفرض عليها
صعبة مشددة من جانب الدفاعات المضادة للطائرات .

٥ - كان التنسيق هزيبا بين السلاح الجوي والجيش . ولتعد اذت
الاتصالات غير الكافية ، وكذا الانتشار الى مسوحى تيدى وميط وهيكل
اتصال ، الى الحيلولة بين السلاح الجوي وبين تقديم المساعدة لوحدات
الجيش على المستوى « التكتيكي » .

٦ - لم تكن الادارة المركزية جو - جو فعالة كفاية ، فقد
سحت لأن تتطور معارك كثيرة في ظل توافر قدر ضئيل من السيطرة المركزية
والمقتلات المختصة لذلك .

٧ - لم يمارس السلاح الجوي الاسرائيلي اية قدرة في كفة المعارك

للمجموعة لطائرات الهليكوبتر والمدفعية والصواريخ بسبب الامتياز
في التدريب .

٨ - لم يحظ تخطيط وتنفيذ الفترات الطويلة المدى وعلى كافة المستويات
الا بحصر ضئيل من التدريب .

٩ - الامتياز الى التنسيق الفعال بين اجهزة الدفاع ارض - جو
واجهزة الدفاع جو - جو .

غير انه في عام ١٩٨٠ كان السلاح الجوي الاسرائيلي قد تغلب على معظم
هذه المشاكل . فقد غدت لديه امكانيات ادارة مركزية فعالة بالنسبة لكافة
الواع المهمات ، وجرى تحسين الوقت الفعل التتريسي للاستطلاع والقدرة على
تحليل المعلومات وارسالها بسرعة لكافة المراكز القيادية . وقد زود باحدث
تقاس الكتروني مضاد ، وينتج معظمه في اسرائيل ذاتها . واصبح الطيارون
الاسرائيليون افضل في ادارة الاجهزة المتطورة . ويجري تدريب الطيارين
اناسا على القيام بمهام هجومية . وهم يعتبرون من احسن الطيارين في
العالم في هذا النوع من القتال . كما حسن السلاح الجوي الاسرائيلي اساليب
اتصاله بالجيش والبحرية والادارة المركزية للمعركة بشأن القتال الجوي ،
وكذا قدرتها على تشغيل طائرات الهليكوبتر بالتنسيق مع القوات البرية .

وقد اعطى السلاح الجوي اهتماما خاصا للتدريب على المهمات القتالية
طويلة المدى . فقد حصل الاسرائيليون ، في اعقاب حرب ١٩٧٣ ، على آثر
الطائرات الامريكية تطورا وهي الفانتوم من طراز اف-١٥ و اف-١٦
وتلاضافة الى الطائرة الجديدة المتطورة هوك اي-٢سى ، التي قد صممت
خصيصا بين اسلحة اخرى - لتحقيق التنسيق بين مثل هذه المهمات ، فان
قصف المفاعل العراقي بالقرب من بحداد كان صعبا ولكنه لم يكن مهمة مستحيلة
بالنسبة للاسرائيليين . ولقد كان المخططون العسكريون للفارة يدركون ان
المشكلة ليست مشكلة عسكرية . فقد كانوا واقفين ان في امكان الطيارين
الاسرائيليين تنفيذ المهمة على اكمل وجه . غير ان المشكلة بالطبع كانت مشكلة
سياسية وهي : اضاءة النور الاخضر لتسيير المفاعل .

وكان يمكن تنفيذ المهمة ضد المفاعل العراقي باستخدام اى من الطائرات
المقاتلات - القاذفات الاسرائيلية من طراز ا-٤ او اف-٤ او كافيير سي-٢
او اف-١٥ او اف-١٦ غير ان المدى الكبير جدا للفارة كان سيضطر فريق
التخطيط للفارة الى استخدام نظام التزويد بالوقود في الجو بالنسبة لبعض
الطائرات (مثل الطائرات من طراز ا-٤ او كافيير سي-٢) فود اقلعها ،
الامر الذي من شأنه ان يضيف بعض التعقيدات لخطتهم ، وقد يؤدى الى
اكتشاف هذا النشاط غير العادي على شاشات رادار الاردن او السعودية
او في طريق عودة الطائرات الاسرائيلية ، مما يعرضها لخطر الاعتراض سواء

من جانب العراق أو الأردن . وهذا يقتضى غطاء جويا أطول من جانب المقاتلات الإسرائيلية للطائرات والتقاذفات العائدة ولذلك تقرر تجنب تزويد الطائرات المهاجمة بالوقود اذا أمكن ذلك وعن ثم النصر طراز اف-١٥ والصقر المقاتل المحتمل هي : الفانتوم طراز اف-١٥ ، والنسر طراز اف-١٥ والصقر المقاتل طراز اف-١٦ . وكان يوسع كل من هذه الطائرات حمل كمية إضافية من الوقود ، وإن كان ذلك يؤدي الى خفض صمودها من القنابل خضفا كبيرا .

غير انه تقرر ، بعد مناقشة قصيرة ، اختيار الصنقر المقاتل اف - ١٦ التي تنتجها شركة (جنرال ديناميكس) الأمريكية ، والنسر (اف - ١٥) التي تنتجها شركة (دونالد دوغلاس) الأمريكية - وكلتاهما طائرتين من أكثر الطائرات المتقدمة وتطورا في العالم . وقد وقع الاختيار على هاتين الطائرتين لاسباب عديدة . فهما مزودتان بكثير نظم الملاحة تقنيا في الترسنة الإسرائيلية . ومداهما أطول من مدى الطائرة اف - ١٥ ، وخاصة عندما يحلان شحنات وقود إضافية ، بينما يمكنهما في الوقت ذاته حمل شحنات متفجرة أكثر . كما أن اف-١٥ تصمد طائرة القتل وتحمل شحنة متفجرة أقل بالنسبة لمسافة أصغر ، تطلق محرقاتها أثرا ثقيلنا من الدخان الأسود مما يجعل اكتشافها واعترضها أكثر سهولة وحلاوة على ذلك ، يوجد للطائرة اف-١٥ مقعدان أحدهما للطيار والآخر للملاح ، وقد يقتضى استخدامها اشتراك عدد أكبر من الأشخاص في المهمة السرية . مع انه كلما كان عدد الذين يعرفون بهذه المهمة أقل كلما كان ذلك أفضل . ولكن ، وفوق ذلك كله ، كانت أجهزة الملاحة الأفضل ، المزودة بها طائرات اف-١٥ ، اف-١٦ تسمح لهما بالتحليق قريبا من الأرض وتحديد الهدف ثم مهاجمته ، والتخليق بعيدا عنه بسرعة أكبر من أي طائرة عمليات أخرى في العالم . ذلك ان توافر السرعة الكبرى ، أو القدرة على المناورة كانتا أفضل ضمان بأن في وسعها مهاجمة الهدف بأسرع ما يمكن ثم الاختفاء مع وجود فرصة ضئيلة لاعتراضها - وهذا في طريقهما للوطن - من جانب الطائرات العراقية أو الأردنية ولقد كانت السرعة التي تتمتع بها الطائرة اف - ١٦ وحجمها الصغير ميزتين جعلتا منها الطائرة المثلى لقصف المفاعل العراقي ، بينما اختيرت الطائرة اف - ١٥ لتفطية وحماية الطائرات اف - ١٦ المهاجمة من فوق . ومن الناحية النظرية ، يمكن للطائرتين أن تتبادلا الأدوار ، بحيث يمكن لـ اف - ١٦ أن تتولى الحماية بينما تهلج اف - ١٥ في المفاعل . غير أن الحجم الصغير للطائرات اف - ١٦ يجعلها أقل مرضية للاصابة من جانب المدفعية المضادة للطائرات من الطائرات اف - ١٥ ذات المحرك .

وفي ظل ظروف المفاجأة الكاملة لن يتوافر للدفاعات العراقية الخاصة بالمفاعل الذري ، لن يتوافر لهما من الناحية العملية أية فرصة لاعتراض الطائرات المهاجمة اف - ١٦ واستطائها ، وذلك انطلاقا من الاعتراض أن الاطعم العراقية المضادة للطائرات (التي تستخدم المدفعية السوفيتية الصنع

المفوضة للطائرات من طراز زوسيو - ٢٢ - ، والصواريخ المصادرة للطائرات من طراز سام - ٦ وسام - ٩ او الصواريخ الفرنسية كروتال) التي تحصى لهاكلها مستكون بطيئة جدا في رد فعلها . وعلى حين ان الدفاع لابد ان يتسود وكلها مضمرة الى مالا نهايه بالنسبة للطيارين الاسرائيليين المهاجمين ، كانت ديفعتان لا تساويان اى شيء بالنسبة للدفاعيين ضد هجوم مفاجيء .

بل انه اذا كان العراقيون في حالة تاهب جزئى ، فان الطائرات (اف - ١٥) التي تتولى تغطية الطائرات المهاجمة (اف-١٦) كان من المرجح انها تجعل اجهزة الكترونية للتشويش على رادارات بطاريات صواريخ سام - ٦ وسام - ٩ وعلى قرون الاستشعار الموجودة في رأس الصواريخ نفسها . ولقد كان الاسرائيليون قد استولوا على نماذج من صواريخ وادار سام - ٦ خلال حرب يوم كيبور . ويبدو ان السنوات السبع التي مرت منذ ذلك الحين كانت كافية لتصميم اجراءات مضادة لها . وعلاوة على ذلك ، وقبل اسبوع واحد قبل ذن الغارة ، دمر السلاح الجوى الاسرائيلى بطارية صواريخ ليبييه من طراز سام - ٩ بالقرب من بيروت ، مما اثبت ان السلاح قد طور وسائل مضادة فعالة لتحويل انتباه العدو بعيدا عن الطائرات . ويصدق نفس الشيء بالنسبة لاداء صواريخ (كروتال) ، الفرنسية المضادة للطائرات وذات المدى المحدود . وللملك ، كان المهديد الأكثر خطورة بالنسبة للاسرائيليين هو المنفعة السوفيتية الصنع المضادة للطائرات ، واحتمال ان تكون الطائرات الاعتراضية العراقية سرعة بالقدر الذى يمكنها من ان ترد في الوقت المناسب .

ولنينا يتعلق بخطر الطائرات الاعتراضية العراقية ، نجد انه اذا ما كان في وسع الطيارين العراقيين الرد بمجرد قصف الهدف ، فان الطائرات اف - ١٦ واف - ١٥ الاكثر سرعة يمكنها الإبتعاد قبل ان تقترب منها الطائرات العراقية من طراز ميغ - ٢٣ او ميغ - ٢١ وحتى اذا ما تلقى السلاح الجوى العراقى تذكيرا مسبقا - وذلك في حالة اكتشاف الطائرات الاسرائيلية على شاشات الرادار وهو امر غير محتمل بسبب تحليقها على ارتفاع منخفض - فان القطاء الذى تقدمه الطائرات اف - ١٥ بها لديها من مجموعة من الصواريخ الطويلة المدى مثل سبارو وسايد ونذر والطراز المتقدم من الصاروخ الاسرائيلى شافيرير سوف لا تسمح للطائرات الاعتراضية العراقية الا بفرصة ضئيلة للغاية للاحتكام مع الطائرات الاسرائيلية اف - ١٦ . فضلا عن ذلك ، كانت الخبرة الفائقة التى يتونم بها الطيارون الاسرائيليون الذين جرى اختبارهم لهذه المهمة سوف جعلهم يظهرون براعة اكثر من الطائرات المتانلة الامريكية الصنع والصواريخ جو - جو .

ومن المؤكد ان الطيارين العراقيين اقل خبرة بالمقارنة بالطيارين اسرائيليين . والواقع ان تضائر المفاجآت والاجهزة المتقدمة والخبرة لا يمكن

مزيتها ومع ذلك ، بذل المخططون الإسرائيليون أقصى ما في وسعهم لضمان نجاح الخسارة كما لو كانوا يهاجمون عدوا في حالة تاهب كلب وفي وسعه وامكانه ان يقاتل ردا على الهجوم .

وحتى يتسنى تحقيق المفاجأة الكاملة ، التي تعد افضل سبيل لضمان انجاز عملية نظيفة دون خسارة اى طائرة ، كان الامر يقتضى تحقيق ظروف معينة وخاصة السرية الكاملة في تخطيط العملية واختبار الطريق الذى ستحلق فيه الطائرات بحيث لا يكتشفها رادار اى مراتب معاد قد يحذر المراقبين .

والواقع ان السرية الكاملة بمسألة من السهل نسبيا تحقيقها في ظل ظروف الأمن المشددة في اسرائيل ، وذلك بسبب الألفة الحميمية للمشاركين في العملية تجاه بعضهم في مثل هذا البلد الصغير .

ولقد ابلغ على الفور الطيارون الذين جرى اختيارهم بدقة للاشتراك في المهمة (وكان عددهم حوالى ٢٤ طيارا ، بالرغم من أن ١٦ فقط اشتركوا في الخسارة نفسها ابلغوا في البداية بطبيعة المهمة في ايجاز ، بالرغم من ان تاريخها لم يعلنوا به الا في اليوم السابق على تنفيذ العملية ، ولم يسمح لهم بالتحدث عن المهمة مع اى احد حتى مآلاتهم والواقع ان هذا الاسلوب الخاص يجعل الطيارين يعرفون ان ما يتدربون من اجله يعد نمطا للموقف العسكري في اسرائيل . اذ لا بد من توافر الحد الأقصى من الثقة في كافة الضباط والجنود المشاركين في اى عملية ، وغرس الايمان بذكائهم * وان يسمح لهم بفهم مهمتهم حتى يمكن ان يشاركوا بانفكارهم وتفكيرهم الخلاق .

وعلى الرغم من كافة الجهود التي بذلت لإبقاء العملية في طي الكتمان مع وجود دائرة صغيرة نصب من المشاركين فيها ، على الرغم من ذلك حدث تسريب غير متعمد . ولكن من حسن الحظ ان هذا التسريب ظل في نطاق دائرة من الأشخاص الموثوق بهم . وان بعض الذين جرى ابلأهم بها لم تكن لديهم الا فكرة عابرة عن التخطيط لعملية ، بينما كان لدى الآخرين معلومت محددة عن تاريخها . ومن هؤلاء الذين كانوا يعرفون مسبقا بالعملية عيزرا وايزمان وروبر الدفاع السابق والذي أصبح الآن سياسيا معارضا لبيجين . وكان وايزمان احد الصقور السابقين الا انه أصبح الآن حامية ودية . وقد حاول الحصول على مساعدة ضد العملية من جانب زعيم المعارضة شيهون بيميز رئيس الوزراء السابق الذى ناقش بدوره الغارة المخطط لها مع اسحق رابين رئيس الوزراء الأسبق ورئيس الأركان الأسبق (واحد زعماء حزب العمل المعارض) ومع مورخاى جور - رئيس الأركان الأسبق ، وأبا إيمان وزير الخارجية الأسبق وغيرهم من كبار أعضاء حزب العمل المعارض . كما وصلت

معلومات الغارة الى أحد الصحفيين المصريين من ايزمان ومراسل تليفزيوني سابق واحد المساعدين المصريين لشيون بيريزا .

ولقد ادى تسرب ابناء الغارة الى أن يشعر منحيم بيجين رئيس الوزراء ومساعدوه المصريون بقلق بالغ . ونتيجة لذلك تقرر ارجاء موعد الهجوم مرتين على الاقل احدهما (يوم ١٠ مايو) بعد ان اعطى لطيارى السلاح الجوى الاسرائيل الموافقة على المضي قدما في تنفيذ العملية . وعلى الرغم من أن زعماء المعارضة ، الذين كانوا في مصمة حملة انتخابية عنيفة ، يمارضون بشدة الغارة لاسباب سياسية ودبلوماسية وعسكرية ، على الرغم من ذلك لم يهربوا اى ابناء عنها خارج دائرتهم .

ونظرا لتأجيل العملية بسبب تسرب ابناء الغارة ، قرر بيجين الا تقوى اللجنة الدائمة لمجلس الوزراء أو لجنة الدفاع والشئون الخارجية مهمة تحديد تاريخ الغارة ، وانما كلف بذلك لجنة فرعية خاصة تضم بيجين نفسه وشامير وزير الخارجية واريل شارون وزير الزراعة (وسببت لجنة الثلاثة) . وقد قررت هذه اللجنة فيما بعد بالتنسيق مع رئيس الأركان الموعد النهائي للغارة وهو ٧ يونيو ١٩٨١ . وقد ادى هذا الاجراء الى تحقيق السرية فيما يتعلق بتوقيت العملية ذاتها ومع ذلك علم زعماء المعارضة بالغارة قبل موعد بدئها بثلاث ساعات وكان لديهم وقت كاف للاجتماع ومناقشة الآثار المحتملة للغارة على الحملة الانتخابية القادمة وذلك قبل ان تحدث الخطوة .

ويمكن أن تقدر أن ما بين ٨٠ الى ١٠٠ شخص على الاقل كانوا يعرفون مقدما بامتزاج اسرائيل تدمير المفاعل النووي المراقى في وقت ما ، وأن عددا أصغر كانت لديهم معلومات مقدما عن اليوم المحدد للغارة .

وهكذا ، وفيما يتعلق بضرورة السرية لتحقيق المفاجأة ، يتضح أنه بالرغم من النظام الداخلى للأسرار لم تصل اية معلومات الى ايد معادية .

غير أن تحقيق المفاجأة الكاملة اعتمد كذلك على التخطيط الدقيق للعملية ذاتها . فقد كان على الطائرة أن تقترب من الهدف بدون أن تكتشف على الاطلاق .

١٥ - عملية باجل : طريق الاقتراب

كان تخطيط طريق الاقتراب الى الهدف ينطوى على اهمية كبرى .
ذلك ان الشرق الأوسط يعد في حالة حرب مستمرة ، ومن ثم نجد في حان
اثمة نسبيا من التاهب ونتيجة لذلك ، تكثف المنطقة بمحطات الرادار المداخ
نى تغطى كل الانجاعات المحتملة تقريبا .

وفى غضون المراحل الأولى للحرب بين العراق وايران ، كان العراقيون
ينضلون حماية مطاراتهم باستخدام نظم سوفيتية (كملت تستخدم فوق فيننام
الشماليه) من شأنها اعتراض طائرة العدو وهى تقترب من اهدافها بقدر
الامكان والقرب من الحدود . فمرانه فيما بعد ، ومع النجاح لوجيحت الطائرات
الايرانية التى كانت تحلق على ارتفاع منخفض والننى تشمل العراقيون و
اهراضها ، غير العراقيون دفاعاتهم اضافة للطائرات ، ورتزوا على النيران
المضادة للطائرات وواجهوا اعتراض الطائرات الايرانية بالقتل من منشأهم
الكبرى . وقد ادى تخيير هذا « التكتيك » الى تعزيز ضخم للدفاعات الجوية
حول المناطق الذوى العراقى ، وقد جعل النظام السوفيتى الخاص بالدفاعات
«جوية المتقدمة ، من السهل التعرف على الصديق او العدو .

وعلى الرغم من حقيقة ان العراقيين قد اشتركوا فيما لا يقل عن ثلاث
حروب ضد اسرائيل . كان الاسرائيليون لايعربون سوى قدر ضئيل نسبيا
مهم (فيما يتعلق بآدانهم في ميدان القتال ، والتصايه والبلخرة وغير ذلك)
ولقد اشارت الصعوبات الى واجهها العراقيون في حريهم ضد ايران الى ان
المخبرات الاسرائيلية ربما ضحمت ، فيما بدا ، في تقدير العقرلت العراقية .

ومع ذلك ، نجد ان قدرا كبيرا من الاهتمام قد بدى في تخطيط وتطبيق
اقتراب الطائرات الاسرائيلية من هدفها . ومن المرجح ان هذا الامر قد تحقق
باستخدام خمسة سبل متداخلة ومتبادلة . اولها كان اختيار طريق الطيران بين
رادارات العدو حتى لا يتسنى اكتشاف الطائرات ، وثانيها كان يتمثل فى
تخليق الطائرات على ارتفاع منخفض بقدر الامكان وذلك حتى لايمك للرادار
رصد الطائرات فى حالة حبيقتها فى منطقة يوجد فيها رادار ، وثالثها كان الالتزام
الدقيق بعدم ارسال أية اشارات لاسلكية . ورابعها التصم على دالوات
العدو باستخدام اساليب خداعية والتشويش عليه . وخامسها فى حالة اكتشاف
الطائرات فى منتصف الرحلة ، كان على الطيارين الحيلولة دون التعرف عليهم
عن طريق استخدام الخدع المباشرة - مثل التظاهر بقهم طيارون ارفيزين او
مسوديون فى مهمة تدريبية ، وعدم استخدام علامات واضحة لتعرف عليهم .
وباستخدام الاساليب السلبية للتويه .

١ - من المؤكد ان فريق تخطيط الفارة بالسلاح الجوى الاسرائيل
لم يكن ليختار الطريق المباشر للوصول الى بغداد . ذلك ان احريق الدهر

الى بغداد يقتضي الطيران فوق جنوبي سوريا و فوق الاردن . وذلك في الوقت الذي حارب فيه السوريون والاردنيون هذا الطريق راقبة شديدة . وذلك في سهل البقاع اللبناني ، وهي الازمة التي نشأت في انتحاب ادخال السوريين في سهل البقاع - ٦ المضادة للطائرات في شرقي لبنان وتامت الازمة لا يزال صواريخ سام - ٦ المضادة للطائرات في شرقي لبنان وتامت الازمة لا يزال قائمة ولم يتم التوصل الي حل لها بعد . وكان المبعوث الامريكى في الشرق الاوسط السلي ليليب جيبب لا يزال يقوم بدبلوماسيه « المكوك » بين دمشق وبيروت والقدس والرياض لبحث حل هذه الازمة وفي الوقت نفسه ، استمر الاسرائيليون في شن غارات جوية مكثفه فوق ابناءن ضد منظمة التحرير الفلسطينية ولذلك كان من المتوقع ان يكون السوريون في حالة ناهب خاص - وذلك اذا ما اخذنا في اعتبارنا وعد بيجين بهاجمة قواعد الصواريخ السورية في سهل البقاع (وربما في اى مكان آخر) . ومن ثم ، اهمت السوريون بحراقة راداراتهم لحدودهم الجنوبية . كما اهم الاردنيون بان تطل راداراتهم كافة حدودهم اشماليه . ولذلك ، كان الاختيار الوحيد ان تسلك الطائرات الاسرائيلية الطريق الجنوبي الاكثر امنا وطولا حتى تصل الى الهدف .

ونحن نعرف الان ان الطائرات الاسرائيلية اقلعت وهي في طريقها الى بغداد من قاعدة (اتزيون) الضخمة بالقرب من ايلات (وهي واحدة من اكبر واحدت المطارات العسكرية في العالم) وتقع هذه القاعدة على بعد ١٥ ميلا (على الاكثر) من الحدود الاردنية ولذلك تخضع لمراقبة رادارية مستمرة وربما مراقبة بصرية كذلك . ومن ثم اذا لم يجر تغطية اهتلاخ الطائرات منها باستخدام اجهزة الكترونية لتعتيم الرادارات الاردنية ، فان عليها ان تحلق على ارتفاع منخفض للغاية لتجنب اكتشافها .

٢ - وكان الاسلوب الثاني والمكمل للاسلوب الاول لتجنب اكتشاف الطائرات هو ان تحلق على ارتفاع منخفض جدا . وفي كافة الاحتمالات حلق الاسرائيليون طوال مسافة كبيرة من طريقهم الى بغداد على ارتفاع يتراوح من ٣٠ الى ٦٠ قدما فوق سطح الارض ، وان اقصى ارتفاع لم يتجاوز ٣٠٠ قدم ، وذلك في ضوء طبيعة الاراضى التي تحلق الطائرات فوقها .

والواقع ، ان الملاحة والطيران ذاته شكلا ضغطا شديدا للضاية واعياء عمل شاقة على الطيارين ، وكاننا نطلبان منهم مهارة فائقة واعصابا باردة وقوة تحمل ذلك انه في ظل ظروف الطيران العادية . كان تحليق طائرات بمثل هذا الانخفاض ينطوى على خطورة بالغة . وبخ ذلك ، كان انبيازون الاسرائيليين قد تدربوا على الطيران المنخفض للغاية ، منذ ان بات معروف لهم ان ذلك افضل سبيل دفاعهم ضد الطائرات-الاهتراسية والبراق-المدفعية المتنامية للطائرات - ومن المرجح ان الازمة والعشرين طيارا - او نحو ذلك - الذي

تدبروا على عملية بابل قد حسنوا تكتيك الطيران على ارتفاع منخفض ، وخبرة الملاحة الجوية على ارتفاع منخفض في ضوء الصعوبة الخاصة بالملاحة فوق الصحراء .

والواقع ان الطيران على ارتفاع منخفض لا يخلق صعوبات خاصة بالملاحة وانما يقلل الى حد كبير مدى الطائرة . اذ ينطوي على احتكاك اكبر ، وذلك بسبب احتراق الوقود بمعدل اكبر . وحتى يمكن التغلب على مساله خفض المدى هذه ، يتعين زيادة كمية الوقود المتاح للطائرات المهاجمة . ويبدو ان يتم ذلك بأسلوبين :

• اولهما ، بتزويد الطائرات بالوقود عقب اقلاعها ، او وهي في الطريق الى الهدف . وكلاهما امر سهل وان كان يزيد من فرص اكتشاف الطائرات .

• ولانيهما ، تزويد الطائرات بتنكات وقود اضافية ويؤدي هذا الى مضاعفة مدى الطائرات ، ولكنه سيقلل تلقائيا من شحنات الذخيرة التي تحملها كل طائرة . وهنا يقتضى الامر مضاعفة عدد الطائرات اللازمة لقتل الهدف وتدميره .

وقد استبعد تماما تزويد الطائرات بالوقود وهي في طريق العودة لسببين :

• اولهما ، انه اذا ما نشأت صعوبات اثناء تزويد الطائرة بالوقود وهي في طريق العودة فانها لن تعود الى الوطن .

• ولانيهما ، اذا افترضنا ان العدو اعترض باحدى طائراته طائرة مهاجمة ، فان إعادة تزويدها بالوقود في ظل الحركة سيكون مستحيلا وعلاوة على ذلك تعتبر الطائرات التي تحمل الوقود ضخمة وبطيئة ، ومن ثم تكون عرضة للاصابة من جانب طائرات العدو الاعتراضية .

ولذلك ، قرر الاسرائيليون حتى ييسلوا العملية بقدر الامكان ، استبعاد اجراءات إعادة تزويد الطائرات بالوقود في الجو خلال أي مرحلة من مراحل الغارة وزادوا من مدى الطائرات المهاجمة باضافة « تنكات » وقود اضافية لها . وكان هذا يعنى بالطبع زيادة عدد الطائرات المشتركة في الغارة .

٣ - وبالإضافة الى ابداء اهتمام حقيق بمسألة الاقتراب من الهدف ، جرى تزويد الطائرات ذاتها (وخاصة طائرات اف - ١٥ ومن المرجح طائرة تجسس خاصة كذلك) باجهزة الكترونية للتشويش على رادار العدو وخديعته . ولم يعرف شيء من هذه الاجهزة . ولكن يمكن افتراض ان الكثير منها قد صنع في اسرائيل . وبالإضافة الى هذه الاجهزة التي تصنعها اسرائيل ، يوجد لديها

أجهزة أمريكية مختلفة مضادة للنشاط الإلكتروني . وفي ضوء النتائج كانت الأجهزة التي استخدمت فعالة للغاية ، ولم تكتشف الطائرات وهي في طريقها إلى الهدف . وكما نعرف الآن كانت الفارة مفاجأة كاملة ، لا بالنسبة للمراقبين ، بل بالنسبة للأمريكيين والأردنيين والسعوديين كذلك .

فذلك ان وجود طائرات الانذار المبكر الأمريكية من طراز اواكس في المجال الجوي السعودي في اعقاب الثورة الإيرانية واندلاع الحرب بين العراق وإيران كان يسبب قلقا لاسرائيل . ولم يعرف بعد ان يكون الاسرائيليون قد شوشوا على شاشات رادار اواكس او خدعوها بتقديم صورة خاطئه (قد تردد ان الطائرات الاسرائيلية حلقت في شكل تكوين متماسك ، أي قريبة جدا من بعضها مما جعل شاشات رادار اواكس ترصدها على انها طائرة واحدة ضخمة مثل طائرة البوينج ٧٤٧) او استخدموا أي تكنولوجيا أخرى لتقديم صور زائفة — او استخدموا أجهزة لتدمير قدرة الرادار على أن يستقبل أية إشارة كاملة وأيا كان الأمر ، فإن طائرات الانذار المبكر (اواكس) لم تكتشف اقتراب الطائرات الاسرائيلية من الهدف او عودتها بعد تدميره ، ولعل التفسير البسيط يتحلل في ان طائرات اواكس كانت تحلق بميسدا في المنطقة الجنوبية الشرقية ، مركزة جهودها على الجانب الشمالي الشرقي من الخليج الفارسي او شط العرب ، بحيث لم يتسن لها اكتشاف الطائرات الاسرائيلية .

وبالإضافة إلى ذلك ، كان الاسرائيليون — الذين يصلون دائما وهم يفترضون أن الأقمار الصناعية الأمريكية والسوفيتية تراقبهم — يتخذون دائما اجراءات احتياطية لتجنب مثل هذه المراقبة . وهذا يعني أن أهم أوجه النشاط والاستعدادات الخاصة تحدث اما في أماكن سرية او في ملاجئ الطائرات المخلقة وذلك ، كانت كافة أوجه النشاط التي ترصدها الأقمار الصناعية اما ان تكون غير ذات أهمية او تشير إلى العمليات التي يجري التخطيط لها أو تستخدم للخداع . والواقع أن المخابرات الأمريكية قد وجه إليها اللوم ، بلا مبرر ، لفشلها في معرفة الفارة أو التكهّن بوقوعها . وإيا كلن الأمر ، فإن هذا كلن امرا مستحيلا . إذ ان الأمريكيين يولون اهتماما كبيرا لأجهزة المخابرات التكنولوجية مثل الأقمار الصناعية ، والتي تنطوي على تصور واضح ذلك ان الحصول على معلومات عن مثل هذه العملية لا يتم الا عن طريق المخابرات البشرية ، أي التجسس من الداخل .

٤ و ٥ — كان من الممكن كذلك تجنب اكتشاف الطائرات وهي في طريقها إلى الهدف عن طريق عدم استخدام الراديو. الخاص بها ومع ذلك ، في حالة اكتشافها من جانب رادار معاد او برج مراقبة جوية ، كان على الطيارين الاسرائيليين ان يردوا باللغة العربية (او الانجليزية) ولقد ترددت شائعات في اعقاب الفارة مباشرة مؤداها ان احد الرادارات في السعودية اكتشف الطائرات وهي في طريقها إلى الهدف ، وجرى الرد عليه باللغة العربية ، وان

الإسرائيليين استخدموا فئذيات ونداءات السلاح الجوي الملكي الأردني . وإن الطيارين الإسرائيليين تظاهروا بأنهم طيارون أردنيون في مهمة تدريبية (وقد نشرت هذا التقرير مجلة أفيس ريك الأمريكية في ١٥ يونيو ١٩٨١) . دانه : انه سياسي تكنولوجي . غير انه من المشكوك فيه الى حد كبير وقوع مثل هذا الحادث . ذلك ان مثل هذه الشائعات تتردد دائما في أعقاب عمليات من هذه ، وهي تعتبر عادة مجرد اختلاق تتفتق عنه أذهان الصحفيين المصعب .

والواقع ، ان الطيارين الإسرائيليين الذين تدربوا تدريباً جيداً على العملية قد ابتغوا ، نيباً بدا ، راديو الطائرة صامتاً تماماً سواء في طريق توجيههم للهدف أو عند هودسهم بعد قصه . ويبدو ذلك في التصريح الذي ادلى به احد الطيارين بعد الغارة وقال فيه انه كان قلقاً جداً وهو في طريق العودة لأنه لم يكن يعرف ماذا حدث للطيارين الآخرين . وهذا يسمى شيئين : **اولهما** : ان الطيارين ابتغوا راديو طائراتهم صامتاً طوال العملية او على الأقل في طريق عودتهم الى الوطن . **وثانيهما** : انهم لم يبقوا على اتصال بصري ببعضهم في طريق عودتهم ، وذلك حتى ترداد صسوبة محاولة اعتراضهم . فقد طار كل منهم في طريق العودة عبر الاراضي الاردنية (التي تمت اقصر طريق ممكن) من خلال طرق مختلفة .

وهكذا ، بذل المخططون الإسرائيليون أقصى ما في وسعهم لتحقيق المفاجأة التامة بالنسبة للاقترب من منطقة الهدف ، وذلك حتى يتسنى تجنب التعرض لاية نيران مضادة للطائرات او تدخل الطائرات الاعتراضية العراقية خلال الطريق الى الهدف .

ولقد ساعدتهم عوامل اخرى وجهت الانتباه بعيداً عن احتمال شن مثل هذا الهجوم اولها : الحرب العراقية الإيرانية ، التي وجهت معظم الجهود العسكرية الخاصة بالمخابرات العراقية الى الشرق في اتجاه إيران لا الى الغرب في اتجاه إسرائيل كما يحتمل ان العراقيين كانوا يفترضون ان أي هجوم سيحدث على نطاق صغير (تقوم به طائرتان او { طائرات مهاجمة) .

والواقع انه لما كان السلاح الجوي الإسرائيلي ، خلال الحروب الثلاث الاخيرة مع العراق ، لم يهاجم أية اهداف عراقية بالقرب من بغداد ، فمن المرجح أن العراقيين لم يتوقعوا احتمال حدوث مثل هذا الهجوم . وفي هذا السياق ، يتعين ان نتذكر ان العراق قد شاركت على نحو فعال وأعلنت الحرب ضد إسرائيل عام ١٩٤٨ و ١٩٦٧ و ١٩٧٣ . ولم توقع قط اتفاقية هدنة او وقف اطلاق النار مع إسرائيل ولذلك يعد البلدان من الناحية الفنية في حالة حرب دائمة مع بعضهما . ومن ثم لا يمكن اعتبار الهجوم الإسرائيلي على العراق عملاً غير شرعي تبعاً للقانون الدولي . ففي عام ١٩٦٧ هاجمت الطائرات العراقية من طراز تي يو - ١٦ السوفيتية الصنع مدينة نتانيا الإسرائيلية انواتمة على شاطئ البحر المتوسط . ولقد تم اسقاط واحدة من الطائرتين العراقيين وهما في طريق عودتهما الى الوطن ، أما الإسرائيليون انفسهم فلم

يهاجروا اية اهداف في العراق من قبل ، باستثناء الهجوم على المطار الجوي العراقي ه - ٢ الواقع في منتصف الطريق بين اسرائيل وبيفداد وفي ذلك الوقت كان الهجوم على المطار ه - ٢ يعتبر اكثر مدى يمكن للطائرات الاسرائيلية ان تبغضه .

وربما كان السبب الرئيسي الآخر الذي جذب انتباه العراق بعيدا من احتمال شن اسرائيل غارة جوية على مفاعلها النووي ربما كان هذا السبب هو الريبة الصواريخ القاسية بين اسرائيل وسوريا والتي كانت تشر ، نيبا يبدو ، ان اسرائيل كانت مشغولة تماما بالوضع على حدودها الشمالية لا بالوضع على حدودها الشرقية مع العراق ولقد زعم بيجين - الذي وجهت اليه التبعات حادة خلال الحملة الانتخابية الاسرائيلية بسبب ادارته المسينة لآلة الصواريخ لم تكن سوى مرمر لجلب الانتباه بعيدا عن الهجوم على المفاعل العراقي . ومن المرجح ان بيجين قد حاول ان يستفيد من الفارة على العراق بان يبلغ الناخبين : كم كان ذكيا . . او ربما كان يحاول تخفيف ازمة الصواريخ بين اسرائيل وسوريا بالاشارة الى ان هذه الازمة لم تكن سوى عرض جانبي او ثانوي وليست ما يشغل بال اسرائيل اساسا . وعلى نحو او آخر ، كان هذا هو التفسير الذي تمه بيجين بعد الحادث والذي فشل في اقناع اى شخص .

ومن المحتمل كذلك ان العراقيين كانوا يدركون انه من غير المرجح ان يهاجم الاسرائيليون المفاعل وقت احضام معركتهم الانتخابية ، وانهم لن يهاجموا المفاعل الا بعد ان يكتمل العمل في بنائه ويبدأ تشغيله .

وايا كان الامر ، فان تضامر الاعداد التمهيلي للهجوم واقتران ذلك بوضوء من شأنها تحويل الانتباه عنه قد وفرت الظروف المثالية لشن هجوم يهاجم ناجح على المفاعل .

١٦ - عملية بابل : اختيار الأسلحة

لقد جرى التخطيط على أن تطلق الطائرات الإسرائيلية وهي في طريقها إلى الهدف على ارتفاع منخفض جدا . وكانت الطائرات المهاجمة تتلوي في مجموعتين : المجموعة الأولى وهي الطائرات القاذفة وتتضمن ٨ طائرات اف - ١٦ الصقر المقاتل ذات المقعد الواحد والمحرك الواحد .

أما المجموعة الثانية فكانت تتضمن ٨ طائرات من طراز النسر اف-١٠٠ وتعمل لتفطية الغائيات اف - ١٦ .

وما أن تقترب الطائرات من الهدف (الذي يقع على بعد ٥٠ ميلا من بغداد) حتى تحلق طائرات اف - ١٥ على ارتفاع أكثر لتفطى اقتراب الطائرات اف - ١٦ . وكانت طائرات اف - ١٥ مزودة كذلك بأجهزة إلكترونية مضادة أو أجهزة تشويش - وذلك لشل فعالية الرادار وأجهزة توجيه بطاريات صواريخ سام - ٦ المضادة للطائرات وادار المفعية المضادة للطائرات من طراز سوزيو - ٢٣ - ٤ . فضلا عن ذلك ، كان عليهما أن تخطى الصواريخ جو - أرض المضادة للاشعاع مثل صواريخ « شرايك » التي يمكن استخدامها لشن فعالية الغائيات الصيلة بالمساعل والمضادة للطائرات ولكن فوق كل ذلك كان على طائرات اف - ١٥ أن تحل عددا كبيرا من صواريخ جو - جو ومن المرجح انها مجموعة تتألف من الصاروخ الإسرائيلي الصنع « شافير » وكذلك صواريخ سايونندر الأمريكي الصنع والصواريخ الطويلة المدى سبارووز طراز ام-٧ .

وعلى الطائرات اف - ١٦ أن تستمر لفترة في التطبيق على أهداف منخفضة ثم ترتفع تدريجيا من ١٥٠٠ إلى ٢٠٠٠ قدم في اتجاه الهدف ذاك ، وعندئذ وهي فوق الهدف تماما ، تنقض مرة أخرى إلى مستوى منخفض لضمان تحقيق اصابت مباشرة للهدف .

وكان الاقتراب يقضى بان تقترب الطائرات اف - ١٦ أولا من معركة الهدف وهي تحلق على ارتفاع منخفض ثم أكثر تخففا . بينما تتولى طائرات اف - ١٥ تفطيتها . وهكذا ، فإن طائرات اف - ١٥ الأسرع ستظهر في نفس الوقت الذي تظهر فيه طائرات اف - ١٦ فوق منطقة الهدف وعلى ارتفاعات مختلفة . وفي امقاب الهجوم مباشرة ستقجه طائرات اف - ١٦ إلى أعلى لتلتقى مع طائرات اف - ١٥ التي تحلق إلى أعلى .

وخلال مرحلة العودة إلى الوطن ، سيتبنى هيكل المجموعتين مرة أخرى . ففي هذه المرة ، ستشكل كل من طائرة اف - ١٥ و اف - ١٦ زوجين ، ويتخذ كل زوجين طريقا مختلفا إلى الوطن ، وذلك ليعمل عملية الاعتراض أكثر صعوبة (إذا ما حاول المراقبون ذلك) . وسيكون الطيران

في طريقه العودة على عكس الطيران في طريق الاقتراب من الهدف - على ارتفاع مرتفع وسيكون الطريق في العودة بقدر الامكان حتى يمكن تومير الوقود . ولقد كانت عملية الطيران كلها تستغرق حوالي ٤ ساعات ، منها ساعتان ونصف ساعة في الطريق الى الهدف ، ودقيقتان فوق الهدف ، ثم حوالي ساعة ونصف الساعة في طريق عودة الطائرات الى قواعدهما .

ولقد امدت ترتيبات الانقاذ تفصيلية وان كان لم يكشف عنها في حالة اضطرار احد الطيارين الى الهبوط بمظله . ولم تكشف اية معلومات بشأن عملية الانقاذ للجنود هذه ، بيد انه من المؤكد انها كانت تفصيلية ودقيقة ، ومن المرجح انها كانت تنطوي على طائرة نقل مثل (هرقل طراز سي - ١٣٠) التي يمكنها ان تهبط في مرصير وبدائي وان تطلع من مرات قصيرة جدا بالاستعانة بالطاق صواريخ . وتوجد اساليب فنية يمكن بها لطائرات طراز سي - ١٣٠ ان تنفذ طيارا تانها وهو على الارض دون ان تهبط .

وتتضمن ترتيبات الانقاذ الأخرى طائرات الهليكوبتر التي يمكنها ان تطلع من الطائرة سي - ١٣٠ بعد هبوطها وان تتقدم الى اراض اكثر صعبة لا يمكن للطائرة سي - ١٣٠ ان تهبط فوقها . وفي ضوء كافة الاحتمالات ، كان عدد قليل من سي - ١٣٠ يحلق في الجو (او على الاقل في حالة تاهب خاص) طوال الوقت ، مع ترجيح وجود طائرات معاتلة لتفطيتها والواقع ان احتمالات هبوط احد الطيارين بمنطقة فوق العراق ، لم يكن يجعل اى طيار اسرائيلى سميذا . ذلك انه ما التت السلطات العراقية القبض على اى طيار فانه لن تتوافر له اى فرصة لان يعود قط الى الوطن .

واخيرا ، وفي حالة نجاح الغارة ، وعودة كافة الطائرات الاسرائيلية ، سيكون من الضروري وضع سلاح الطيران الاسرائيلى في حالة تاهب لعدة ايام قلائل في ضوء احتمال ان يسرع العراقيون ويخططوا لغارة انتقامية .

ولقد كان اختيار الاسلحة او القنابل التي ستلقى على الهدف مسألة حاسمة . فقد كانت الطائرات المهاجمة تقدم على مجسطة بالغة جدا وهي تقترب من الهدف ، وهي اذا ما فشلت في تمير المفاعل خلال المرور السريع فوئه مرة او مرتين على الاكثر ، فانه لن تتوافر لها فرصة ثانية . ومسبب ذلك واضح ، ففي أعقاب الهجوم الاول الواسع النطاق غير الناجح سيمر العراق بالتأكيد من دفاعاتهم المضادة للطائرات وخاصة حال تعطيل راداراتهم .

وعندئذ سوف تتضائل فرصة شن هجوم على المفاعل عن طريق تحقيق

المهاجمة الكاملة ، وان اية محاولة لخرى لمهاجمة الهدف من الجو سوف تنطوي
على تكلفة باهظة جدا . ولذلك ، كان على الطائرات المهاجمة ان تحصل المزيد
من الاسلحة لضمان تدمير الهدف ، حتى في حالة اذا لم تستطع بعض
الطائرات القاذفة فعل ذلك .

وفي ضوء مثال تفصل بعضه الإنفاذ الأمريكية في ابريل ١٩٨٠ في
الصحراء الإيرانية (كتنجبة أساسا لعدم وجود ما يكفي من طائرات
الهليكوبتر ضمن البعثة ، في حالة اذا ما جرى تدمير بعضها خلال المعر
قرر الاسرائيليون لضمان نجاح القاذرة تسليم القوة المهاجمة بالمزيد من الاسلحة
الاضافية . وهكذا ، فان كانت ٧ طنان من القنابل (اى ما يساوى تقريبا
١٥ الف رطل من مادتي تي . ٥ . تي . ٥ شديدة الانفجار) تكفى لتدمير
الهدف ، فان الطائرات المهاجمة ستحمل ما لا يقل عن ١٥ طنا (او ٣٢ الف
رطل) .

ويوجد لدى السلاح الجوى الاسرائيل في ترسانته بعض أحدث الفخيرة
والاسلحة المتطورة الأمريكية الاسرائيلية الصنع وذات التوجيه الديبر

ويكمن لأى من هذه الاسلحة ان يحدث تدميرا خطيرا في المفاعل العراقي
وخاصة نظم أسلحة جي . ٥ . بي يو ١٥ وسلاح البين . ٥ وقد قرر فريق التخطيط
للقتال بالسلاح الجوى الاسرائيل ، الا يفجار ايا من نظم هذه الاسلحة ، رغبة
مخ في جعل شيء متعلق بالقاذرة بسيطا بقدر الامكان . والواقع انه على حين
تعتبر الفخيرة والأسلحة ذات للتوجيه الدقيق في ظل توافر ظروف
بشافية أكثر الاسلحة دقة في التشغيل ، على حين ذلك يتطلب ظروفها خاصة
لا يمكن توافرها في ظل ظروف ميدان القتال . فهي تتضمن مثلا تشغيلها من
أقل ارتفاع ممكن ، وان يكون بالطائرة شخصان أحدهما لتشغيل أجهزة
التوجيه والاخر لقيادة الطائرة ، وتوافر ظروف مناخية ممتدة واستقرار
الطيران لمدة ٢٠ ثانية او يزيد . وأخيرا فان الاسلحة ذات التوجيه الدقيق
تتكون من العديد من الاجزاء الالكترونية مما يؤدي عطل احداها الى تضائل
امكانية القصف الدقيق . وعلاوة على ذلك يمكن لهذه الاسلحة ان تعرض
دائما للتدخل والتشويش .

ولما كان من الصعب تلبية كافة هذه المتطلبات بالنسبة لهجوم مفاجيء
على ارتفاع منخفض على هدف تحوطه دفاعات كثيفة اختار مخططو العملية
القنابل التقليدية وكانت القنبلة التي وقع الاختيار عليها هي القنبلة الأمريكية
الصنع طراز ام كي ٨٤ زنة ٢٠٠٠ رطل (٩٠٧ كيلو جرام) وهي قنبلة
تقليدية شديدة الانفجار (او قنبلة اسرائيلية ماثلة لها) وقد اختبرت هذه
القنبلة في عمليات عديدة ولم تفشل اطلاقا . وهي تحمل شحنة شديدة
الانفجار بحيث تسبب دمارا خطيرا لبعض الاهداف الصلبة . وحتى يمكن
ان تحقق الاثر المنشود ، اى تدمير الهدف ، لا بد من ان تصيبه اصابة مباشرة
في منتصفه . وان تأثيرها سيكون غير ذى بال . ويصدق هذا بالنسبة لكل

القنابل التقليدية ، التي توجه ضد هدف محدد ، والتي قد تصيب أو لا تصيب المنطقة الهدف مثل مجموعة منشرة من الدبابات المهاجمة أو كتيبة مشاة أو غير ذلك .

ولقد اتساع « بينيت راميراج » في كتابه (تدمير منشآت الطاقة الذرية في الحربا - الفصل الثاني) الى فترة الاسلحة التقليدية على تدمير اقوى بمفاعل نووي .

والواقع ان كل قنبلة من طراز ام كي ٨٤ التي استخدمها الاسرائيليون كانت قوية بحيث تكفي لتدمير المفاعل الذي لم يكن سمكه يزيد بالتاكيد عن ١١ قدما من الاسمنت .

ويطوى هذا النوع من القنابل على ميزة تشمل في انه في الامكان استقاطها على الهدف من ارتفاع منخفض جدا . ولذلك كان على الطائرات الاسرائيلية المهاجمة ان تتأكد تماما من انها ستصيب الهدف اصابة مباشرة وقد تحقق هذا بفضل برنامج التدريب المكثف ، ويتوجيه أجهزة الملاحة بدقة صوب الهدف ، وبالتحليق من ارتفاع منخفض الى ارتفاع يزيد على ٢٠٠٠ قدم واطيرا الانقضاض واطلاق القنابل فوق منتصف الهدف من ارتفاع يتراوح بين ٥٠ الى ١٠٠ قدم لضمان اصابة الهدف اصابة مباشرة . وفيما بعد ، وفي اعقاب الفارة ، كشفت الصور الفوتوغرافية التي التقطتها اقمار التجسس الامريكية ان القنابل قد اصابت المفاعل اصابات دقيقة حتى ان ضباط المخابرات الامريكية كانوا مقتنعين بان الاسرائيليين استخدموا في فصلهم الاسلحة ذات التوجيه الدقيق . غير ان ما لم يعرفه محللو المخابرات الامريكية ، فيما يبدو هو ان الطيارين الاسرائيليين قد اعتادوا قصف اهدافهم بمثل هذه الدقة من ارتفاع اكثر انخفاضاً مما يرى الطيارون الامريكيون انه ارتفاع آمن .

ويمكن للطائرة اف - ١٦ ، في حالة خفض كمية وقودها ، ان تحمل حوالي ١٥٢٠٠ رطل (او ٦٨٩٥ كيلو جراما) وذلك بالنسبة لهدف قصير المدى اما في حالة عدم خفض وقودها ، فانها تحمل ١٢٠٠٠ رطل (او ٥٤٤٣ كيلو جراما) بالنسبة لهدف طويل المدى .

ولقد اضطر المخططون للصلية الى اضافة كمية كبيرة من الوقود الاحتياطي للطائرة المهاجمة نظرا للمدى الطويل جدا للصلية . وكان هذا يعني ان على كل قاذفة مقاتلة ان تحمل شحنة وقود اقل من شحنتها من القنابل . ولذلك حملت كل طائرة من طائرات اف - ١٦ قنبلتين فقط من طراز ام كي - ٨٤ وتبلغ زنة الواحدة منها ٢٠٠٠ رطل . وهكذا حملت طائرات اف - ١٦ الثانية ١٦ قنبلة ، يبلغ وزنها الاجمالي ٣٢٠٠٠ رطل من المواد السديمة الانفجار . وفي ضوء كافة الاحتمالات ، كان تصويب قنبلتين او اربع قنابل تصويبا جيدا نحو الهدف سوف يدمر المفاعل المراقى تماما . كما لا غرابة رغبة من فريق التخطيط الاسرائيلي في تحقيق مزيد من الضمان لتدمير المفاعل وكاجراء احتياطي ، قروا بضاعة عدد الطائرات والقنابل ، على الاقل .

١٧ - عملية بابل : العدد التنازل

بدأ حوالي ٢٤ طيارا برنامج تدريبهم المكثف في وقت ما ، في شهر أكتوبر ١٩٨٠ . ولقد جرت كل تدريباتهم في ظروف ماثلة للاراضي صحراوية . وقد تدربوا تكريبا ثلاثا على الحديد الدقيق للملاحه الجوية والطيران على ارتفاع منخفض جدا (وهو أمر صعب للغاية فوق الاراضي الصحراوية المنبسطة على نبط واحد) في تشكيلات متقاربة من بعضها تتكون من ٨ الى ١٠ من طائرات اف - ١٦ واف - ١٥

وقد تعلموا كيف يهربون بسرعة في حالة وجود تهديد من جانب الطائرات المقاتلة للعدو ، وحسنوا من اساليب الاتصالات البصرية والتنسيق الوثيق بين الطيار الذي سيحسم بدوره الاتصالات بين قائدي طائرات اف - ١٦ واف - ١٥ . وتدربوا على فك التشكيلات والطيران على شكل طائرتين احدهما اف - ١٦ والاخرى اف - ١٥ للمودة الى قاعدتهم .

وكان عمل تشكيلات الطائرات أن تتعلم كيف تعتمد على ملاحه قائد أو قائدين ، بينما يركزون هم في الطيران ومراقبة شاشات واداراتهم عن كتب لاحتمال ظهور طائرة معادية . وعلى الآخرين أن يشغلوا ما لديهم من اجهزة تشويش الكترونية .

وكان عليهم أن يتدربوا على الاقتراب من الهدف مرات ومرات حتى يصبح في مقدورهم أن يفعلوا ذلك وهم مضطربون الميئين . وكان على كل طائرة من طائرات اف - ١٦ أن تهاجم الهدف في وقت لا يزيد عن ثلاثين أو أربع دقائق بالنسبة للطائرات كلها . وكان على كل طائرة أن تحوم حول الهدف لفترة تتراوح بين ١٥ الى ٢٠ ثانية ثم تليها الطائرة الاخرى وهكذا كان كل منها يعرف مكانه وتوقيتته المحدد بالنسبة للهجوم . وكان على كل طيار أن يركز على الهدف ، وأن يتجاهل أي تيران طهارة للطائرات وأن يسقط القنابل مباشرة على منتصف الهدف او في المناطق التي لم يصعبها الطيارون الذين سبقوه .

وقد اعتبرت التدريبات مهمة للغاية حتى ان وفائيل ايتان رئيس الاركان الاسرائيلي قد اشترك بنفسه في إحدى التدريبات حتى يحصل على فكرة مباشرة عن فعالية الغارة والمشاكل التي تنطوي عليها .

وعندما حان الوقت المناسب ، اعطيت الاوامر لتنفيذ العملية ، وذلك بعد ارجاء موعد الهجوم مرتين أو ثلاث مرات . وكان الطيارون يظنون ويعتقدون التدريبات بحدا فبرها . وكان الشيء الوحيد الذي لم يعرفوه هو - يوم الهجوم - وقد ابلغهم به قائد القاعدة قبل الهجوم بـ ٢٤ ساعة .

وقد شبه الرجل الذى خطط للفارة ، التدريب المكثف ، ببرونة
(أوركسترا سيلفونى) فكل الطيارين والمقاتلات كانت تعمل تبعا بخطة
واحدة ، تماما مثل الموسيقيين الذين يعزفون فى أوركسترا .

وقد اشار الى انه بعد هذا التدريب التفصيلى والدقيق تظهر المهارة ،
ويمكنك ان تقول لهم ، كونشيرتو رقم ٤٢ لبرامز - وعندئذ سوف يؤدى كل
دوره فى العزف فكل واحد يعرف جيدا اى موسيقى سيعزفها .

وقد رأى قائد الأوركسترا ان عملهم أصبح منسقا . وان الأمر لا يحتاج
الى كلمة أخرى . وفى هذه الحالة لا يقتضى الأمر وجود مشاهدين .

كان يوم الأحد ٧ يونيو ، يوما جميلا مشرقا . وكانت مدينه ايلات
المصفرة ، المركز السياسي الاسرائيلى على شاطئ البحر الاحمر . نكظ
بالآلاف من السائحين السكندنافيين والالمنيين والاسرائيليين الذين جاؤوا اليها
للاستمتاع بشواطئ البحر الاحمر الرملية ، وذلك قبل ان تعود هذه
الشواطئ الى بحر كجزء من معاهدة السلام بين الدولتين . وكان يوم الأحد
ذاك يقع بين يوم الاجازة الاسبوعية اليهودية وبين عيد شانوث ، الذى
يحدد فى التاريخ اليهودى الطويل فى اسرائيل منذ الذى عام مضت يحدد بداية
حصاد محاصيل الشتاء .

ولم يدرك اى من هؤلاء السائحين النشاط الخاص الذى كان يجرى و
القاعدة الجوية اترزيون ، التى تقع على بعد حوالى ٢٠ كيلو مترا من ايلات .
طوال ٢٤ ساعة كانت واحدة من احسن وأحدث القواعد الجوية فى العالم و
حالة نشاط غير عادى . والواقع ان (الروتين) المعتاد فى اسرائيل يقضى
بأن يحصل معظم جنود الجيش النظاميين على اجازة آخر الاسبوع . ولذلك
يتوقف التدريب المعتاد فى يوم السبت ، وتكون الطائرات على استعداد
للطيران فقط فى مهمات نمائية بمقضى أعزج حاة التأهب بينها نذة مصره .
ومع ذلك الغيت اجازة آخر الاسبوع الخاصة هذه ، والغيت كافة الاجازات
حتى بالنسبة للقيام برحلة الى ايلات .

وكان هذا أحد الاجراءات التى اتخذها فرع خدمة امن الميدان التابعة
للجيش ، وذلك حتى تقضى على اية فرصة لتسرب السر الكبير . وقد قطعت
لنفس السبب كافة الاتصالات التليفونية ، باستثناء بعض المكالمات الخاصة
لمقر قيادة القاعدة . وعلى الرغم من أن الطيارين الذين وقع الاختيار عليهم
للقيام بالمهمة ويمض كبار الضباط الآخرين كانوا يرمون عن الفسارة ، هلج
الرغم من ذلك كان المسئولون عن عملية الامن الخاصة بالفارة يمثل فى ذهنهم
حادث وقع منذ خمس سنوات ، خلال الاعداد للفارة على مننبيى ، وذلك
هنحبا اكتشف بعد ساعات قلائل من افلاع الطائرات أن جنديا بالقاعدة قد
اتصل تليفونيا بصديقته حيث اخبرها انه لن يستطيع التوجه الى المنزل كما
وعدها لاننا « نعد شيئا ما خاصا لميدى امين » .

وكانت القاعدة لانزال مغلقة حتى ساعة متأخرة من الصباح عندما
هبطت طائرة هليوكوبتر بالقرب من مقر قيادتها . وخرج منها رفائيل ايتان
رئيس الأركان الاسرائيلى بصحبة الجنرالان دينيد ايفرى قائد السلاح الجوى
الاسرائيلى ، ويوهوشوا ساجيف رئيس المخابرات العسكرية ، وبعض كبار
الضباط الآخرين الذين اشتركوا فى تخطيط العملية منذ بدايتها ، واتجهوا جميعا
الى داخل مقر القاعدة .

وفى داخل غرفة العمليات الكبيرة المكينة الهواء التى توجد تحت الأرض،
التقوا بـ ١٦ طيارا وكولونيل بالسلاح الجوى يبلغ من العمر ٢٢ عاما ،

وكان الراس المنبر وراء التخطيط للغارة ، والذي بدأ الآن الغاء توجيهه اخر
باجراءات تنفيذ الغارة .

وكان كل شخص داخل غرفة العمليات يعلم تمام العلم كل تفاصيل
الغطة . بكل منهم يعرف بدقة طريق الطيران ، والطريقة التي يتعين بها
الانحلال بها تحمله طائراتهم من شحنات وقود وخزيرة ثقيلة ، وانماط طيران
الشمور (طائرات اف - ١٥) والشمور (طائرات اف - ١٦) ، والاجراءات
التي اتخذت للانفاذ اذا ما هبط احد الطيارين من طائرته ، وغير ذلك من الكثير
من التفاصيل الصغيرة والهامة جدا واللازمة لنجاح المهمة الجسورة . ولقد
لصترك كل منهم في هذا البيان الموجز الخاص باجراءات تنفيذ الغارة ، على
الاقل مرة في الماضي . وكانوا يعنون حنينة ان هذه العملية الى اعدوا
انهمسهم بدقة للاسطلاع بها قد الغيب في اندقية الاخيرة مرتين على اقل -
وكانوا ياملون ان يبدأ العمل الفعلي هذه المرة . وكان الجو في الغرفة التي
تضئها انوار (النيون) هادئا ولكنه يسم بانوتور .

وفي الخارج ، في المأجء الضخمة للمبارات ، وبعضها تحت الارض ،
كان مئات الفنيين يعدون الطائرات للبعث . وقد جرى فحص جهاز الشويش
بلى الاجهزة الإلكترونية المازوده به طائرات اف - ١٥ ، عدة مرات . كما تم
تثبيت الصواريخ جو - جو بدقة في انجحة طائرات اف - ١٦ . وزويت
الطائرات المتانلة الغانفة بقتابل من طراز ام كي - ٨٤ . والواقع انه حتى هذه
اللحظة ، لم يعرف احد من هؤلاء الجنود المهمة التي ستقوم بها الطائرات .
ولكنهم بالطبع كانوا يدركون تمام الادراك ان مهمة خاصة سيجرى تنفيذها . غير
له لم يكن في وسعهم السكهن بهنئها . وحين بعضهم ان الهدف هو بطاريات
الصواريخ السورية على الحدود الشمالية . اما البعض الآخر ، الذين اعتبروا
ان هذا الطراز من القتابل الحديدية ليست السلاح الافضل ضد مثل هذه
الاهداف ، فقد اعترضوا على اقتراحات اصداقائهم ، وان كانوا لم يستطيعوا
تقديم بديل افضل .

وكان الضابط الفني المسئول عن كل سرب من المائرات وبصحبته كبار
مساعديه يقوم شخصيا باجراء الفحص الاخير لكل طائرة عندما عاد الطيارون
من تلقى البيان الموجز بتفاصيل الغارة ، وكان عنى راس كل منهم خوفته .

وقبل دقائق من الساعة الثالثة ، بالتوقيت المحلي ، دخل الطيارون
الشبان طائرانهم ، واغلقت القباب الخاصة بالطيار من اعلى . وكان عدد قليل
منهم مصعبا ، وكانوا قد تدربوا لمدة طويلة لكامة الاحتمالات واسوا التطورات
المحتملة . ثم ضغط الطيارون على الزر وعندئذ سمع دوى المحركات في كامة
أرجاء القاعدة . وتحركت الطائرات الى الابهام وعندئذ راوا المبر الطويل والعريض
وقد اطلعت كل طائرتين معا . مستخدمة طول المبر كله بسبب الوزن الثقيل التي
كانت تحمله .

ونظر رئيس اركان السلاح الجوى الاسرائيلى وغيره من الجنرالات الى اعلى وشاهدوا الطائرات وهى تفتى محلقة على ارتفاع منخفض فى السماء للزرقاء ، فى الاتجاه الجنوبي الغربى . وكانت وجوههم متومرة وان كانت لاسم باى نصير - وكان عليهم ان ينتظروا ، ساملت على الأكل قبل ان يعرفوا هل المهمة نجحت أم فشلت بلقد اعتقوا على عدم استخدام نظم الانصال - الا فى حابه وضع طارىء - حتى يمكن تجنب ان تكشف قوات العدو الطائرات . والان ، لم يعد ثمة شىء يغلطه رناتيل ايتان ولا ليفرى ولا غيرهم سوى تخمين السجائر والنظر من حين الى آخر الى ساملتهم .

وكانت الطائرات تحاق الآن فوق آلاف الساتحين الذين يستمعون على سواطىء البحر الاحمر . ولم يول اى شخص اى اهتمام للمقاتلات التى تنادى على ارتفاع منخفض . وكان ما خطر على تفكير الكثير من الاسرائيليين الذين كانوا يشاهدون الطائرات وبينهم بعض طياري السلاح الجوى الاسرائيلى « انها طلعات تدريبية اخرى طويلة ومسلية » .

لقد كان الطيران الى المعامل النووى المراقى هادئا فلم تقع خلاله اية أحداث هامة كما قال الطيارون بعد ذلك بساعات . ذلك أنه خلال ساعات تعديباتهم الكثيرة واجه كل منهم العديد من حالات الطوارئ المحتملة - منها ان تكتشف طائرته . وهو فى طريقه الى الهدف ، وان تطلق عليه نيرانا مضادة للطائرات على نحو اشد كثافة مما كان متوقما ، وان تعرضه المقاتلات السعودية او العراقية او الاردنية وهو فى طريقه الى الهدف او خلال العودة الى الوطن . وكذا الاحتمال الدائم بظهور بعض الاعطال الفنية .

ومع ذلك ، جرى كل شىء على نحو ما كان مخططا له تماما ، ولقد كانت الطائرات تطير الآن فوق الأجزاء الشمالية من الصحراء السعودية وكانها فى ١٥ فى المقدمة تعودهم الى مشروع تبوز ، بالرغم من وجود محطات رادار كثيرة فى هذا الجزء من المنطقة . لقد كتبت الطائرات تطير على ارتفاع منخفض جدا يتراوح ما بين ٣٠ الى ٦٠ قدما فوق سطح الارض . ولم تسمع اية كلمة فى نظم اتصالاتها . وكان كل طيار يتبع الطيار الذى امامه ، مكونين بذلك تشكيلا كبيرا خلف قائد الغارة . ولقد مكثهم الاكتيال الفنى النادر ، مقترنا بأفضل الطيارين وأكثرهم خبرة فى العالم ، من تحقيق هذا الاداء الرضيع للغاية دون ان تنشأ اية مشكلة .

وقد صوب كل من الطيارين الشبان عينيه على المعدات الكثيرة الموجودة لملمه فى لوحة « تابلوه » الطائرة . لقد كانت الساعة الرابعة واتجهوا نحو الجبهة الشمالية الشرقية ، عابرين الحدود بين السعودية والمراق وكانوا يركزون اهتمامهم على شاشات الرادار الاخضر الصغير الموجودة امامهم ، لرصد اى مصدر للمتعاب او الانفاز . ولكن شيئا لم يظهر . ولم تحاول اية طائرة للممر اعتراضهم .

وكانت فترة (ساعة ونصف ساعة) طويلة ومملة قد مضت عندما ادركوا ان نصف مهمتهم تقريبا قد انتهى . وفي الساعة ٢٣ر٥ دقيقة تمكن القائد واولئك الذين كانوا بالقرب منه من التعرف على المباني الضخمة - وفيه مشروع تونز - المشيدة من الأسمنت والى بياض ارتفاعها ٦٠ قدما . وعندئذ بدأت طائرات اف - ١٥ الارتفاع الى حوالى الف قدم ، حتى يمكنها السيطرة على منطقة القتال والتأكد من ان طائرات العدو لن تتعرض للصقور المفاجئة خلال تأدية مهمتها . وارتفعت طائرات اف - ١٦ مئات اقدام قليلة . وكما خطط مسبقا منذ شهور طويلة مضت ، كان عليها ان تحصد المنازل من ارتفاع منخفض ، حتى يتجنب النيران المضادة للطائرات التى يحوى المشروع .

غير انه لم يطلق بعد اى مدفع مضاد للطائرات نيرانه ، كما لم يطلق اى صاروخ سام ، عندما اقتضى الطيار الاول بطائرته القاذفة المقاتلة مصوبا نحو منتصف القبة الاسمنينية الضخمة التى يوجد تحنها تونز - ١ وفى اقل من خمس ثوان كان يرتفع مرة اخرى . لقد اصابت اول قنبلتين من طراز ام كى - ٨٤ السقف الاسمنى ، وجرته الى قطع صغيرة ، وذلك عندما كانت الطائرة الثانية قد اطلقت القنبلتين الثانية . وواحدة بلو الاخرى ، وعلى فترات لا تزيد عن ١٥ ثانية ، اطلقت القنبلتين الثالثة والرابعة بالمسائل ، بينما كانت تقرب منه من زوايا وانجاهات مخفية . وعندئذ بدأت المدفعية العراقية المضادة للطائرات من طراز سوزير ٢٢ التى نيرانها على الصفات المهاجمة . غير ان سرعة الطائرات المغيرة ودقتها وجديتها على ارتفاع منخفض لم تدع للدفاع العراقى المضاد للطائرات اية فرصة على الإطلاق . لقد كان توقيت الطيارين وحقه قصصهم للقتال امرا لا يمكن تصديقه ولقد اثبت التدريب الطويل على تصف هدف مماثل فى اسرائيل فعاليته الان .

ومن على الأرض ، كان بعض الفنيين الفرنسيين يشاهدون قبة المنازل وهى تنطير فى الهواء وتتفجر الى قطع صغيرة . ولقد بدأ هذا بالنسبة لواحد منهم كان فى طريقه الى حيث تقف سيارته ، بدأ كما لو كان مشهدا سينمائيا . ولقد اشتعلت النيران بسرعة ، بينها انهارات قبة المنازل ولم تصمد تظهر منها الا عدة امتار قليلة فوق سطح الأرض . وتحطمت الى اجزاء معدنية صغيرة الاجزاء الدقيقة لقلب المنازل وكذا مكوناته الاخرى الموجودة تحت الأرض بينما كانت القنابل تصيب مركز الهدف مرات ومرات .

ولقد بدأ الامر بالنسبة لمن هم فوق الأرض كما لو كان قد استغرق ساعات اما الطيارون الاسرائيليون الذين كانوا مشغولين جدا فاعتقدوا ان القنبلة استقرت تونز . وعموما فى خلال دقيقتين كان كل شيء قد انتهى .

وعندما غادرت آخر طائرة قاذفة لمنطقة الجليل ، ترك احد طياري اسميه ١ زملاءه الذين كانوا يتولون عملية التغطية من اعلى . لقد كان زودا بجهاز تصوير فحاص ، والتقط فيلم فيديو من اعلى ، اما الان فقد اقتضت طائرته والتقط الصور الاخيرة للمنازل الذى جرى تدميره . ولقد كان الخنار والنيران يغطيان المنطقة

كلها ، غير ان الطيار يمكن من التقاط صور المشهد من طريق اجهزة خامسة
للأشعة تحت الحمراء .

لقد اصبحت الطائرات اف - ١٦ ، بعد اسقاط هبوطها من القنابل ، اكثر
سرعة من ذي قبل . وقد لحقت بها الطائرات اف - ١٥ ، وبدأوا معا طريق
العودة الطويل الى قواعدهم في اسرائيل .

ومعوما ، استطعت ١٦ قنبلة حديدية من طراز أم كي - ٨٤ على المناخل .
ولقد كانت دقة القصف مذهشة ، ولقد حققت كل القنابل اصابات مباشرة في نطاق
٣٠ هكتار من مركز المناخل . ولقد زعمت الصحف الأجنبية ، فيما بعد ، ان عميلا
اسرائيليا سريرا وضع بعض الاجهزة الالكترونية في المناخل مكنت القنابل من اصابه
مركز المشروع النووي . غير ان هذا الزعم لا يبدو كونه هراء . والواقع انه
بالنسبة للعديد من الصحفيين كانت دقة تصويب القنابل على الهدف امرا لا يهتز
تصديقه ولذا لا بد من ظهور بعض القصص الضخالية لنشر ما حدث .

وكنت الطائرات تطير الآن كل اثنتين منهما مع بعضها وعلى ارتفاع شاهق
جدا . وكان الطيارون يدركون تماما ان هذا قد يؤدي الى اعتراض طائراتهم .
ولكن لم يكن امامهم اى اختيار آخر . ذلك ان الطيران على لارتفاع منخفض جدا
قد استهلك الكثير من الوقود - بحيث اصبحت الطائرات تنصتج تنقصه . وكان
الطيارون يأملون الا يتعرضهم مقاتلات معادية في طريق مودتهم الى الوطن .
وعلى الرغم من ذلك كانوا يثقون في تفوقهم في القتال للجوى وانه اذا حدث
استقبال جوى لسوف يبرهنون على تفوقهم هذا ، مرة اخرى .

وايا كان الامر ، فلم تعترضهم اية طائرة على الرغم من انه من المؤكد
ان محلات الرادار الاردنية والعراقية واسمودية قد اكتشفت الطائرات
التي تحلق في الجو . وهنا ، يمكن افتراض ان المقاتلات الاسرائيلية لم
تعترضها اية طائرة معادية نظرا لافتقار السلاح الجوى العربى للكفاءة ولوجود
قدر من عقدة التقص لدى الطيارين العرب بالمقارنة لخصومهم الاسرائيليين .

وفي الساعة السابعة تماما هبطت اول طائرة اف - ١٦ في قاعدتها .
وخلال الدقائق العشرة التالية هبطت بقية الطائرات في قواعد جوية مختلفة
منتشرة في طول اسرائيل وعرضها .

وكان رماتيل الآن مستعدا . فامتصل تليفونيا ببيجين في منزله حيث كان
اعضاء مجلس الوزراء جميعهم ينتظرون في توبر وقلق الانباء . وقال رئيس
الاركان الاسرائيلى لبيجين الذى كان يشعر بالقلق : « لقد انتهت المهمة . وعلدت
كل طائراتنا الى قواعدها سالمة » .

وشعر رئيس الوزراء بالارتياح . وابلغ زملاءه بالخبر . وعندئذ جرى
لاحضار زلجاجة براندى اسرائيلى وشربوا جميعا نخب السلاح الجوى
الاسرائيلى .

وكتبت طائرتان اف - ١٥ تطلقان عاليا في سماء تل ابيب حيث تقومان
بدورة اتصال . وذلك بعد انتهاء المهمة ، وتبل الهبوط في قاعدتهما . وتد
وقتا منسمرتهما باختراقتين حاجز الصوت، مما أدى الى تحطيم زجاج عدد من
التال . ولم يكن احد من في تل ابيب يعرف ما الذي حدث . غير انه بالنسبة
للطيارين كتبت تلك هي وسيلتهم الشخصية لابلاغ المواطنين الاسرائيليين الذين
يسلوهم القلق في المدينة انه لم يمد يوجد ما يثير قلقهم بشأن المفاعل العراقي
قد انتهى الكلبوس .

الجزء الرابع

الحكم

« يوجد خلاف كبير داخل الإدارة . ونحن نحاول الآن ان نتحدث على نحو يتسم بالاعتدال » .

(المتحدث باسم وزارة الخارجية الامريكية)

« لا يسعك سوى الاعجاب بهارتهم الفنية ، على الرغم من اننا ندين العمل بشدة » .

(المتحدث باسم وزارة الدفاع الامريكية)

« لقد تم ابلاغ البيت الابيض ، بصفة خاصة ، بعد ثلاث ساعات من الهجوم . نمر ان رجال الاستراتيجية من مساعدي الرئيس ريجان شكوا في ان الاسرائيليين ياملون ان تسرب واشنطن النبا وبذلك تعطى انطباعا بالتواطؤ الامريكى » .

(جاك اندرسون ، صحيفة واشنطن بوست ٢٣ يوليو ١٩٨١)

« ان بقاء حضارتنا يتهدده الخطر عندما يسمح بالقدرة على انتاج اسلحة الدمار الجبامى ان تم الكرة الارضية . ويتمين علينا ان نعمل معا لمواجهة هذه المشكلة . فلا يوجد عمل ، اهم من ذلك » .

الملاحظات الاولى للسنتاتور آلاب كرانستون الواردة في البيان الذى القاه امام لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الامريكى .

واشنطن

١٨ يونيو ١٩٨١

القدس : ٨ يونيو ١٩٨١

لقد هاجم السلاح الجوي الاسرائيلي امس المفاعل النووي اوزيراك الذي يقع بالقرب من بغداد ودمره . وقد علقت كل طائراتنا الى الوطن سالمة .
وتجد الحكومة نفسها ملزمة بان تشرح للرأى العام : لماذا قررت تنفيذ هذه المهمة الخاصة .

لقد تابمنا بقلق بالغ منذ مدة طويلة ببناء المفاعل النووي اوزيراك وقد ابلغتنا مصادر لا يوجد اى شك فى الوثوق منها ان المفاعل يستهدف انتاج القنابل الذرية ، بالرغم من البيانات الماكسة لذلك .

وكان هدف هذه القنابل هو اسرائيل . وقد اعلن ذلك صراحة حاكم العراق فلقد صرح (الرئيس العراقي) صدام حسين فى اعقاب تدمير الايرانيين للمفاعل تدمرا طفيفا ، انه أمر لا ينطوى على اى معنى ان يهاجم الايرانيون المفاعل لانه يبنى ضد اسرائيل وحدها .

ان القنابل الذرية التى كان سينتجها هذا المفاعل ، باستخدام اليورانيوم المخصب أو البلوتونيوم ، هى من نوع القنابل التى القيت على هيروشيما .
وعلى هذا النحو ، نجد ان خطرا بالنسبة لوجود اسرائيل كان يجرى انتاجه .

وقد ابلغتنا المصادر الموثوق منها جدا بتاريخين لاستكمال بناء المفاعل وبدء تشغيله . اولهما بداية شهر يوليو ١٩٨١ ، والاخر بداية شهر سبتمبر من العام الحالى .

وهكذا ، وفى خلال فترة قصيرة ، كان سيجرى تشغيل المفاعل ويصبح ساخنا . وفى مثل هذه الظروف ، لن يكون فى وسع لى حكومة اسرائيلية لتخاذ قرار بنفسه . لان ذلك كان من شأنه ان يسبب موجة ضخمة من الاشعاع الذرى فوق مدينة بغداد مما يلحق الضرر بواطنيها الايرباء .

ولذلك ، اضطررنا الى الدفاع عن انفسنا ضد انتاج قنبلة ذرية فى العراق التى لم تكن لتتردد فى استخدامها ضد اسرائيل ومراكزها السكانية .
ومن ثم ، قررت الحكومة الاسرائيلية ان تحصل بدون اى ابطاء آخر لضمان سلامة شعبنا .

لقد كان التخطيط دقيقا . وكان قد تقرر ان تبدأ العملية يوم الاحد على افتراض ان ما بين ١٠٠ الى ١٥٠ خبير اجنبي يصلون فى المفاعل ، لن يكونوا فى موقع العمل لانه يوم اجازتهم الاسبوعية ، ولقد ثبت صحة هذا الافتراض . ولم يصب اى خبير اجنبي .

لقد كانت حكومتان اجنبيتان تساعدان الدكتاتور العراقي في صناعه
الاسلحة النووية مقابل الحصول على البترول . ونحن ندعوها مرة اخرى
الى الاقلاع عن هذا العمل الفظيع غير الانساني .

ونحن لن نسمح قط لاي عدو بان يطور اسلحة الدمار الجماعي ضد
شعب اسرائيل .

(بيان الحكومة الاسرائيلية الذي اذيع في

اليوم التالي للفازة)

بغداد : ٨ يونيو ١٩٨١

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الشعب العراقي العظيم ، يا أبناء الأمة العربية المجيدة ، لقد كنا نعرف منذ البداية أن أطرافاً كثيرة ، محلية ودولية ، كانت ولا تزال وراء رغبة النظام الإيراني المتخلف والمسيب في إثارة النزاع مع العراق ونشر الصداق وبه الحرب ضدها .

لقد كانوا وراء استمرار هذه الحرب التي امتدت عدة شهور وذلك بسبب مساندة وتمويلهم السياسي والعسكري لإيران ، ومن بين ذلك المشاورات الإعلامية والفنية والخبرات العسكرية المباشرة وغير المباشرة - حتى يحفروا هدفهم الشرير ضد العراق . وكان الطرف الأساسي هو الكيان الصهيوني ، الذي يفهم تمام الفهم أن العراق المتحرر والمتطور والقادر ، يعتبر عاملاً حاسماً في تحديد نتائج النزاع العربي ضده ، اليوم وغداً .

ولفهم الكيان الصهيوني أن أحد العوالم الأكثر حسماً في تحديد مستقبل الصراع الذي تخوضه الأمة العربية ضده ، هو الوجود المستمر للفجوة التكنولوجية والحربية بينه وبين الأمة العربية ولذلك يحاول بثني الأساليب إبقاء هذه الفجوة في نطاق حدود لا تمكن الأمة العربية من تحقيق الانتصار عليه في النزاع القائم .

وإطلاقاً من هذا الهدف الاستراتيجي ، لشرك العدو الصهيوني في أكثر من مناسبة سواء مباشرة أو غير مباشرة ، مع إيران ضد العراق ويتضمن ذلك تزويد إيران بالمعدات وقطع الغيار العسكرية . كما أغارت طائرات العدو الإسرائيلي على العراق خلال الأيام الأولى من الحرب ، وبذلك تستغل ظروف الحرب ضد إيران ، بالتواضع مع النظام المشبوه في إيران . ولقد كانت الغارات تستهدف بصفة خاصة المنشآت النووية العراقية .

ولقد عرفنا وكشفنا المحاولة التي وقعت في ٢٧ يوليو ١٩٨٠ . فلقد أذعننا ، في ذلك الوقت ، بياناً عن غارتين على بغداد . غير أننا لم ننكر العدو الصهيوني بالاسم لأسباب عسكرية وسياسية ولأسباب معنوية ولأننا نعترف من التجربة أن البيانات التي تصدرها النظم العربية عن اشتراك أطراف أخرى في النزاعات الناشئة بينها وبين العدو كانت تفتقر دائماً بالفضل ، كما تعتبر خريصة وتبويراً لهذا الفضل . ولهذا لم نشر إلى هذه الحقيقة في ذلك الوقت ، ولم نكشف رسمياً كافة تفاصيلها .

أيها المواطنين ، أننا نعلن اليوم أن طائرات العدو الصهيوني قد أغارت أمس على بغداد .

على الساعة السادسة و ٣٧ دقيقة اثار تشكيل من ٩ طائرات على
البنى النووي . وكما حدث في ٢٧ سبتمبر ١٩٨٠ ، اثرتنا الا نتسرع في الاعلان
عن هذه الفارة . وبينما كنا نعد هذا البيان بعد ان توافرت كل الدلائل على
هذه الفارة ، اعلن العدو الصهيوني بعد ظهر اليوم مسئوليته عنها . ايها
الاخوة ، يا ابناء العراق ، ويا ابناء الامة العربية : ان هذه العملية تكشف لكم
جانبا هاما واماسيا عن الاسباب التي دفعت النظام المشبوه في ايران لاشغال
العرب مع العراق واستمرار هذه الحرب لمدة عشرة اشهر بالرغم من كافة
الجهود التي بذلت لوقفها على اسس عادلة ومشرقة تضمن الحقوق الشرعية .
ونضال كل من العراق وايران . ويجاول العدو الصهيوني تحقيق اهدافه وان
يحتل للحكام في (طهران) و (قم) ما فشلوا في تحقيقه خلال الاشهر العشرة
من هذه الحرب الفائرة .

انهم لن يزعموا هذه الثورة المصلاقة عن تصويبها في ان تكون ثورة مع
الجمهير وان تعبر عن الامل والتطلعات . ان الرجال الذين استطاعوا من خلال
ولايتهم للشعب ولايتهم ، ومن خلال ايمانهم بقضيتهم وبفكرهم وجهودهم ، ان
يصلوا بالامكانية النووية للعراق الى المستوى الذي اثار هذا القدر من الحقد
والمدون الساخر من جانب الاعداء الصهيونيين والفارسيين . نحن نقف في انهم
فالدرون كذلك على مواصلة هذا الاتجاه برغم ما يمكن ان يحققه العدو في
مخاولاته ، من الحاق ضرر مباشر او غير مباشر .

ان الطريق الذي يسير العراق على دربه في ثورته المنتصرة . طريق الحرية
والاستقلال والتقدم ، طريق التلاحم بين الزعامة والجمهير — ان هذا الطريق
لن نتراجع عنه . وسيبقى طريقا مفتوحا .

وبئسنة الله ، النصر لشعبنا البطل والمجد لامتنا العربية

(بيان اذاعته لجنة قيادة الثورة العراقية

في اليوم التالي للفارة) .

٢١ - اسقاط القابل والضجة الصاخبة :

اسرائيل بعد الفارة

كان يوم الأحد ٨ يونيو يوم إجازة عيد الشانوت . وقد امضى الآلاف الاسرائيليين اليوم على شواطئ تل أبيب وحيفا وايلات ، يستمعون ويستمتعون بحمامات الشمس ، ويتجاذبون اطراف الحديث ، ويستمعون الى « راديوهاتهم الترانزستور » .

وفي الساعة الثالثة والنصف ظهرا ، لوقلت الاذاعة الاسرائيلية برامجها ولقت بتقبلة على الشعب الاسرائيلي .

وقال المذيع بصوت متوتر « نقطع برامجنا العادية لنذيع بيانا خاصا » وبخى قائلا : « لقد هاجم السلاح الجوي الاسرائيلي أمس المفاعل النووي اوزيراك الذي يقع بالقرب من بغداد ، ودمره تماما . وقد عادت جميع طائراتنا الى قواعدنا مسالمة » . واستطرد البيان ليشرح الدواعي الكامنة وراء الهجوم . وعندئذ تردد رجع صدى الصدمة في جميع أنحاء اسرائيل واتصل الاصدقاء تليفونيا ببعضهم . واقف الغريبه بعضهم في الشوارع . وفي اقل من ساعة ، كان كل شخص يعرف ما حدث . وسرعان ما اذاعت محطات التليفزيون والاذاعة الخبر لبقية العالم .

ولكن القصة الحقيقية الكامنة وراء هذا البيان الاسرائيلي لا تزال في حاجة الى الكشف عنها .

بينما كانت الفارة لانزال مستمرة دعا ببيجن من طريق سكرتيره كل وزراءه ومساعديه المقربين سرا الى المجيء الى ثقته . وقد تلقى كل منهم الدعوة عن طريق مكالمة تليفونية . ولم يبلغوا بسبب الدعوة . وقد فوجيء الوزراء عندما شاهدوا بعضهم بعضا ، وازدادت دهشتهم عندما مروا سبب دعوتهم وفي هذا الجو التأمري بدأوا يدبرون خطتهم .

وفي اعقاب الفارة مباشرة ، بدأ ببيجن ومساعدوه في اعداد بيان رسمي . ولكن نظرا لان بعض الوزراء وكذا بعض كبار الضباط في الجيش ، وخاصة ضباط المخابرات والسلاح الجوي ، كانوا يفضلون تجنب الأدلاء باعتراف حكومي بأن الاسرائيليين قد نفذوا الفارة فقد اتفق كحل وسط ان يذيع الاسرائيليون بيانهم الرسمي بعد ان تكشف اي دولة عربية حقيقة الفارة .

ولذلك تلقى ضباط المخابرات الاسرائيلي المسئول تعليمات خاصة بأن يبلغ اية ابناء او رسائل عربية عن النشاطات الاسرائيلية في العراق . ومن المرجح ان الضباط نفسمه لم يكن يعرف شيئا من الفارة . نحى هذه اللحظة كانت الفارة تعتبر أمرا سريا جدا حتى في اسرائيل .

وهند الظهيرة سجلت احدى محطات الاستماع الاسرائيلية التي كانت
تصتغ الى مناقشة عامة في البرلمان الاردني خطابا القاه رئيس الوزراء الاردني ،
وانهم يمه الطائرات الاسرائيلية بالاشتراك في الحرب الدائرة بين العراق
وايران ، وبالتعاون مع الايرانيين .

وعندما مرضت هذه الرسالة على الضابط المسئول ، بادر بابلاغها
للسامد العسكري لبيجين . ولم يعرف بالتحديد ما الذي حدث في هذه المرحلة .
ولكن يوجد احتمالان وهما : اما انه قد اسيء فهم الرسالة وان مساعدي بيجين
المضروها ببثابة بيان اردني يكشف الفارة ، او انها استخدمت كوسيلة
لاعلان البيان الذي كانوا قد اعدوه بالفعل .

وعلى اية حال ، كان الوقت عندئذ يقرب من الساعة الثالثة بعد الظهر ،
عندما طلب المتحدث الصحفي في مكتب بيجين محطة الاذاعة . واتصل على الفور
بالمذيع المسئول واملى عليه البيان الرسمي بالثلفنون ولما كان المتحدث الصحفي
يوري بوراث مازال جديدا في منصبه ، ولم يكن معروفا بصفة خاصة للعاملين
في الاذاعة ، فان المذيع اعتبر هذا البيان نكته سيئة . فلم يصدق ماورد فيه .
ولذلك لم يذع البيان في نشرة الساعة الثالثة . غير ان احد العاملين في الاذاعة
الذي تصادف انه قريب لبيجين ، اتصل كليفونيا برئيس الوزراء قائلا له :
عمى . لقد تلقينا نوا بيانا مثيرا للسخرية من شخص يزعم انه المتحدث
الصحفي باسمك . ولم نذع هذا البيان لاننا نعتقد انه ما ورد فيه امر
لا يمكن تصديقه .

وكان بيجين غاضبا جدا . فقد كان يريد ان يذاع البيان في اقرب وقت
ممكن . وها قد حدث الآن هذا الاجراء الغيبي غير الضروري . وعندئذ أصدر
اوامره الى تربيته هذا بقطع البرامج واذاعة البيان . وهكذا ، في الساعة الثالثة
والنصف قطع راديو صوت اسرائيل برامجه واذاع الرسالة الدرامية .

ان احد الاسباب - وان لم يكن اهم سبب وراء رغبة بيجين ومساعديه
في اذاعة البيان الخاص بالفارة هو ما تحققت هذه العملية الناجحة من رصيد
سياسي داخلي . ذلك ان الانتخابات الاسرائيلية كانت ستجري في اسرائيل بعد
ثلاثة اسابيع ، وكان بيجين في حاجة ماسة الى اصوات الناخبين ففي خلال العام
والنصف الماضي كان الاسرائيليون وكذا اجهزة الاعلام الاجنبية تعتبر ان
ادارته فاشلة . والان ، كان عليه ان يثبت انه الرجل المناسب لقيادة اسرائيل
خلال هذه الفترة المضطربة والخطيرة .

وعلى الرغم من ان بيجين وزملاءه في كتلة ليكود زعموا في اعقاب الفارة
انهم لن يستخدموا العملية التي قام بها السلاح الجوي الاسرائيلي كسلاح في
حملتهم الانتخابية ، الا ان كل شخص في اسرائيل تقريبا كان يدرك معنى توقيت
الفارة - انه توقيت قريب جدا من يوم الانتخابات .

غير ان بيجين نفسه ارتكب سلسلة من الاخطاء الفاحشة غير العاصدية
والغبية في اعقاب الغارة . بعضها يمكن ان يرجع الى تجاهل الاعداد لسرح
سرورة الهجوم ، للجمهور . ولم تكن وزارة الخارجية الاسرائيلية تعرف العارة
الوثيقة ، ولذلك لم يكن في وسعها ان تعد حيلة لتشرح ضرورتها . كما استشهد
بيجين بان صدام حسين قال في ٤ اكتوبر ١٩٨٠ ان المعامل العراقي كان موجها
ضد اسرائيل .

ولقد كان استمهادا بلديا ، ولكن حين بعد اسبوع ان صدام حسين لم
يقل قط شيئا كهذا في هذا التاريخ . ولذلك اضطرت وزارة الخارجية الاسرائيلية
الى اصدار تعليمات للمطفيين الصحفيين الاسرائيليين في كافة انحاء العالم بعدم
الاستمهاد بقول صدام حسين هذا . ولقد وصلت هذه التعليمات الى (يهودا
يلوم) القدوب الاسرائيلي في الامة المتحدة في الوقت المناسب ، فقد كان (يلوم)
قد استند في كلمته التي كان يزمع القاها في الجمعية العامة للامم المتحدة على
قول صدام حسين هذا . وعندها كان على (يلوم) الذي شعر بالاضطراب ان
يبحث عن كلام آخر . ومن حسن الحظ انه كان لصدام حسين العديد من الخطب
التي المبح فيها الى ان هدف المعامل النووي العراقي كان تدمير اسرائيل . ولذا
لم يكن على (مستر يلوم) ان يعمل كثيرا .

اما بالنسبة للحملة التي يشنها الكيان الصهيوني ضد استخدام العراق
للتكنولوجيا النووية . فان الماضي الرقيق والمجيد للعراق سيمنح تقديره
فقط عندما يصب جام غضبه على الكيان الصهيوني ، وعندما تخدم مثل هذه
التكنولوجيا قضية الامة العربية . ان العراق سيستخنها لتحرير فلسطين
وليس لاي غرض آخر .

(بيان القاه صدام حسين في ١٩ اغسطس ١٩٨٠ .
واذنته وكالة الأنباء العراقية الرسمية)

اما بالنسبة (للبيان المشترك) للعراقي المسجودي بمقاطعة الدول التي
نظمت سفارنها (من تل ابيب الى القدس ، فان انفضل قرار في الواقع هو
تدمير تل ابيب بالقنابل وارل ما يجب ان نعلمه (الآن) - مع ذلك - هو
ان نستخدم كل مافي حوزتنا من اسلحة الى ان يمكننا الرد على العدو بالقنابل
ان اشقاقتنا العرب يمكنهم التعاون معنا في هذا المجال .

(بيان لصدام حسين اذاعه راديو بغداد في نفس
التاريخ السابق)

غير ان بيجين ارتكب بعد ذلك بايام قلائل خطأ اكثر جسامة . ففي
حفل اقيم بمنزل (باتريك مورلي) السفير البريطاني الجديد لدى اسرائيل
قال بيجين ان الطائرات الاسرائيلية حوت مملا بيرويا كان مقاما تحت الارض

في موقع المسائل . بل انه حدد بدقة عمق هذا العمل : ٤٠ مترا (١٦٠
مترا) تحت سطح الأرض .

ولقد أصيب كل شخص بصدمة . اذا ما كان في وسع الطائرات
الإسرائيلية تدبير هدف مختبئ على عمق ٤٠ مترا تحت المفاعل ، فان لدى
إسرائيل اذن امكانية مدهشة على شن غارات جوية . كما كان يعنى ايضا
ان المرافقين اتقوا بعض المنشآت السرية التي لا يعرف العلماء الفرنسيون
ولا الوكالة الدولية للطاقة الذرية اى شىء عنها . ولقد كان ذلك حجة جيدة
جدا للهجوم وتساؤلات الصحفيون لنشر هذه القصة الإخبارية .

ولكن لم تكد تضى ٢٤ ساعة حتى تبين ان رئيس الوزراء قد اخطأ . فلقد
اصدر مكتبه اعتذارا جاء فيه ان رئيس الوزراء كان يقصد ان عمق العمل
يصل الى ٤ أمتار فقط (١٢ مترا) وليس ٤٠ مترا . وقد وصفت الحكومة
الفرنسية تصريح بيجين الاخير بشأن العمل السرى بأنه « محض خيال » .

واعترفت المصادر الامريكية انها لم تعرف شيئا عما كان بيجين يتحدث
عنه وعندما سأل التليفزيون الاسرائيلى ديفيد افيرى قائد السلاح الجوى
الاسرائيلى عما يمكن ان يقوله حول قصة بيجين الخاصة بالعمل السرى ،
اصاب بالتضارب انه ليس لديه ما يقوله غير انه كان من الواضح ان « القصة »
كانت خطيرة للغاية وذلك بعد فشل الدعاية فى اعقاب الغارة .

بيد ان الرفض الاكبر الذى تانى منه بيجين فى اعقاب الغارة لم يات
من خارج اسرائيل ، وانما جاء من مجموعة من الرجال المقيمين جلا ، والذين
يقدرهم بيجين وهم : الطيارون الذين نفذوا الغارة .

ذلك ان عددا كبيرا من الطيارين الاسرائيليين ينحدرون من الكمبيوترات
(المزارع الجماعية) والموشاف (مستعمرات صفا الملاك) وتنتزع هذه القطاعات
الى التصويت لصالح حزب العمل وتقف ضد بيجين وضد ادانته كرئيس
للوزراء بشدة .

لقد قرر بيجين انه يود اجراء حوار خاص مع الطيارين الذين نفذوا
الغارة . وان تلتقط له صور معهم . وكان هذا يعنى الكثير بالنسبة له ،
وبالنسبة لحملته الانتخابية . ولذلك اتفق على دعوة الطيارين الى لقاء
حكومى خاص بعد اسبوع من الغارة .

غير ان الطيارين رفضوا حضور اللقاء . .

واوضح بعضهم لاصدقائه المقيمين انهم قاموا بالفارة من اجل وجود
الشعب الاسرائيلى وليس من اجل وجود بيجين كرئيس للوزراء . . ولهذا ،
قررت الحكومة الاسرائيلية انه اذا كان الجبل قد رفض الحضور الى بيجين ،

لأن على بيجين أن يذهب إلى الجبل . ولذا فقد قرر بيجين والوزراء زيارة القاعة الجوية التي أقلع منها الطيارون والالتقاء بهم شخصيا .

ولم يكن لدى الطيارين أي خيار هذه المرة . فقد كان عليهم أن يجتمعوا مع بيجين ، غير أنهم كانوا لا يزالون يمشرون تنفيذ خطة ما . فعندما وصل بيجين ونصلاؤه إلى مقر قيادة القاعة الجوية حيث كان الطيارون في انتظارهم . وجدوا صفا أنيقا من السيارات الواقفة أمام المبنى - وهي السيارات الخاصة بالطيارين - وكان على الزجاج الأمامي والمخلفي لكل سيارة ملصق ضخم يدعو إلى تأييد شيمون بيريز زعيم المعارضة وضد كتلة ليكود التي يتزعمها مناحم بيجين ، وقد احتقن وجه بيجين ووجوه بعض زملائه . ونهسوا تساميا بما يقصده الطيارون . وقد كتب أحد كبار الممثلين الاسرائيليين ، فيما بعد ، أن حزب العمل حاول طوال سنوات هزيمة بيجين . والآن ، نجد بعض الطيارين الذين ينتمون إلى الجناح اليساري والذين هم ضد بيجين ، قد صاروا عدة ساعات مخاطرين بأرواحهم من أجل بلادهم . وقد انجزوا مهمتهم بنجاح ليجدوا أنهم قد حققوا بذلك تأييدا جماهيريا لبيجين في الانتخابات .

والواقع أن الانتخابات كانت قريبة من الوقت الذي جرت فيه الفسار . وأن كل حزب سياسي كان يحاول الحصول على نصيبه السياسي من الفسار . وهذا كله من شأنه أن يلاحق ضرا بالغا بلين لسرقيل فعندما كان وزراء الحكومة لا يحاولون اثبات أنهم كانوا دائما يؤيدون الفسار ، وليسوا ضدها ، بل زعماء المعارضة يزعمون أن أجهزة المخابرات الاسرائيلية قد أبلغت بيجين بأن المفاعل النووي العراقي لن يجرى تشغيله في يوليو (كما زعم بيجين لتبرير الفسار) وأن هذا المفاعل لم يكن من المعتدل أن يصبح « ساخنا » قبل سبتمبر ، وهكذا كانوا يتجادلون ، وبذلك أصبح قرار الفسار مجرد تكتيك التخايي من جانب رئيس وزراء انتهازي كان يتعلق بقشة سياسية مؤثرة . وما يثير الدهشة أنه في ظل هذا الجو المحوم للفسار - انتخابات ١٩٨١ في إسرائيل ، من المرجح أنها أكرت الانتخابات هستيريا في تاريخ إسرائيل - بدأت تتسرب تفاصيل سرية عن الفسار . من بينها ما زعمه بيجين من أنه كان يوجد تعاون مع الولايات المتحدة الامريكية بشأن المفاعل العراقي .

وكان الانطباع الذي رسخ لدى الشعب الاسرائيلي خلال الأسابيع الثلاثة التي سادها التوتر والتي تبدأ من وقت وقوع الفسار حتى يوم الانتخابات العلة - هو أن رئيس وزارتهم كان يكشف السر تلو الآخر حتى يفوز في الانتخابات .

ولم يكن هذا هو انطباع الجمهور العلم بحسب ، وإنما كان أيضا انطباع رئيس المخابرات الاسرائيلية (الموساد) الذي يعتبر اسمه سرا من أسرار الدولة .

مقد ادلى بحديث صحفى لصحيفة « هاريس » الاسرائيلية ، طالب فيه
بانه يتعين الكف على الفور عن الكلام على الغارة . وزعم ان كل هذه الاسرار
التي تسربت قد اضررت بأمن اسرائيل . ذلك ان بعض اجهزة المخابرات
الاجنبية التي كانت تتعاون بطريقة غير رسمية مع المخابرات الاسرائيلية في
الغارة ، ستفكر مرة ثانية في مسألة تعاونها بعد كل هذه المناقشات التي
يجري في اسرائيل بشأن الغارة .

ولقد اصبح ممكنا نشر هذا الحديث الصحفى الذي لا مثيل له من قبل
مع رئيس الموساد لانه ادلى به دون التشاور اولا مع بيجين . وكان يعرف
ان بيجين سيعرض ذلك لان بيجين نفسه هو المصدر الاساسى لتسريب
اسرار الغارة .

وعندما استدعاه رئيس الوزراء الى مكتبه وويخه ، امتنر رئيس
الموساد ولكن الحقيقة كانت لا تزال باقية . لقد اوضح وجهة نظره . انه يتعين
على الفور الكف عن الكلام حول الغارة .

وعلى حين ان الغارة قد جرى التخطيط وتنفيذها على نحو رائع .
نجد ان ما حدث في اسرائيل في اعقابها كان عملا من اعمال الهواة الى أقصى
حد ، وفنك يرجع اساسا الى فوضى الانتخابات كما يرجع الى سلوك
بيجين . لقد ادت اسرائيل خدمة عظيمة الى العالم بأسره بتدميرها للمفاعل
العراقي ، الذى كان ضد مصالح كل البلاد المحبة للسلام ، ولكن بسبب عدم
مطنة بيجين وفشل حملة الدعاية المضادة ، وجه اللوم الى اسرائيل باعتبارها
دولة قراصنة انتهكت القانون الدولى وقد اعتبرتها المنظمة الدولية للطاقة
الدولية خارجة على القانون وادانتها الجمعية العامة للأمم المتحدة .

وعلى الرغم من ان اسرائيل قد نجحت في شن غارة ناجحة ضد واحدة
من أكثر المشروعات تهديدا لوجودها ، على الرغم من ذلك فشلت في شرح
الاسباب التي حتمت عليها ان تشن هذه الغارة فلقد تجاهلت اسرائيل تماما
ان تعد وان تشن حملة اعلامية تشرح فيها اسباب الغارة للرأى العام العالمى
وقد تكون في ذلك مثل الذين يجيدون الاعمال لا الكلام .

٢٢ - هسروب العملية :

حسين يرد على الهجوم

فاجأت المارة على مفروع تموز العالم بأسره . لقد فاجأت الأمريكيين وكذلك الروس وأوروبا والصين ، بل الإسرائيليين أنفسهم . ولكن ما هو الأمر من ذلك انها اصابت العالم العربي بصدمة ، وخاصة النظام العراقي .

وكان العراقيون ، طوال اكثر من عشرين سنة ، يدركون تمام الإدراك ان حربا سرية تخاض ضد اكثر مشروعاتهم طموحا . وبمسد الهجوم الجوي الإيراني في سبتمبر ١٩٨٠ كان النظام الدفاعي العراقي ، وكذا الزعماء السياسية شمران بالصدمة من احتلال اسرائيلية .

والواقع انه لا توجد تفاصيل كثيرة عما حدث في بغداد خلال الأربع والعشرين ساعة التي اعقبت الغارة . غير ان ثمة شيئا واحدا كان يبدو واضحا لكل من حلل بضايقة رد الفعل العراقي خلال هذه الأربع والعشرين ساعة ان العراقيين لم تكن لديهم اية فكرة عن تلم بالغارة ، ولا ما تم تسميره بالتحديد ، ولا كيف تمت الغارة . ذلك ان كافة أجهزة المراقبة في بغداد كانت ، فيما يبدو ، في حالة نوضى شللية . ولقد اخفئى نجاة الرئيس العراقي ، الرجل الثوري للنظام البعثي ، واخذ مساعوه يبحثون عنه لإبلاغه بنبا الغارة وتلقى تعليماته ، ولكنهم لم يعثروا عليه طوال ٦ ساعات او نحو ذلك .

وفي مؤتمر صحفي عقد في روما اثار طه لحمد داود السفير العراقي لدى ايطاليا جوا من الاثارة عندما اعترف بمسد ٥ ايام من الغارة انه حتى صدور البيان الاسرائيلي لم تكن لدى حكومته اية فكرة عن قام بالغارة .

وفي ظل هذه الظروف ، كان من الواضح تماما ان البيان الرسمي الاسرائيلي بشأن الغارة المفاجئة جاء كصدمة ثانية لنظام صدام حسين .

وهكذا ، لم يكن لدى النظام الثوري العراقي اي خيار سوى الاعتراف بان اكثر مشروعاته طموحا وهو ١٧ تموز ، قد دبرته غارة اسرائيلية . ففي مساء ٨ يونيو اصدرت القيادة الثورية في العراق بيانا ردت فيه لأول مرة على الغارة الاسرائيلية .

وكانت بداية البيان تصف اساما ما اسبته « الدعم والمساندة العسكرية الاسرائيلية لايران » ثم استطرد البيان لتوجيه اللوم ضد اسرائيل لمحاولتها تدمير كل جهد عربي لتقريب الفجوة العملية بين العالم العربي والكيان الصهيوني . ثم اتهم اسرائيل مرة اخرى بالتورط في الحرب الدائرة بين العراق وايران ، ربما ليبرر عدم نجاح العراق في هذه الحرب . وفي ضوء هذا المعنى أعلن البيان قائلا : « ايها المواطنين اننا نعلم اليوم ان طائرات العدو الصهيوني قد اغارت امس على بغداد . ففي الساعة السادسة و ٣٧ دقيقة اغار تشكيل من ٩ طائرات على المبنى النووي » .

وحتى يشرح البيان حقيقة أن النظام العراقي انتظر أكثر من ٢٤ ساعة قبل الاعتراف بذلك - بالرغم من حالة الفوضى التي سادت بغداد في اعتاب ليلة - قال البيان « وكما حدث في ٢٧ سبتمبر ١٩٨٠ آثرنا الانسراع في الإعلان عن هذه الغارة . وبينما كنا نعد هذا البيان ، بعد أن نوافرت كل الدلائل على هذه الغارة ، أعلن العدو الصهيوني بعد ظهر اليوم مسؤوليته عنها .

ثم حاول البيان إبداء تفسير خاص للغارة الإسرائيلية المفاجئة بالنسبة للحرب العراقية الإيرانية . فقال : « أن العدو الصهيوني يحاول تحقيق أهدافه وأن يحقق للحكام في طهران وهم ، ما نشلوا في تحقيقه خلال الأشهر الحشرة من هذه الحرب الغادرة .

وينتهي البيان العراقي بوعد الشعب العراقي بأن الطريق الذي نسلكه القيادة البمشية حتى الآن سيستمر ليحقق للشعب الحرية والاستقلال والتقدم . ويعد ذلك بيوم واحد ، أصبح المتحدثون باسم الحكومة العراقية أكثر تشدداً في موقفهم تجاه إسرائيل . فقد أذاع راديو بغداد :

« تؤكد الهجمات الصهيونية التي وقعت مرتين (١) على المنشآت النووية العراقية خلال عدة أشهر حقيقة أن العدو الصهيوني يعرف أن العراق بما لديها من طاقة حرب تكنولوجية متقدمة - سيكون في مقدمة القوات العربية المقدر لها أن تتسبك مع العدو الصهيوني في أية حرب قومية في المستقبل . ذلك أن العراق بما لديها من طاقة عسكرية متقدمة ستكون في الصفوف الأولى في أية مواجهة قومية مع العدو الصهيوني .

وهكذا عنى راديو بغداد في إذاعة هذا النوع من الدعاية لعدة ساعات . والواقع أن الكلمة المكتوبة أو المذاعة في العالم العربي تعتبر في بعض الأحيان أكثر إيحاء ومعنى من التجربة الشخصية . لقد تعرض النظام في العراق لأذلال شديد وغدت مكانته يتهددها الخطر . وكان صدام حسين يعرف أنه لا يمكنه أن يرد على إسرائيل عن طريق استخدام القوة - على الأقل لا يمكن الرد ، على الفور - ولذلك كانت الحيلة الإعلامية التي شنتها أجهزة الإعلام العراقية ضد إسرائيل هي أقصى ما يمكنه القيام به لتخفيف حالة الإحباط التي تشعربها القيادة وكذا الشعب العراقي ، في أعقاب الغارة التي بيئت إلى أي مدى كانت العراق مكشوفة بالنسبة للغارة الإسرائيلية . ولكن من المثير أن نلاحظ أن صدام حسين نفسه ظل صامتا لمدة ١٠ أيام بعد الغارة . فباعترابه زعيما للشعب العراقي ، كان من المرجح أنه يعلم أن الأمر يقتضى رد عمل آخر ضد إسرائيل بغض النظر عن الحملة الدعائية .

(١) يشير العراقيون إلى الغارة الإيرانية التي وقعت في سبتمبر ١٩٨٠ على أنها غارة نفختها إسرائيل وليست إيران .

رد الفصل الأمريكي

في اعقاب تدمير المفاعل العراقي لم يصد الشرق الاوسط كما كان .
لقد تثير ميزان القوة في الشرق الاوسط والخليج تغيرا عنيقا .

وقد تسلمت الثورة التكنولوجية اخيرا الى هذه المنطقة المضطربة وغير المستقرة ، وان كانت منطقة حيوية من الناحية الاستراتيجية . ولقد مرر تدمير المفاعل المبرلتى قواعد السلوك الدولي الذي كان محسوبا من قبل في الشرق الاوسط . ولقد كان الحاصل الاسرائيلي تدمير اول مفاعل نووي لعدوه ، ومن ثم يعتبر منعا بالقوة لانتشار الاسلحة النووية وذلك تعتبر سابقة دولية خطيرة .

والواقع انه بتدمير المفاعل ، احتفظت اسرائيل ووليس وزرائها بيجين لانفسهم بالاحتكار النووي في الشرق الاوسط . ويمكن للمجتمع الدولي ان يتناقش الى غير نهاية في كون اسرائيل قد دمرت بالفصل الاسكافية النووية العراقية ، بيد ان ما حدث يعتبر امرا ينطوي على اثر ابعد منى مما قصد مستر بيجين . فتقد نفى العالم العربي صدمة حرب ١٩٦٧ ، وهي صدمة لم يخفف من اثرها اذاعة الامم المتحدة لاسرائيل . ولقد سعى العرب للناز في اعقاب ١٩٦٧ ، وسوف يفعلون ذلك الآن ، حتى انه من المتوقع ان يسرع ايقاع الانتشار النووي في ليبيا وسوريا ومصر وباكستان ، ومن المؤكد ان يسرع كذلك مرة اخرى في العراق . ولذلك ، فان ما نجح الاسرائيليون في فعله هو ان تكسب اسرائيل لنفسها بعض الوقت - وهي سلعة تنعد دائما .

ولقد قال (زيف سشيف) المحلل العسكري العليم ببواطن الامور في صحيفة « هآرتس » الوقورة : انه في اعقاب تدمير المفاعل العراقي ارسى رئيس الوزراء بيجين واعلن قاعدة جديدة وغير مرنة بالنسبة لسياسة الامن الاسرائيلية . . وهي ان اسرائيل لن تسمح للمغرب بان يزودوا انفسهم بالسلحة الابادة الجماعية (١٩ يوليو ١٩٨١) ، والواقع ان مبدأ الاحتكار هذا يطن بوضوح ان هذه الحكومة واية حكومة اخرى (اى حكومة حزب العمل المعتدلة) لن تسمح بوجود مثل هذه الاسلحة ، وخاصة عندما يحكم الدول حكام رافضون ومتهورون مثل صدام حسين والغدافي الذين يعتبر هدفهم الوحيد في التعامل مع اسرائيل هو تدميرها . غير ان بيجين لم يمان رايه في كون اسرائيل تعتبر ان امتلاك الدول العربية المعتدلة لتل هذه الاسلحة ، امر من المحتم تدميره كذلك . ويمكن للبرء ان يفترض انه قد جرى تحديد هذا التمييز ، كما هو الامر في حالة مصر التي اعلنت نبذها للحرب كاذاة سياسية ازاء اسرائيل .

وفي الواقع يمكن للمرء أن يتكهن بالاسباب التي تدعو النظم العربية
المعتدلة الى السعي للحصول على اسلحة الابادة الجماعية ، اذا لم يكن هذا احد
مفاهيم السياسة الوطنية كما هو الحال بالنسبة لصدام حسين ومصر القذافي .
كما اصبح من الضروري من اجل انتهاز سياسة ردع اسرائيلية تدمر المفاعل
في فترة كانت فيها معدل التسليح التقليدي بين اسرائيل والدول العربية
يتحول لغير صالح اسرائيل : ذلك ان اسرائيل لا يمكنها الحفاظ على تفوقها
المسكرى التقليدي لمدة طويلة ، فمن المتوقع ان يحقق العرب تفوقا على
اسرائيل في مجال العدد والاجهزة والمعدات العسكرية بنسبة خمسة الى واحد
بحلول عام ١٩٨٥ .

ويرجع الى مفهوم الرد المرن للردع الذي كان يتبناه كل من بن جوريون
وإيدان وبيريز . ذلك ان حروب ١٩٦٧ و ١٩٧٣ وحرب الاستنزاف التي استمرت
من ١٩٦٨ حتى ١٩٧٠ قد اثبتت ان السلاح الجوي الاسرائيلي واسعها
اسرائيل التقليدية ليست كافية لردع العرب . فقيما وراء الصرب يكمن
التهديد السوفيتي بينما لم تضمن القوة الامريكية حدود اسرائيل فيما بعد
حرب ١٩٦٧ .

وكان ييجين ومستشاروه يابلون في ان تكف أوروبا الغربية وخاصة
فرنسا واطاليا عن تزويد العراق بمواد الانتشار النووي المينة .
على اعقاب شهر اكتوبر من عام ١٩٨٠ ، وربما قبل ذلك ، كانت المخابرات
الامريكية تعتقد ان اسرائيل تعدد لشيء ما ، والواقع ان اسرائيل لم تخف
حقيقة ما كانت تمنزم الاقدام عليه . فقد حثت ادارة كارتر على ان تارسه
ضغطا دبلوماسيا شديدا على الفرنسيين والاطاليين فيما يتصل بامدادهم
العراق بالاجهزة والمواد النووية . غير ان هذه الضغوط لم تسفر عن اى
شيء فلم يعد نظام جيسكار ديستان المتفطرس اية اهمية للطلبات والتحفيرات
الاسرائيلية والامريكية .

وهكذا ، بعد اكتوبر ١٩٨٠ ، كانت الولايات المتحدة تترك الأغراض
والمبادئ التي تكمن وراء هذا القرار ، غير انها لم تكن تصرف اى شيء عن
الاجتماع السرى لمجلس الوزراء الاسرائيلي . ان ما لم تكن تعرفه الولايات
المتحدة وما لم يجز التشاور معها بشأنه هو « توقيت » الفارة على المفاعل
وخطط اسرائيل لذلك ، وتدريب واستعداد السلاح الجوي الاسرائيلي للهجوم
(ومن ثم كان رد الفعل الذي اتخذه كاسبار واينبرجر وزير الدفاع الامريكى .
مرنا وتمثل في فرضه حظرا على تسليم ٤ طائرات امريكية من طراف اف-١٦
لاسرائيل كان من المقرر ان تسلمها اسرائيل بعد الفارة بايام قلائل)
كما لم يجز التشاور مع واشنطن حول قرار تدمير المفاعل العراقي .

ولقد كان توقيت الفارة بالنسبة للمخابرات الامريكية مفاجاة كاملة
حتى على الرغم من ادراكها لمخاوف اسرائيل الحقيقية من طبيعة وغرض
المفاعل .

وكان رد الفعل الأمريكي يتطوى على المفاجأة والامتعاض والقلق . فقد
اضت اسرائيل ، فيما يبسو ، على مفهوم الجنرال هيج (وزير الخارجية
الامريكي) الغاص بالاجماع الاستراتيجي وعلى السياسة الامريكية في المنصة .
ورغم أن ادارة ريجان تبدي عدم اهتمام نسبي تجاه مشكلة الانتشار النووي ،
انتم رد الفعل الأمريكي ازاء الفخارة الاسرائيلية ، بالاضطراب والسرعة وعدم
الارتياح .

ومن ثم - وفي وسط الضجة التي كانت مفارة حصول بيع طائرات
الانذار المبكر الامريكية (الواكس) للسعودية - كان يبدو بوضوح شيء واحد
هو : و ان الولايات المتحدة - ادارة ريجان - ليس لديها اية سياسة شاملة
واضحة تجاه الشرق الاوسط والخليج الفارسي . وانها تعيش بالاحرى على
بقايا المبادعات القديمة والمتاكلة لنيكسون وكارتر .

وقد قرر هيج ، وزير الخارجية الامريكية ، ارجاء اتخاذ قرار بشأن
وضع استراتيجية للشرق الاوسط والخليج الفارسي خلال الاشهر الستة
الاولى على الاقل لتولى الادارة السلطة ، ومع ذلك لم تتوقف الحركة في الشرق
الاوسط . فلقد اتخذ الفلسطينيون والمصريون والعراقيون والسوريون
قرارات سياسية وعسكرية لم تكن تنطق بالقوى العظمى . ولقد ابتكر هيج
- في أعصاب المنروعات الكبرى للرئيس (ريجان) الخاصة بأنه في سنة،
الاستراتيجية الامريكية سوف تطفى العلاقات بين الشرق والغرب على مفهوم
الشمال والجنوب ، وانه على الولايات المتحدة أن تواجه الامبريالية العسكرية
السوفيتية والارهاب الدولى التى تشنه منظمة التحرير الفلسطينية - ابتكر هيج
مبدأ جديدا هو الاجماع الاستراتيجي في الشرق الاوسط الذى كان يفترض
أن تدخل اسرائيل والعالم العربي في اتساق أمن جماعي في ظل حماية
الولايات المتحدة على أن يكون عدوه المشترك هو الشيوعية والارهاب الدوليين .

والواقع أن مفهوم الاجماع الاستراتيجي لم يكن جديدا . فهو الوجه
الأخر لسياسة التسوية الشاملة التي انتهجها كارتر وبريجنسكي (مستشار
الامن القومي للرئيس كارتر) . ولقد كانت سياسة التسوية الشاملة تتطلع
الى اشتراك اسرائيل والدول العربية في مؤتمر سلام شامل . . وكان هذا
حلما خياليا . ومع ذلك ، تتطلع سياسة الاجماع الاستراتيجي الى اشراك
اسرائيل والعرب في مجلس حرب مشترك بقصد حماية الشرق الاوسط من
السوفييت . ولم يكن هذا التطلع اقل خيالا .

ان الاجماع الاستراتيجي هو ابتكار امريكي حديث للتعامل مع مشكلة
الشرق الاوسط . وتنطوي فكرته والامل المرجو منه على لهداء الدول العربية
المعتدلة مثل مصر والاردن والسعودية (ومن المرجو كذلك سوريا والمراق)
بالأسلحة اللازمة للتصدى للتحدي السوفيتي . وهكذا فان كل دولة
- على اساس ثنائي واخيرا على اساس جماعي - سوف تستغل بالحماية
الامريكية المناهضة للسوفييت ، كنوع من منظمة حلف الاطلنطي بالشرق

الأوسط . غير ان هذه الفكرة الاستراتيجية تعتبر فكرة غير واقعية طالما ان الدول العربية المتعددة ، مثل السعودية والاردن ، تؤيد ، بل تتحالف في الواقع مع العرب الراضين مثل العراق ومنظمة التحرير الفلسطينية .

وطالما ان جبهة الرفض العربية تحصل على ما يلزمها من الاموال من مبعوث شبه الجزيرة العربية ، وان الجيش العراقي يزود بالاسلحة السوفيتية فان ثمة فرصا ضئيلة لتكوين جبهة عربية اسرائيلية مشتركة ضد السوفييت . والواقع ان الاجماع الاستراتيجي قد طرح كبديل للتوازن الاستراتيجي ، وهي الصيغة الامريكية الخاصة بالشرق الاوسط طوال العقود الاربعة الماضية . ذلك ان الاعتبارات الاستراتيجية كانت تستند ، في الماضي ، على ان تكون نسبة القوة العسكرية العربية الاسرائيلية ١ الى ٣ ، وان كلا من الولايات المتحدة واسرائيل كانتا تسعيان للحفاظ على هذا التوازن . وكان هذا التوازن يستند في ذلك الوقت على قدرة الدول ، لا على طموحاتها وتطلعاتها .

ومن ثم ، سيفير المفهوم الجديد ، في الواقع ، التوازن العسكري في الشرق الاوسط لصالح الدول العربية . ذلك انه بمقتضى مبدأ الاجماع الاستراتيجي لن تكون الولايات المتحدة في حاجة الى الاجماع من الناحية العملية على ان تزود الشرق الاوسط والخليج بالاسلحة بدون اية حدود ، ويكون ذلك خاضعا فقط لتزوات كل دولة .

وبهذا يمكن للاجماع الاستراتيجي ان يصبح ترسانة عسكرية حتى ان الولايات المتحدة ، بالرغم من تواجدها في مركز القيادة والمراقبة قد تجده يوما وقد اصبح جحيما توربا يسيطر عليه قذافي سعودي او ما هو اسوأ خوميني سني سعودي . ذلك ان السعودية تعتبر دولة ضعيفة . وبعض المحللين في المخابرات المركزية الامريكية تساورهم الشكوك في كون الأسرة الحاكمة السعودية ستستمر حتى نهاية الثمانينات .

ولقد كان خطأ الاجماع الاستراتيجي يثير الاسرائيليين ويستفزهم باكثر مما يستفز اقربائهم الامريكيين . ذلك ان العرب يعتبرون اسرائيل لا الانتحاد السوفيتي ، عدوهم الاساسي ، ولعل افضل بيان عن الوضع الامريكي هو ذلك الذي ادلى به جيمس شليزنجر وزير الدفاع الامريكي السابق ، وقد قال فيه : « ان منهاج الادارة يركز على التهديد السوفيتي والسعي الى تحقيق اجماع استراتيجي يصل في النهاية الى عمل جماعي من جانب دول المنطقة بالنسبة لتحسين قدرتها على الردع العسكري ضد التدخل السوفيتي . وعلى حين ان مثل هذه النتيجة سوف ترضى الى حد كبير الكثيرين منا ، الا انه من قبيل الاستغراق في الذات الامريكية ان تقترض ان دول المنطقة سوف تتخلى عن همومها المباشرة وتحضن همومنا . ذلك ان كلا من اسرائيل وجيرانها العرب ، يساورهم القلق بشأن النوايا والاعمال التي من شأنها ان تشكل خطرا راعنا وواضحا بالنسبة لبعضهم . والتي لا يمكنهم ببساطة نسيانها

وتبنى قلقنا الذي يمثل في احتمال التهديد السوفيتي للمنطقة . ولذلك ، ينبغي التدخل عن أي أمل في أن يتركز الاهتمام الاقليمي نحو الشمال ، في ظل غياب معالجة فعالة متزامنة للتوترات الداخلية في المنطقة . والواقع أن الغارة الاسرائيلية على المعامل العراقية تعني نهاية هذا الاتجاه الخاص في اولويات السياسة الامريكية ، لأنها زادت من هذه المخاوف الخاصة بشأن الصراعات الداخلية التي لم يتم التوصل لحل لها بعد ، بينما تثير شكوكا متزايدة حول فعالية المورد الامريكي في المنطقة .

وفيما يتصلق بهذه التوترات الاقليمية ، نجد أن الولايات المتحدة ربما فضلت أن تتجنب اتخاذ قرار بشأنها ، كسبا للوقت . ولكنه لم يدر في وسعها ذلك بعد . فقد جعلت الغارة هذه التوترات امرا رئيسيا ، وكشفت عجز الولايات المتحدة عن انجاز دورها المتوقع بشأن ضمان كبح الجراح الاسرائيلي . وعلى الولايات المتحدة أن تختار الآن . فمن ناحية ، قد نفاص صراحة عن الغارة بالاستمرار في تزويد اسرائيل بالاسلحة . غير أن النتيجة المحتملة لذلك هي تحقيق مزيد من الخلاف بين الولايات المتحدة والكثير من دول العالم العربي . ومن ناحية أخرى ، سيثير وقف شحنات الاسلحة لاسرائيل تلقائيا مشكلة عمق الالتزام الامريكي بضمأن أمن اسرائيل . ولقد كان فرصة هذا الاختيار على الولايات المتحدة ملانا للمصالح الاسرائيلي .

فلك أن ادانة الهجوم — وفي ذلك استخدام اسرائيل للأسلحة الامريكية على نحو مخالف للقانون الامريكي — يقتضي منطلق اعطاء الأولوية للسياسات المناهضة للانتشار النووي بدرجة اكبر مما تعطىها الادارة الامريكية حتى الآن . وربما يجد (السناتور الان كراستون) وآخرون غيره ان الغارة الاسرائيلية لها ما يبررها في ضوء اصرارهم منذ امد طويل على منع الاسلحة النووية . وهكذا كان يمكن لحكومة كارتر لسياستها المعلنه — وان كانت غير فعالة — بشأن منع الانتشار النووي . ولكن ادارة ريجان تعتبر حتى الآن ، غير مهمة ، او قدرية ، بشأن انتشار الاسلحة النووية ، ويبدو هذا بوضوح في مساعدتها العسكرية لباكستان . ومن ثم ، اذا ما بلغت الادارة بادانة الغارة ، فلتها مستجد ان من الصعب عليها بمقد ذلك التفاضل عنها على اساس اهداف منع الانتشار النووي التي لا توليها أي اهتمام حتى الآن . واذا ما تفهقت الاسلحة على اسرائيل بالرغم من القنون الامريكي ، فسوف يزداد عدم الثقة في الدواع الامريكية وفي دورها كوسيط امين في حل الخلافات العربية الاسرائيلية .

ولما كانت القوة الخالصه باسرائيل محدودة تبلا ، فان جهودها الفردية لمنع انتشار الاسلحة النووية في المنطقة سوف يثبت انه امر عابر . ذلك ان موضوعا تتفق عليه الدول العظمى — بالرغم من أن قدرتها محدودة بالنسبة لتصني لمساكله — من المؤكد ، والامر كذلك ، أن يتجاوز هذا

الموسم قدرة اسرائيل المحدود جدا . بل ان عمل اسرائيل قد يعزز نصيب العرب على الحصول على اسلحة نووية . وما هو اكثر اهمية ، انه يتعين ان تفكر ان الحركة الاولى نحو انتاج « قنبلة اسلامية » وطلب الدم لهذا المشروع قد جاءت من جانب باكستان ابان حكم الرئيس ذو الفقار على بنو في منتصف السبعينيات . وعلى الرغم من بلاغة بيجين الاستنزائية تقع باكستان في مكان لا تستطيع الطائرات الاسرائيلية ان تبلغه ، كما انها ، فضلا عن ذلك ، تستغل بالحماية الامريكية .

وهكذا ، فان قدرة اسرائيل تمد محدود جدا بالنسبة لمنع انتشار الاسلحة النووية في المنطقة . ولعل افضل ما يمكن ان نرجو من جراء هذه الغارة التي كان التفكير فيها امرا سيئا بالرغم من ان تنفيذها كان بارعا هو ان تركز الاهتمام الدولي مرة اخرى على مشكلة الانتشار النووي . غير انها ستفعل ذلك في مناخ دولي يتدهور تدهورا بالغا .

(جيمس شليزنجر ، صحيفة « واشنطن بوست » الامريكية ، ١٢ يونيو ١٩٨١)

ان من الحماقة الزعم بان اسرائيل تعتبر بمثابة حامية ضد الانحدار النووي . ذلك ان حرب ١٩٧٣ لم تثبت ذلك . فلقد هبت امريكا في الواقع ، وليس اسرائيل ، الى مساعدة ما يسمى « المانع » الاسرائيلي المناهض للشيوعية . ولهذا ، لا يعتبر الاجماع الاستراتيجي سياسة بل هو كارثة . اذ انه توجد سبل اخرى للتوصل الى تقارب اسرائيل - سعودى . والواقع ان الاساس الوحيد الذى يمكن ان تقام عليه سياسة خاصة بالشرق الاوسط هو عملية كلب دينيد ، وانه يمكن ان ينضج في النهاية في اطار هذه العملية استراتيجيا امريكية اسرائيلية عربية .

ولقد كانت الولايات المتحدة اعتبارا من الستينيات متحمسة على نحو يتصف بالشهرة السيئة ، بانتشار الاسلحة النووية عندما كان انتاج هذه الاسلحة النووية في بدايته ، ثم انضمت الى العملية دول العالم الثالث الصغرى - الهند وباكستان وتايوان وجنوب افريقيا والمراق واسرائيل وليبيا ، وربما دول اخرى . ولقد وضعت الولايات المتحدة اخيرا قاعدة قانونية دولية هي معاهدة حظر انتشار الاسلحة النووية ، التي وقعت عليها معظم دول العالم الثالث وغيرها من الدول الصغرى غير ان اسرائيل والهند لم توقعا عليها .

ومع ذلك ، ليست معاهدة حظر الانتشار النووي اداة قوية تكفى لمنع الانتشار النووي . وليس ادل على ذلك من ان العراق وهي احدى الدول التي وقعت على المعاهدة - باضية في عملية خلق قدرة نووية خاصة بها . ولقد اصبحت معاهدة حظر الانتشار النووي ابيدواوجبة امريكية ليبرالية

وكذا وسيلة لضمان الا يتسع نطاق الفلادى النووى الدولى . والواقع ان
المنظمة الدولية للطاقة الذرية - هى احدى الوكالات التى اتشائها الأمم المتحدة
لرصد الانتشار النووى - تعتبر هيئة ذات صبغة سياسية الى حد كبير .
ومن الواضح ، حتى اذا ما اخفنا حالة العراق مثلا - ان المراق لا تسمح
لاحد باجراء تفتيش على مفاعلها النووى الا بمثلى الدول التى ترى ان
ملاقاتها بها ودية .

وهكذا ، كان اتفاق المنظمة الدولية للطاقة الذرية امرا واضحا : لمساذا
لم تصعب اوراق اعتماد الهند فى مضمونها ، بالرغم من انه من المحتمل ان
تطرد اسرائيل من عضويتها ، على حين ان الهند تعد الآن دولة اقوى من اسرائيل
نوريا . وذلك السحب لاوراق الاعتماد ، والطرده من المنظمة هو من وجهة نظر
المجتمع الدول وخاصة الولايات المتحدة . ولقد كانت الولايات المتحدة تقوم بعد
١٩٦٠ بزيارات مستمرة لديونا حيث يوجد المفاعل الاسرائيل ، الا ان هذه
الزيارات قد توقفت منذ تولت ادارة ريجان السلطة . ولقد كانت ادارة كارتر
بصفة خاصة ، لا تشمر بارتياح لعدم امثال اسرائيل لمعاداة حظر الانتشار
النووى . بيد ان الضغوط على اسرائيل فى هذا المجال كانت تتغير تبعا لتوجيهات
الادارات الامريكية المتعاقبة . ومن المؤكد ان الولايات المتحدة كانت تشمر
بالطلاق ازاء المفاعل العسراقى ، وليس ادل على ذلك من ان ادارة كارتر قد
صطلت على فرنسا حتى لا يستخدم الفرنسيون اليورانيوم المخصب الامريكى
فى المفاعل الفرنسية .

وهكذا ، كان رد الفعل الامريكى المفاجيء والغاضب ، بالرغم من انه
كان متوقعا فى اسرائيل - كان يثير القلق . وخاصة عندما تشمر اسرائيل بان
اتولايات المتحدة قد اخفقت فى فهم بلشير طلعا ، وان وجود اسلحة نووية
فى ايدى حكام فكتاتوريين متمصيين وارهابين يلتزمون بلبادة اسرائيل يعد سببا
بيرر الحرب بالنسبة لها ، وانه لايسع اسرائيل ان تدع نفسها تحت رحمة
اسلحة دمر فى حوزة اكثر النظم انحطاطا فى الشرق الاوسط فى الوقت الحاضر .

بل ان رد الفعل الامريكى على صعيد الراى العلم لم يكن مبهوما بالنسبة
لاسرائيل لماذا تهاجم اجهزة الاعلام الامريكية ، والمقالات الامتتحية . لمعظم
الصحف الامريكية المؤثرة اسرائيل بشدة ؟ هل هى حالة من حالات سوء
الفهم ؟ ان اسرائيل كانت (جوليات) ، وان العرب كانوا دواود ؟ او ان العالم
« المسيحى » يتناسى مرة اخرى الوجود اليهودى والمخاطر التى تتهدده ؟
لقد حدث كل ذلك . لقد ادانت اجهزة الاعلام فى الايام الاولى التى اعقبت
الغلاة ، العمل الاسرائيلى (باستثناء صحيفة وول ستريت جورنال) وتماثلت
الاصوات فى الكونجرس - وفى ذلك اصداقاء اسرائيل - فى « كوراس » صاحب
ضد اسرائيل ، وبلا تمييز .

وفي رد فعل عصبي وصفت صحيفتا « نيويورك تايمز » و « واشنطن بوست » الهجوم الاسرائيلي بأنه « حقر وجدير بالازدراء » وعمل لا يمكن تمييزه ، وعدوان قصر النظر (٩ يونيو) . واستطردت صحيفة واشنطن بوست الى ما هو ابعد من ذلك قائلة « لقد ارتكب الاسرائيليون بتدميرهم للمفاعل العراقي خطأ جسيما . فقد تصرفوا ، فيما يعتقد ، على نحو مماكس لمصالحهم طويلة الأمد ، وعمل نحو مماكس للمصالح الامريكية كذلك » (٩ يونيو) ولقد كانت الحكومة الامريكية تدرك في الواقع ، تمام الإدراك التهديد العراقي وان الغارة الاسرائيلية قد اسهمت في دمج المصالح الامريكية .

وفي اعقاب الغارة ، ارسل بيجين مذكرة تفسيرية الى ريجان قال فيها :
انه اذا كان العراقيون قد تصفوا منطقة تل ابيب بقنبلة نووية ، فان ذلك كان من المتوقع ان يسفر عن مصرع ٦٠ الف اسرائيلي . ولم تنشر هذه الحقيقة في اسرائيل حتى لاتثير الذعر . ولقد قدر الجنرال شارون ان هجوما مماثلا من شأنه ان يسفر عن مصرع ٥٠ الف شخص واصابة ٢٥٠ الف آخرين بالاشعاع النووي . والرئيس ريجان كان متعاطفا مع قلق اسرائيل ومخاوفها . ولكنه واجه - رغم ذلك - ورطة معينة بالنسبة لرد فعله الأولى ازاء الغارة . لقد كان يقر ضرورة ابعاد الولايات المتحدة عن الغارة ، والا تتساهل تجاه اسرائيل ، الا انه كان يرى كذلك مجرورا طيبا لمدم طرح الموقف الامريكي الاساسي ازاء اسرائيل للمناقشة لقد اذان الغارة ، الا انه لم يفعل أى شيء لتغيير الدور الامريكي المستمر باعتبار الولايات المتحدة الحامية الوحيدة لاسرائيل والمصدر الاجنبى الوحيد لتسليحها . ولقد اكد الرئيس ريجان للسفير الاسرائيلي لدى واشنطن ان الهجوم لن يؤثر على العلاقات الامريكية الاسرائيلية . ولقد صرح السفير بان الرئيس اكد العلاقة القوية والراسخة مع اسرائيل ، وقال انه لن يسمح بظهور اختلال نوعي في التوافق في المنطقة » .

وقد كان هناك خلاف كبير داخل الادارة الامريكية بالنسبة لسبل عقاب اسرائيل على الغارة التي شنتها على العراق . وثمة سبب آخر لتفسير ذلك الخلاف وهو انه عندما اعرّب الرئيس عن تعاطفه على ضحايا العدوان الاسرائيلي ، شعر المسئولون العاملون معه بالارتباك . ولقد كتب الصحفي المحترم « جورج ويل » يقول : ان زعماء اسرائيل الذين كتبوا يعلمون ان استخدام سلاح نووي واحد ضد تل ابيب سيدمر اسرائيل ، لم يكن في وسعهم ان يجعلوا ابن اسرائيل يرتكز على تأكيد مسكن بان اعداءها متخلفون تكنولوجيا ولكنهم متقدمون سياسيا . (واشنطن بوست ، ١٤ يونيو) .

وتساءلت المقالة الافتتاحية في صحيفة « لوس انجلوس تايمز » هل حالة اسرائيل امر يمكن تصديقه ؟ واختتمت مقالها قائلة : « ان اسرائيل مستعززة في اثاره قدر كبير من الفضب العالمي الموجه ضدها ، بسبب ما حدث . ومن

المخيرة أن ما قلتم به اسرائيل - من هبل مخيب للأمل قد يؤدي في النهاية
ثم جعل الشرق الاوسط مكانا اكثر اهدا لكل الاطراف المعنية . (١١ يونيو)
ولخصت صحيفة (وول ستريت جورنال) حالة الانضمام النفسى
الامريكى بقولها :

٥ منذ الوقت الذى وقعت فيه الغارة ، تصرمت الولايات المتحدة كما
لو كان مكانا ان تتخذ موقفا وسطا ازاء هذه القضية وان مخرج من
دون أن تصاب باى اضرار ، ومن ناحية امرب الرئيس ريجان عن تعاطفه مع
الورطة الاسرائيلية . غير انه من ناحية اخرى كانت هناك جهود كثيرة تبذل
بقصد استمالة الراى العام العربى . وباختصار ، لقد تحولت العملية الى
درس آخر فى : كيف يمكننا ان نتصرف بحيث ننجح فى ألا تسوء علاقتنا
باسرائيل ، والا نضف وضمتنا كوسيط موثوق به فى عملية اقرار السلام
فى الشرق الاوسط . والا تسوء سمعتنا بالنسبة لزعامتنا فى العالم .

انها لعبة خاسرة . فلا يوجد سبيل الآن لمعاينة اسرائيل عقابا يرضى
اعداها دون أن تنال قضات مخدرة من اسرائيل بينما تظهر لدول الشرق
الايوسط الاخرى ما يمكننا أن نفضله لهم فى اطار استراتيجية تبشر بالنجاح
فى الوقت نفسه . لقد اثبتت حكومة كارتر هذا بما حققته من فشل ومن
نجاح على السواء . ونحن نعتقد أن رجال ريجان قد جاؤوا الى السلطة وهم
يعرفون ذلك . ومن حسن الحظ انه لا يزال يوجد بعض الوقت للتعلم .
(٧ يونيو) .

لقد فجر الهجوم الاسرائيل رد فعل عنيفا وقويا فى الولايات المتحدة ،
حيث اذانت رسميا الغارة فى ٨ يونيو ١٩٨١ باعتبارها عملا (لا مثيل له
من قبل) . وقالت السلطات الامريكية ان استخدام الاسلحة الامريكية فى
الغارة قد يكون انتهاكا للقانون الامريكى . ولقد اصعدت وزارة الخارجية
الامريكية تقريرا صيغ بلغة عنيفة للغاية لم تستخدمها الادارة الامريكية من
قبل للاحتجاج ضد عمل اسرائيل ويتناول التقرير الانتهاك المحتمل للقانون
الامريكى بالتنمية لتصدير الاسلحة . ويطالب بمرضه على الكونجرس
بسرعة .

ولقد جاء رد فعل الادارة فى اعقاب دعوة عدد من السفراء العرب
كل منهم على حدة ، للولايات المتحدة الى أن تتنصل من الغارة . والواقع أن
الولايات المتحدة التى فاجأتها الغارة ، قد جاء رد فعلها متأخرا .

وهكذا كانت الولايات المتحدة تجاهد للتوصل الى وسيلة لمعاينة اسرائيل
لاستخدامها الطائرات الامريكية الصنع فى شن غاراتها الجوية ضد العراق -
على ألا يؤدي هذا العقاب الى قطع المساعدات الامريكية لها على نحو مؤثر .

وكان المسئولون فى البيت الابيض ووزارة الخارجية ووزارة الدفاع
يجرون مناقشات حامية عما يتعين على الولايات المتحدة ان تفعله .

قال احد المسئولين فى الخارجية الامريكية انه يوجد خلاف كبير داخل
الإدارة فى هذا الصدد ، ونحن نحاول الآن عملا يتسم بالاعتدال .

وبينما كان الرئيس ريجان يفكر مليا فى المشكلة ، كان واينبرجر وزير
قد ارتكبت انتهاكا جوهريا للقانون الإيريكى . وقال انه اذا تبين أن الانتهاك
جوهري فإن اسرائيل لن تكون مؤهلة لأن تحصل فى المستقبل على أسلحة
الدفاع يتخذ خطأ واضحا . لقد طرح الامر فى ضوء احتمال أن تكون اسرائيل
من الولايات المتحدة .

وفى ٩ يونيو ، ابلغ الكسندر هيج وزير الخارجية الكونجرس بأنه
يحتمل أن تكون اسرائيل قد ارتكبت انتهاكا جسيما لاتفاقات الاسلحة المبرمة
بينها وبين الولايات المتحدة باستخدامها الطائرات الامريكية الصنع فى قصف
المفاعل . والواقع انه يحق للرئيس بمقتضى الرقابة على صادرات الاسلحة
أن يوقف المساعدات العسكرية اذا تبين ذلك . ثم قال هيج انه بينما كانت
الإدارة مستمرة فى المحادثات مع اسرائيل وبينما كان الكونجرس يعقد
جلسات استماع حول الموضوع ، قرر الرئيس ريجان وقف تزويد اسرائيل
فى الوقت الحاضر بأربع طائرات اف - ١٦ كان من المقرر أن تسلمها خلال
الاسبوع الحالى .

وكانت استجابة زعماء الكونجرس لاجراء الرئيس هذا ، ايجابية ،
فقد انتقد (كلينغ زابلوكى) رئيس لجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب
الامريكى القصف الاسرائيلى للمفاعل ، وقال ان قرار الرئيس كان قرارا
حكيميا ومطروسا كما انه ضرورى . وقال السناتور (تشاولز بيرسى) رئيس
لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الامريكى - وهو ليس من اصدقاء
اسرائيل - اشد عنفا فى تصريحاته . فقد أعلن بأن الفارة قد تقوض الجهود
الدبلوماسية التى يبذلها السفير فيليب حبيب (المبعوث الامريكى فى المنطقة) ،
وتقلل احتمال اقرار سلام فى الشرق الاوسط على أساس كامب ديفيد .
وكان من السهل أن يصدر مثل هذا التصريح من الرياض او عمان .

غير أن السناتور الجمهورى المحافظ (الفوتو داماتو) كان له رأى
مختلف . فقد قال : ان القصف كان عملا شرعيا ، وكان غارة وقائية كان
علينا أن نتوقعها ، . ووافق على ذلك السناتور الديمقراطى (دانيل مونيهان)
فقد قال ان الاسرائيليين فعلوا ما كان عليهم أن يفعلوه . واننى أؤيد أى
شئ من شأنه محو أية منشأة نووية . وقد أعرب السناتور (آلن كرانستون)
وهو أحد الزعماء فى لجنة العلاقات الخارجية ، عن أسفه العميق لقرار تأجيل
تسليم اسرائيل طائرات اف - ١٦ .

ولى مواجهة هذا المآزق ، وجهت ادارة ريجان بالفعل تانيا محدودا لاسرائيل ، وهو رد فعل محسوب جدا ، يوازن بين قلق اسرائيل ازاء التهديد النووي المحتمل ، وبين صدق الولايات المتحدة فى الشرق الاوسط ، حينما قررت التحكم فى سياسة مبيعاتها من الاسلحة لاسرائيل غير أن وقف تسليم اسرائيل طائرات اف - ١٦ كان قرارا اقل عنفا من قرار معرفة مدى قيمه ومقدار العلاقات العسكرية بين الولايات المتحدة واسرائيل الذى قرره فى اغسطس ١٩٧٥ كل من الرئيس الأمريكى الاسبقى فورد ووزير خارجيته كيسنجر ، وذلك عنما اوقف اسحق رابين رئيس وزراء اسرائيل مفاوضات فك الاشتباك الثانى من سيناء .

ولقد اوضح المسئولون الأمريكيون فى احاديثهم الخاصة ، أن هذه المسألة سياسية أكثر منها قانونية وهى مسألة يتعين اجراء مشاورات بشأنها مع الكونجرس . وقال أعضاء الكونجرس ان زعماء الاغلبية فى مجلس النواب يشعرون بتماطف غريزى وفطرى ازاء محنة اسرائيل .

وكان (واينبرجر) وزير الدفاع يسمى الى عقاب اسرائيل عقابا عنيفا ورغم ذلك لم تكن واشنطن لتتساهل بوضوح عن مثل هذا العمل . ولم تكن هناك اية معارضة لوقف تسليم طائرات اف - ١٦ لاسرائيل ورغم ذلك كان المسئولون عن الامن القومى الأمريكى يربون فى احاديثهم الخاصة عن اعجابهم بجسارة وكفاءة الفارة الجوية الاسرائيلية على حليف للاتحاد السوفيتى .

ولقد هاجم بيجين شخصيا واينبرجر وزير الدفاع بسبب موقفه ازاء اسرائيل . والواقع انه هاجم كلا من مستر واينبرجر وشيسون بيريز لدعائيهما المتعمدة الزائفة ضده وضد الدوافع الحقيقية وراء شن اسرائيل للفارة واتهم واينبرجر بمحاولة اقناع ريجان بخفض المساعدات العسكرية والاقتصادية الامريكية لاسرائيل . وقد رد واينبرجر بقوله انه اتهم خاطيء .

ولقد تجادل الكثيرون سواء داخل اسرائيل او قى غيرها من البلاد حول ان الخطا الاكبر الذى ارتكبته حكومة بيجين لم يكن قرار شن الفارة . وانما الاعتراف بذلك . فلو أن اسرائيل لم تحدد هوية الفارة وتركتهما تتسم بالفوضى ، لكانت قد تجنبنا الضريبة المحتية التى تعالت فى أعقاب الفارة . ولكانت قد تجنبنا ارباك الحكومة الامريكية التى تحاول تحسين علاقاتها مع العالم العربى .

وفى ١١ يونيو ، اجتمع ريجان مع مسئولين عرب واسرائيليين ، كل على حدة ، لتهدئة أزمة الشرق الاوسط ، ومع ذلك تراجع الرئيس عما أعلنه ، كما أكد للاسرائيليين أنه لن يجرى أى إعادة جوهريّة لمعرفة مقدار ومدى

الأوسط . غير ان هذه الفكرة الاستراتيجية تعتبر فكرة غير واقعية طالما ان الدول العربية المعتدلة ، مثل السعودية والاردن ، تزيد ، بل وتحالف في الواقع مع العرب الراضين مثل العراق ومنظمة التحرير الفلسطينية .

وطالما ان جبهة الرفض المصرية تحصل على ما يلزمها من الاموال من هيوع شبه الجزيرة العربية ، وان الجيش العراقي يزود بالاسلحة السوفيتية فان ثمة فرصا ضئيلة لتكوين جبهة عربية اسرائيلية مشتركة ضد السوفييت . والواقع ان الاجماع الاستراتيجي قد طرح كبديل للتوازن الاستراتيجي ، وهي الصيغة الامريكية الخاصة بالشرق الاوسط طوال العقود الاربعة الماضية . ذلك ان الاعتبارات الاستراتيجية كانت تستند ، في الماضي ، على ان تكون نسبة القوة العسكرية العربية الاسرائيلية ١ الى ٣ ، وان كلا من الولايات المتحدة واسرائيل كانتا تسميان للحفاظ على هذا التوازن . وكان هذا التوازن يستند في ذلك الوقت على قدرة الدول ، لا على طموحاتها وتطلعاتها .

ومن ثم ، سيفير المفهوم الجديد ، في الواقع ، التوازن العسكري في الشرق الاوسط لصالح الدول العربية . ذلك انه يقتضى مبدأ الاجماع الاستراتيجي لن تكون الولايات المتحدة في حاجة الى الاجماع من الناحية العملية على ان تزود الشرق الاوسط والخليج بالاسلحة بدون اية حدود ، ويكون ذلك خاضعا فقط لنزوات كل دولة .

وبهذا يمكن للاجماع الاستراتيجي ان يصبح ترسانة عسكرية حتى ان الولايات المتحدة ، بالرغم من تواجدها في مركز القيادة والمراقبة قد تجده يوما وقد اصبح جحيما ثوريا يسيطر عليه قذافي سعودي او ما هو اسوأ خميني سني سعودي . ذلك ان السعودية تعتبر دولة ضعيفة . وبعض المحللين في المخابرات المركزية الامريكية تساورهم الشكوك في كون الامرة الحاكمة السعودية ستستمر حتى نهاية الثمانينات .

ولقد كان خطأ الاجماع الاستراتيجي يثير الاسرائيليين ويستفزهم باكثر مما يستفز اقرانهم الامريكيين . ذلك ان العرب يعتبرون اسرائيل لا الانحساد السوفيتي ، عدوهم الاساسي ، ولعل افضل بيان عن الوضع الامريكي هو ذلك الذي ادلى به جيمس شليزنجير وزير الدفاع الامريكي السابق ، وقد قال فيه : « ان منهاج الادارة يركز على التهديد السوفيتي والسعي الى تحقيق اجماع استراتيجي يصل في النهاية الى عمل جماعي من جانب دول المنطقة بالنسبة لتحسين قدرتها على الردع العسكري ضد التدخل السوفيتي . وعلى حين ان مثل هذه النتيجة سوف ترضى الى حد كبير الكثيرين منا ، الا انه من قبيل الاستفراق في الذات الامريكية ان تفترض ان دول المنطقة سوف تتخلى عن همومها المباشرة وتحتضن همومنا . ذلك ان كلا من اسرائيل وجيرانها العرب ، يساورهم القلق بشأن النوايا والاعمال التي من شأنها ان تشكل خطرا راعنا وواضحا بالنسبة لبعضهم . والتي لا يمكنهم ببساطة تسميتها

وتبنى قلقنا الذي يتمثل في احتمال التهديد السوفيتي للمنطقة . ولذلك ، ينبغي التخل من أي أمل في أن يركز الاهتمام الاقليمي نحو الشمال ، في ظل غياب معالجة فعالة متزامنة للتوترات الداخلية في المنطقة . والواقع أن الغارة الاسرائيلية على المفاعل العراقي تضى نهاية هذا الاتجاه الخاسر في اولويات السياسة الامريكية ، لالها زادت من هذه المخاوف الخاصة بشأن الصراعات الداخلية التي لم يتم التوصل لحل لها بعد ، بينما تثير شكوكا متزايدة حول فعالية الدور الامريكي في المنطقة .

وفيما يتصلق بهذه التوترات الاقليمية ، نجد ان الولايات المتحدة ربما فضلت أن تتجنب اتخاذ قرار بشأنها ، كسبا للوقت . ولكنه لم يدر في وسعها ذلك بعد . فقد جعلت الغارة هذه التوترات امرا رئيسيا ، وكشفت عجز الولايات المتحدة من انجاز دورها المتوقع بشأن ضمان كبح الجراح الاسرائيل . وعلى الولايات المتحدة أن تختار الآن . فمن ناحية ، قد تنصبي صراحة عن الغارة بالاستمرار في تزويد اسرائيل بالاسلحة . غير ان النتيجة الحتمية لذلك هي تحقيق مزيد من الخلاف بين الولايات المتحدة والسكثير من دول العالم العربي . ومن ناحية اخرى ، سيثير وقف شحنات الاسلحة لاسرائيل تلقائيا مشكلة عمق الالتزام الامريكي بضمن امن اسرائيل . ولقد كان فرصة هذا الاختيار على الولايات المتحدة ملانا للصالح الاسرائيل .

فلك ان ادانة الهجوم — وفي ذلك استخدام اسرائيل للاسلحة الامريكية على نحو مخالف للقانون الامريكي — يقتضى منطلق اعطاء الاولوية للسياسات المناهضة للانتشار النووي بدرجة اكبر مما تعطيلها الادارة الامريكية حتى الآن . وربما يجد (السناتور آلان كرانستون) وآخرون غيره ان الغارة الاسرائيلية لها ما يبررها في ضوء اصرارهم منذ امد طويل على منع الاسلحة النووية . وهكذا كان يمكن لحكومة كارتر لسياستها المعتنة — وان كانت غير فعالة — بشأن منع الانتشار النووي . ولكن ادارة ريجان تعتبر حتى الآن ، غير مهتمة ، او قدرية ، بشأن انتشار الاسلحة النووية ، ويبدو هذا بوضوح في مساعدها العسكرية لباكستان . ومن ثم ، اذا ما بادرت الادارة بادانة الثغرة ، فمتها مستجد ان من الصعب عليها بعد ذلك التغاضي عنها على اساس اهداف منع الانتشار النووي التي لا توليها اي اهتمام حتى الآن . واذا ما تدفقت الاسلحة على اسرائيل بالرغم من القانون الامريكي ، فسوف يزداد عدم الثقة في الدواعي الامريكية وفي دورها كوسيط امين في حل الخلافات للعربية الاسرائيلية .

ولما كانت القوة الخاصة باسرائيل محدودة تهلها ، فان جهدها الفردي تبع انتشار الاسلحة النووية في المنطقة سوف يثبت انه امر عاجز . ذلك ان موضوعا تتفق عليه الدول العظمى — بالرغم من ان قدرتها محدودة بالنسبة للتصدي لمشاكله — من المؤكد ، والامر كذلك ، أن يتجاوز هذا

الموضوع قدرة اسرائيل المحدود جدا . بل ان عمل اسرائيل قد يعزز تصميم العرب على الحصول على اسلحة نووية . وما هو اكثر اهمية ، انه يتعين ان نتفكر ان الحركة الاولى نحو انتاج « قنبلة اسلامية » وطلب الدعم لهذا المشروع قد جاءت من جانب باكستان ابان حكم الرئيس ذو الفقار على بوتو في منتصف السبعينيات . وعلى الرغم من بلاغة بيجين الاستغزارية تقع باكستان في مكان لا تسطيع الطائرات الاسرائيلية ان تبلغه ، كما انها ، بخلا من ذلك ، تستظل بالحماية الامريكية .

وهكذا ، فان قدرة اسرائيل تعد محدودة جدا بالنسبة لمنع انتشار الاسلحة النووية في المنطقة . ولعل افضل ما يمكن ان نرجو من جراء هذه الغارة التي كان التفكير فيها امرا سيئا بالرغم من ان تنفيذها كان بارعا هو ان تركز الاهتمام الدولي مرة اخرى على مشكلة الانتشار النووي . غير انها ستعمل ذلك في مناخ دولي يتدهور تدهورا بالغا .

(جيمس شليزنجر ، صحيفة « واشنطن بوست » الامريكية ، ١٢ يونيو ١٩٨١)

ان من الحقاقة الزعم بان اسرائيل تعتبر بمثابة حليبة ضد الاتحاد السوفيتي . ذلك ان حرب ١٩٧٢ لم تثبت ذلك . فلقد هبت امريكا في الواقع ، وليس اسرائيل ، الى مساعدة ما يسمى « المدافع » الاسرائيلي المناهض للشيوعية . ولهذا ، لا يعتبر الاجماع الاستراتيجي سياسة بل هو كارفة . اذ انه توجد سبل اخرى للتوصل الى تقارب اسرائيل - سعودي . والواقع ان الاساس الوحيد الذي يمكن ان تقام عليه سياسة خاصة بالشرق الاوسط هو عملية كامب ديفيد ، وانه يمكن ان ينضج في النهاية في اطار هذه العملية استراتيجية امريكية اسرائيلية عربية .

ولقد كانت الولايات المتحدة اعتبارا من الستينيات متحمسة على نحو يتصف بالشهرة السيئة ، بانتشار الاسلحة النووية عندما كان انتاج هذه الاسلحة النووية في بدايته ، ثم انضمت الى العملية دول العالم الثالث الصغرى - الهند وباكستان وتايوان وجنوب افريقيا والعراق وامرئيل وليبيا ، وربما دول اخرى . ولقد وضعت الولايات المتحدة اخيرا قاعدة قانونية دولية هي معاهدة حظر انتشار الاسلحة النووية ، التي وقمت عليها معظم دول العالم الثالث وغيرها من الدول الصغرى غير ان اسرائيل والهند لم توقعا عليها .

ومع ذلك ، ليست معاهدة حظر الانتشار النووي اداة قوية تكفي لمنع الانتشار النووي . وليس ادل على ذلك من ان العراق وهي احدى الدول التي وتمت على المعاهدة - ماضية في عملية خلق قدرة نووية خاصة بها . ولقد اصبحت معاهدة حظر الانتشار النووي ايدولوجية امريكية ليبرالية

وكذا وسيلة لضمان الا يوضع نطاق النوى الدولي . والواقع ان المنظمة الدولية للطاقة الذرية - هي احدى الوكالات التي انشأتها الامم المتحدة لرصد الانتشار النووي - تعتبر هيئة ذات صبغة سياسية الى حد كبير . ومن الواضح ، حتى اذا ما اخذنا حالة العراق مثلا - ان الصراق لا تسمح لاحد باجراء تنقيش على مفاعلها النووي الا بمثلى الدول التي ترى ان مفاعلهما بيدا ودية .

وهكذا ، كان اتفاق المنظمة الدولية للطاقة الذرية امرا واضحا : لماذا لم تصحب اوراق اعتماد الهند في عضويتها ، بالرغم من انه من المحتل ان تطرد اسرائيل من عضويتها ، عل حين ان الهند تمه الان دولة انوى من اسرائيل نوريا . وذلك السحب لاوراق الاعتماد ، والطرده من المنظمة هو من وجهه نظر المجتمع الدول وخاصة الولايات المتحدة . ولقد كانت الولايات المتحدة تقوم بمد ١٩٦٠ بزيارات مستمرة لديونا حيث يوجد المفاعل الاسرائيل ، الا ان هذه الزيارات قد توقفت منذ تولت ادارة ريجان السلطة . ولقد كانت ادارة كارتر بصفة خاصة ، لا تشمر بارتياح لعدم امتثال اسرائيل لمعاهدة حظر الانشائ النووي . بيد ان الضغوط على اسرائيل في هذا المجال كانت تتغير تبعا لتوجهات الادارات الامريكية المتعاقبة . ومن المؤكد ان الولايات المتحدة كتبت تشعمر بالقلق ازاء المفاعل الصراقى ، وليس ادل على ذلك من ان ادارة كارتر قد صفطت على فرنسا حتى لا يستخدم الفرنسيون اليورانيوم المخصب الامريكي في المفاعل الفرنسية .

وهكذا ، كان رد الفعل الامريكي المفاجيء والتعصب ، بالرغم من انه كان متوقعا في اسرائيل - كان يثير القلق . وخاصة عندما تشعمر اسرائيل بان انولايات المتحدة قد اخفقت في مهم ماثير قلقها ، وان وجود اسلحة نووية في ايدي حكام دكتاتوريين مخصبين وارهليبين يلتزمون بلبادة اسرائيل يعد سببا يبور الحرب بالنسبة لها ، وانه لايسع اسرائيل ان تدع نفسها تحت رحمة اسلحة دمار في حوزة اكثر النظم انحطاطا في الشرق الاوسط في الوقت الحاضر .

بل ان رد الفعل الامريكي على صعيد الراى العام لم يكن بههوما بالنسبة لاسرائيل لماذا تهاجم لجهزه الاعلام الامريكية ، والمقالات الامتتاحتية . لمعظم الصحف الامريكية المؤثرة اسرائيل بشدة ؟ هل هي حالة من حالات سوء الفهم ؟ ان اسرائيل كانت (جوليات) ، وان العرب كانوا داودا ؟ او ان العالم « المسيحى » يتناسى مرة اخرى الوجود اليهودى والمخاطر التي تهمدده ؟ لقد حدث كل ذلك . لقد ادانت اجهزة الاعلام في الايام الاولى التي اعقبت الغارة ، العمل الاسرائيلى (باستثناء صحيفة وول ستريت جورنال) وتعالقت الاصوات في الكونجرس - وفي ذلك اصعقاء اسرائيل - في « كوراس » صاحب ضد اسرائيل ، وبلا تمييز .

وفي رد فعل عصبى وصفت صحيفتنا « نيويورك تايمز » و « واشنطن بوست » الهجوم الاسرائيلى بانه « حقير وجدير بالازدراء » وعمل لايمكن صبره ، وعدوان قصر النظر (٩ يونيو) . واستطردت صحيفة واشنطن بوست الى ما هو ابعد من ذلك قائلة « لقد ارتكب الاسرائيليون بقدمهم للمعامل العراقى خطأ جسيما . فقد تصرفوا ، فيما يعتقد ، على نحو معاكس لمصالحهم طويلة الامد ، وعلى نحو معاكس للمصالح الامريكية كذلك » (٩ يونيو) ولقد كانت الحكومة الامريكية تدرك في الواقع ، تمام الإدراك التهديد العراقى وان الغارة الاسرائيلية قد أسهمت في دعم المصالح الامريكية .

وفي اعقاب الغارة ، ارسل بيجين مذكرة تفسرية الى ريجان قال فيها : انه اذا كان العراقيون قد قصفوا منطقة تل ابيب بقنبلة نووية ، فان ذلك كان من المتوقع ان يسفر عن مصرع ٦٠ الف اسرائيلى . ولم تنشر هذه الحقيقة في اسرائيل حتى لاثمير الذعر . ولقد قدر الجنرال شارون ان هجوما مماثلا من شأنه ان يسفر عن مصرع ٥٠ الف شخص واصابة ٢٥٠ الف آخرين بالاشعاع النووى . والرئيس ريجان كان متعاطفا مع قلق اسرائيل ومخاوفها . ولكنه واجه - رغم ذلك - ورطة معينة بالنسبة لرد فعله الاولى ازاء الغارة . لقد كان يتر ضرورة ابعاد الولايات المتحدة عن الغارة ، والا تتساهل تجاه اسرائيل ، الا انه كان يرى كذلك مبررا لطبعا لعدم طرح الموقف الامريكى الاساسى ازاء اسرائيل للمناقشة لقد اذان الغارة ، الا انه لم يفعل اى شئ لتغيير الدور الامريكى المستمر باعتبار الولايات المتحدة الحامية الوحيدة لاسرائيل والمصدر الاجنبى الوحيد لتسليحها . ولقد اكد الرئيس ريجان للسفير الاسرائيلى لدى واشنطن ان الهجوم لن يؤثر على العلاقات الامريكية الاسرائيلية . ولقد صرح السفير بان الرئيس اكد العلاقة القوية والراسخة مع اسرائيل ، وقال انه لن يسمح بظهور اختلال نوعى في القوّة في المنطقة » .

وقد كان هناك خلاف كبير داخل الادارة الامريكية بالنسبة لسبل عقاب اسرائيل على الغارة التى شنتها على العراق . وثمة سبب آخر لتفسير ذلك الحلاف وهو انه عندما أعرب الرئيس عن تعاطفه على ضحايا العدوان الاسرائيلى . شعر المسؤولون العاملون معه بالارتباك . ولقد كتب الصحفى المحترم « جورج ويل » يقول : ان زعماء اسرائيل الذين كانوا يعلمون ان استخدام سلاح نووى واحد ضد تل ابيب سيهدم اسرائيل ، لم يكن في وسعهم ان يجعلوا امن اسرائيل يرتكز على تأكيد مسكن بان اعداءها متخلفون تكنولوجيا ولكنهم متقدمون سياسيا . (واشنطن بوست ، ١٤ يونيو) .

وتساءلت المقالة الافتتاحية في صحيفة « لومس انجلوس تايمز » هل حالة اسرائيل امر يمكن تصديقه ؟ واختتمت مقالها قائلة : « ان اسرائيل ستستمر في اثاره قدر كبير من الغضب العالمى الموجه ضدها ، بسبب ما حدث . ومن

للمسخرة أن ما قلمت به اسرائيل - من عمل مخيب للأمل قد يؤدي في النهاية
ثى جعل انشرق الاوسط مكانا اكثر امنا لكل الاطراف المعنية . (١١ يونيو)
ولخصت صحيفة (وول ستريت جورنال) حالة الانفصام النفسى
الامريكى بقولها :

« منذ الوقت الذى وقعت فيه الغارة ، تصرفت الولايات المتحدة كما
لو كان ممكنا ان تتخذ موقفا وسطا ازاء هذه القضية وان يخرج مننا
دون ان تصاب باى اضرار ، ومن ناحية امرب الرئيس ريجان عن تعاطفه مع
الورطة الاسرائيلية . غير انه من ناحية اخرى كانت هناك جهود كثيرة تبذل
بقصد استمالة الراى العام العربى . وباختصار ، لقد تحولت العملية الى
درس آخر فى : كيف يمكننا ان نتصرف بحيث ننجح فى الا تسوء علاقتنا
باسرائيل . والا نضعف وضمنا كوسيط مونتوق به فى عملية اقرار السلام
فى الشرق الاوسط . والا تسوء سمعتنا بالنسبة لزعامتنا فى العالم :

انها لعبة خاسرة . فلا يوجد سبيل الآن لمقابلة اسرائيل عقابا يرضى
اعدامها دون ان تنال قضات مخدرة من اسرائيل بينما تظهر لدول الشرق
الايوسط الاخرى ما يمكننا ان نفعله لهم فى اطار استراتيجية تبشر بالنجاح
فى الوقت نفسه . لقد اثبتت حكومة كادتر هذا بما حققته من فشل ومن
نجاح على السواء . ونحن نعتقد ان رجال ريجان قد جاؤوا الى السلطة وهم
يعرفون ذلك . ومن حسن الحظ انه لا يزال يوجد بعض الوقت للتعلم .
(٧ يونيو) .

لقد فجر الهجوم الاسرائيل رد فعل عنيفا وقويا فى الولايات المتحدة ،
حيث ادانت رسميا الغارة فى ٨ يونيو ١٩٨١ باعتبارها عملا (لا مثيل له
من قبل) . وقالت السلطات الامريكية ان استخدام الاسلحة الامريكية فى
الغارة قد يكون انتهاكا للقانون الامريكى . ولقد اعدت وزارة الخارجية
الامريكية تقريرا صيغ بلغة عنيفة للغاية لم تستخدمها الادارة الامريكية من
قبل للاحتجاج ضد عمل اسرائيل ويتناول التقرير الانتهاك المحتمل للقانون
الامريكى بالنسبة لتصدير الاسلحة . ويطالب بعرضه على الكونجرس
بسرعة .

ولقد جاء رد فعل الادارة فى اعقاب دعوة عدد من السفراء العرب
كل منهم على حدة ، للولايات المتحدة الى أن تنصل من الغارة . والواقع أن
الولايات المتحدة التى فاجأتها الغارة ، قد جاء رد فعلها متأخرا .

وهكذا كانت الولايات المتحدة تجاهد للتوصل الى وسيلة لمقابلة اسرائيل
لاستخدامها الطائرات الامريكية الصنع فى شن غارتها الجوية ضد العراق -
على الا يؤدي هذا العقاب الى قطع المساعدات الامريكية لها على نحو مؤثر .

وكان المسئولون في البيت الابيض ووزارة الخارجية ووزارة الدفاع يجهرون مناقشات حامية عما يتعين على الولايات المتحدة أن تفعله .

قال أحد المسئولين في الخارجية الامريكية انه يوجد خلاف كبير داخل الادارة في هذا الصدد ، ونحن نحاول الآن عملا يتسم بالاعتدال .

وبينما كان الرئيس ريجان يفكر مليا في المشكلة ، كان واينبرجر وزير قد ارتكبت انتهاكا جوهريا للقانون الامريكى . وقال انه اذا تبين أن الانتهاك جوهري فإن اسرائيل لن تكون مؤهلة لأن تحصل في المستقبل على أسلحة الدفاع يتخذ خطأ واضحا . لقد طرح الامر في ضوء احتمال أن تكون اسرائيل من الولايات المتحدة .

وفي ٩ يونيو ، ابلغ الكسندر هيج وزير الخارجية الكونجرس بأنه يحتمل أن تكون اسرائيل قد ارتكبت انتهاكا جسيما لاتفاقات الاسلحة المبرمة بينها وبين الولايات المتحدة باستخدامها الطائرات الامريكية الصنع في قصف المعامل . والواقع انه يحق للرئيس بمقتضى الرقابة على صادرات الاسلحة أن يوقف المساعدات العسكرية اذا تبين ذلك . ثم قال هيج انه بينما كانت الادارة مستمرة في المحادثات مع اسرائيل وبينما كان الكونجرس يعقد جلسات استماع حول الموضوع ، قرر الرئيس ريجان وقف تزويد اسرائيل في الوقت الحاضر بأربع طائرات اف - ١٦ كان من المقرر أن تتسلمها خلال الاسبوع الحالي .

وكانت استجابة زعماء الكونجرس لاجراء الرئيس هذا ، ايجابية ، فقد انتقد (كلينت زابلوكي) رئيس لجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب الامريكى القصف الاسرائيل للمفاعل ، وقال ان قرار الرئيس كان قرارا حكيميا وملتوسا كما انه ضرورى . وقال السناتور (تشارلز بيرس) رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الامريكى - وهو ليس من اصداق اسرائيل - اشد عنفا في تسميقاته . فقد أعلن بأن الغارة قد تقوض الجهود الدبلوماسية التي يبذلها السفير فيليب حبيب (المبعوث الامريكى في المنطقة) ، وتقلل احتمال اقرار سلام في الشرق الاوسط على اساس كامب ديفيد . وكان من السهل أن يصدر مثل هذا التصريح من الرياض او عمان . غير أن السناتور الجمهوري المحافظ (الفوتو داماتو) كان له رأى مختلف . فقد قال : ان القصف كان عملا شرعيا ، وكان غارة وقائية كان علينا أن نتوقعها ، . ووافق على ذلك السناتور الديمقراطي (دانيال موينهان) فقد قال ان الاسرائيليين فعلوا ما كان عليهم أن يفعلوه . واننى أؤيد أى شئ من شأنه محو أية منشأة نووية . وقد أعرب السناتور (آلن كرانستون) وهو أحد الزعماء في لجنة العلاقات الخارجية ، عن أسفه العميق لقرار تأجيل تسليم اسرائيل طائرات اف - ١٦ .

وقل مواجهة هذا المأزق ، وجهت ادارة ريجان بالفصل تانيبا محدودا
لاسرائيل ، وهو رد فعل محمود جدا ، يوازن بين قلق اسرائيل ازاء التهديد
النووى المحتمل ، وبين صدق الولايات المتحدة فى الشرق الاوسط ، حينما
قررت التحكم فى سياسة مبيعاتها من الاسلحة لاسرائيل غير ان وقف تسليم
اسرائيل طائرات اف - ١٦ كان قرارا اقل هندا من قرار معرفة مدى قيمة
ومقدار العلاقات العسكرية بين الولايات المتحدة واسرائيل الذى قرره فى
اغسطس ١٩٧٥ كل من الرئيس الامريكى الاسبق فورد ووزير خارجيته
كيسنجر ، وذلك عندما اوقف اسحق رابين رئيس وزراء اسرائيل مفاوضات
فك الاشتباك الثانى من سيناء .

ولقد اوضح المسئولون الامريكيون فى احاديثهم الخاصة ، ان هذه
المسألة سياسية اكثر منها قانونية وهى مسألة يتعين اجراء مشاورات بشأنها
مع الكونجرس . وقال اعضاء الكونجرس ان زعماء الاغلبية فى مجلس النواب
يشعرون بتعاطف غريزى وفطرى ازاء محنة اسرائيل .

وكان (واينبرجر) وزير الدفاع يسمى الى عقاب اسرائيل عقابا عنيفا
ورغم ذلك لم تكن واشنطن لتتساهل بوضوح عن مثل هذا العمل . ولم
تكن هناك اية معارضة لوقف تسليم طائرات اف - ١٦ لاسرائيل ورغم ذلك
كان المسئولون عن الامن القومى الامريكى يعربون فى احاديثهم الخاصة عن
اعجابهم ببسارة وكفاءة الفائزة الجوية الاسرائيلية على حليف للاتحاد
السوفيتى .

ولقد هاجم بيجين شخصيا واينبرجر وزير الدفاع بسبب موقفه ازاء
اسرائيل . والواقع انه هاجم كلا من مستر واينبرجر وشيمون بيريز لدعايتهما
المتعمدة الزائفة ضده وضد الدوافع الحقيقية وراء شن اسرائيل للغارة واتهم
واينبرجر بمحاولة اقناع ريجان بخفض المساعدات العسكرية والاقتصادية
الامريكية لاسرائيل . وقد رد واينبرجر بقوله انه اتهم خاطيء .

ولقد تجادل الكثيرون سواء داخل اسرائيل او قى غيرها من البلاد حول
ان الخطا الاكبر الذى ارتكبه حكومة بيجين لم يكن قرار شن الغارة . وانما
الاعتراف بذلك . فلو ان اسرائيل لم تحدد هوية الفائزة وتركها تتسم
بالغموض ، لكانت قد تجنبت الضمجة المحتمة التى تمالت فى اعقاب
الغارة . ولكانت قد تجنبت ارباك الحكومة الامريكية التى تحاول تحسين
علاقتها مع العالم العربى .

وفى ١١ يونيو ، اجتمع ريجان مع مسئولين عرب واسرائيليين ، كل على
حده ، لتهدئة أزمة الشرق الاوسط ، ومع ذلك تراجع الرئيس عما اعلنه ،
كما اكد للاسرائيليين انه لن يجرى اى اعادة جوهريه لمعرفة مقدار ومدى

العلاقة القائمة مع أمريكا . وأكد الصلابة القوية والرمسة مع اسرائيل -
وعلى الرغم من مطالب السفراء العرب بأن تتخذ الولايات المتحدة اجراءات
صعبة ضد اسرائيل . لم يتزحزح الرئيس عن موقفه .

وفي ٢٢ يونيو . توقع الاسرائيليون أن تستأنف الولايات المتحدة قريبا
حسب الطائرات اف - ١٦ لاسرائيل وهذا يعنى ضم الطائرات الاربعة من طراز
اف - ١٦ التي تأجل تسليمها في ١٠ يونيو مع الدفعة التالية من هذه
الطائرات التي كانت اسرائيل قد طلبتها من أمريكا . ومع ذلك ، تغير كل
شيء في ٢٣ يونيو عندما قصفت اسرائيل مقر منظمة التحرير الفلسطينية
في بيروت . فقد تأجل تسليم طلب طائرات اف - ١٦ ولم يرفع الحظر عنها
الا حتى ١٧ أغسطس وفي أول سبتمبر تقرر تسليم الطائرات الاربعة من
اف - ١٦ لاسرائيل .

ومن السخرية ، أنه في ١١ أغسطس ، أصدرت وزارة الخارجية
الاسرائيلية بيانا وصفت فيه الاجراء الأمريكي بأنه غير عادل ومدمر وخرقا
للمعهد المبرم بين البلدين ، وفي هذا الوقت زار الرئيس السادات واشنطن
ليوقع على صفقة أسلحة أمريكية لمصر (تتضمن دبابات وصواريخ) . وقالت
الادارة الأمريكية ان هذه الصفقة ضرورية للحفاظ على التوازن في الشرق
الاقوسط .

اتخذ مجلس الوزراء الإسرائيلي في أكتوبر ١٩٨٠ قرار تدمير المفاعل النووي بعد مناقشة مأسفة وان لم تكن خطيرة وذلك بعد ان أرغبت الاقلية على الموافقة على اتخاذ القرار . ولم تنشر الصحفا سوى لمحات من هذه المناقشة التي انتصرت على الخبراء والهيكال الأدنى من العاملين في جهاز الامن . وقد تركزت المناقشة على توقيت الفارة وهو الابر الذي يربط بتطور مشروع تيزور الذي كتبت اجهزة اسرائيل ترصده من كذب بقدر ما تستطيع . ولقد كان كل اعضاء اللجنة الوزارية الخاصة بالامن ، التابعة لمجلس الوزراء ، التي تضم الحمايم التقليدية (ييجال يادين) و (يوسف بورج) و (سميحا ايرلينج) يؤيدون العمل ضد التسليح النووي العراقي . غير انه لم يكن هناك اجماع داخا هذه الجماعة بالنسبة لتوقيت الفارة او افضل اسلوب لتدمير المفاعل .

ولم تكن ثمة معارضة كثيرة ضد تدمير المفاعل - فلقد كان المعارضون يخشون نصب ، الآثار السياسية التي يمكن توتيمها في حالة نجح الفارة او فشلها ، ومن هذه الآثار احتمال نشوب أزمة في العلاقات الأمريكية الإسرائيلية ، واضعاف نفوذ السادات في العالم العربي ، واخماد احلام العرب بشأن الوحدة فيما بينهم ، ورد العمل العراقي الذي قد يستمر ويسرع في الامكانيات النووية ، وفوق ذلك كله الآثار الخطيرة التي يمكن ان يسفر عنها عمل العملية .

والواقع ان المناقشة العاجلة التي جرت في أكتوبر ١٩٨٠ لابد من النظر اليها في ضوء الجدل الذي كان يجري في اسرائيل على امتداد ما يزيد على عشر سنوات . ذلك ان مناقشة السياسة النووية قد بدأت عندما بدأ تشغيل المفاعل الإسرائيلي في وقت ما من عام ١٩٦٨ . وعندئذ ظهرت مدرستان للتفكير . فقد كانت الصقور ذات النظرة الاستراتيجية تسمى الى ان تحقق اسرائيل احتكارا وتفوقا نوويا في الشرق الاوسط (وهي مدرسة التفكير التي انتصر بوضوح) . وكتلوا ينادون بانتهاج نظرية الرد المرن . ويعتقدون ان الاحتكار النووي الإسرائيلي وتفوق اسرائيل سيؤدي في النهاية الى حل النزاع العربي الإسرائيلي تبعا لشروط اسرائيل .

اما الحمايم الذين ينتهون عادة لحزب العمل او اليسار فكثرت لا يرون اي مبرر لتأجيل الانتشار النووي - اي تطوير الامكانيات النووية في الدول الأخرى في الشرق الاوسط . وكانوا يرون انه لا يمكن لاسرائيل ان تحتفظ بتفوقها العسكري التقليدي لمدة طويلة ، ذلك ان العرب بطول عام ١٩٨٥ سيتفوقون على اسرائيل من حيث العدد والمعدات العسكرية بنسبة خمسة الى واحد . وكانوا يتطلعون الى مستقبل تصبح فيه الحدود والأراضي غير ذات أهمية ذلك ان التفوق التكنولوجي الإسرائيلي سيكون كائنا لضمنا الوجود الإسرائيلي في مواجهة المغرب .

وفي إطار تبرير بيجين للهجوم على المفاعل العراقي ، كان يرى ان اسرائيل هي الدولة المستقرة و (العنلانية) في الشرق الاوسط ولا يمكنها ان تصبح لدولة غير مستقرة مثل العراق بان يكون لديها امكانية نووية . وكان موقف الصقور في هذا الصدد هو ان الردع لن يمد سلاحا سياسيا . ذلك ان التماثل في التوازن النووي في الشرق الاوسط يمكن ان يكون فعلا فقط بالنسبة للجانب العاقل والمستقر . وباختصار ، كان الصقور يفضلون الوضع الثابت للاحتكار النووي الاسرائيلي في مواجهة الوضع المرن للحمام .

ولقد كان شيمون بيريز زعيم حزب العمل ، وخصم بيجين في الانتخابات القادمة ، ينتقد الفارة بشدة . وقد اتهم بيجين بأنه لم تكن هناك ثمة ضرورة لصفاءالمعامل، وأنه كان يمكن لاسرائيل ان تنتظر في الواقع خمس سنوات قبل ان تفصل ذلك . هذا على الرغم من ان بيريز كان يرى ان الرئيس العراقي صدام حسين يعد شخصا غير مسئول . وكان بيريز يرى ان الضغوط الدولية ، ويقصد بها علاقته الوثيقة مع الرئيس الفرنسي الاشتراكي فرانسوا ميتران ، يمكن ان تحو على نحو ما المعامل العراقي بالطريق الدبلوماسي .

وفي نومبر ١٩٨٠ ، اجتمع بيريز مع ميتران (الذي كان مرشحا للرئاسة للرئاسة الفرنسية آنذاك) وقد أكد (ميتران) له ان فرنسا في ظل حكمه ، لن تزود العراق باليورانيوم . وفي سبتمبر ، ابلغ بيجين بيريز انه يعترض كصف المعامل العراقي . ثم اجتمع بيريز في يناير مرة أخرى مع مستر ميتران الذي كره له وعده . وفي ١٠ مايو بعث بيريز برسالة سرية الى بيجين اعلان فيها معارضته للفارة المقترحة ، وحث بيجين على ان ينتظر الى ما بعد الانتخابات الفرنسية حتى يمكن لملاقة بيريز بميتران ان تحقق الفائدة المرجوة منها . وعندما وقعت الفارة في النهاية . دب الانقسام في حزب العمل وامعته الحرة ازاء ما يمكن ان يكون عليه رد فعله . وقد دعا بيريز الى ان يعترض الحزب على الفارة ووصفها بأنها عمل سياسي بهلواني . وكان يؤيده في موقفه (موتا جور) رئيس الأركان الإسرائيلي السابق الذي قال ان الفارة عمل غير مسئول ولا ضرورة له ، وحاييم هرتزوج الذي قال انه ربما لم يكن في وسع العراقيين انتاج اسلحة ذرية قبل عام ١٩٨٥ . ولقد حاول حزب العمل بالصرار - وان كان على نحو غير بارع - ان يلصق ببيجين اته قسرد فن الضلرة لدوافع سياسية .

ومع ذلك ، زادت شعبية بيجين في استطلاعات الرأي العام الاسرائيلي في اعقاب الفارة بالنسبة لنواح عديدة مثل الاقتصاد واداء الحكومة . بصورة عامة . غير ان موضوعا واحدا كان يمكن ان يكون للفارة تأثير خطير عليه . وهو الدفاع ، فقد انخفضت نسبة المؤيدين لسياسة بيجين الدفاعية من ٦٩٪ الى ٦٧٪ . بيد ان الخبراء فسروا الاستطلاعات على انها تشير الى ان الناخبين قد بدأوا يدركون ان بيريز يعد شخصا غير بارع ، او انه اسوأ من بيجين .

وكان من المفترض أن يبرز ما كان ليابر بفن هذا الهجوم حتى لو كانت الاحداث والتاريخ تصفون الى ذلك . والواقع ان القادة العسكرية والسياسية والثقافية التي تركز عليها اسرائيل ارتكازا شديدا هي مفهوم الامن ، وهذا يعني ان اسرائيل لا يسعها تحمل اية مخاطرة . ولذا كان ينظر الى استمرار وجود القاعل الرائي على انه يشكل مخاطرة جسيمة بالنسبة لامن اسرائيل . وكذلك كان هناك ايمان بان وجود اسرائيل ، وسط دول عربية غير مسئولة مثل العراق وليبيا ، يقتضي ان تحقق اسرائيل التفوق النووي . ولقد اعتنق هذا المفهوم وسار على حديه كل من حزبي (الليكود) و (العمل) . وكانت استطلاعات الرأي العام التي اجريت قبل الانتخابات تبين بوضوح انه كلما كان ييجين اكثر صفا ، والقربا من صورته التاريخية كلما كان ذلك افضل بالنسبة لفرصته الانتخابية . ففي ٢ يونيو ، كشف استطلاع للرأي العام اعنه الدكتور بيلي محطل الرأي العام الموالئ لحزب العمل انه على الرغم من تقارب الفجوة بين حزبي العمل والليكود ، يحرز حزب العمل تقريبا ضئلا على الليكود . وتقسّم استطلاعات الرأي العام الاسرائيل تبعا للموضوع وقد اعدت الاستطلاعات التالية في اول يونيو في اعقاب أزمة الصواريخ السورية .

اداء الحكومة في شئون الامن (اول يونيو ١٩٨١)

النسبة المئوية للتأخيرين	لزمة الصواريخ	
	يناير ٨١	مارس ٨١
منخفض	٨٦٪	٨٠٪
اداء منخفض بالنسبة لضحايا الامن العام	٧٩٪	٦٩٪

وقد اعد الاستطلاع التالي (هاتوش سميت) - احد البارزين في مجال اعداد الاستطلاعات - في ٥ يونيو ١٩٨١ ، في اعقاب هجوم ييجين على المستشار الالمانى الغربي هيلموت شميت وعلى الرئيس الفرنسى جيسكار ديستان . وبعد قرار (يورام اريهور) وزير الخزانة الخاص بالاعفاء الضريبي على اجهزة التلفزيون وغيره من السلع الاجنبية المستوردة . وهنا يظهر مرة اخرى انه كلما كان ييجين عنيفا كلما زادت فرصته الانتخابية .

اداء الحكومة في الشئون الاقتصادية (اول يونيو ١٩٨١)

منخفض الحكومة تطلب من المواطنين اكثر من اللازم	يناير	
	يناير	فبراير
	٨٣٪	٧٥٪
	٥١٪	٣٧٪

كيف كان انطفاش اداء الحكومة (• يونيو ١٩٨١)

سبتمبر ٧٩	سبتمبر ٨٠	يناير ٨١	مارس ٨١	مايو ٨١	
٪١١	٪١٤	٪٩	٪١٥	٪٢٣	انطفاش تام
٪١٨	٪١٨	٪١٦	٪٢١	٪٣٠	اجتماعي
٪٦٩	٪٥٦	٪٥٦	٪٦٧	٪٥٦	امس
٪٧٤	٪٣٧	٪٣٠	٪٢٠	٪٤١	خارجي
٪٢٥	٪١٧	٪١٤	٪٢٠	٪٣٤	عام

وتمثل نهاية الشجار والخلاف بين المسؤولين ارتقاعا في الرأي الانتخابي للاداء الحكومي الاضلل . ففي خلال ايام مفاوضات كالمب ديفيد عندما كان ديان ووزيرمان يتحديان باستمرار بيبجين ، وعنصبا حذر بيجال هوروييز قائلا : « ليس لدى نقود » وكان يهدد استمرارا بتقديم استقالته . كان الرأي الانتخابي ان الاداء الحكومي منخفض .

ثم حدث قصف المفاعل العراقي . وعندئذ كشفت استطلاعات سميت للرأي العام في الفترة من ٤ الى ١١ يونيو (وقع القصف يوم ٧ يونيو) عن زيادة بنسبة ٥٪ في شعبية الليكود . وارتفع التأييد الحكومي لسياسة بيبجين الدفاعية بنسبة ١١٪ وعادت شعبية الحكومة الى ما كانت عليه في ازمي ايامها من سبتمبر ١٩٧٩ عننفا كان رجال اقوياء لا يزالون في الحكومة وخاصة وايزمان وديان) .

وكانت استطلاعات الرأي التي اجرتها صحيفة « جروزالم بوست » قبل الغارة قد توقعت ان يحصل الليكود على ٤٥ مقعدا في الكنيست في اواخر مايو ، و ٤٦ مقعدا في اوائل يونيو مقابل ٤٢ مقعدا لحزب العمل . و ٤٠ مقعدا في اوائل يونيو . ثم حدث تغيرا ملحوظا بمسد الغارة بالنسبة لتوقع فوز الاحزاب بمقاعد الكنيست . فقد ذكرت الاستطلاعات انه من المتوقع ان يحصل الليكود على ٤٦ مقعدا مقابل حصول حزب العمل على ٤٠ مقعدا . والواقع انه منذ شهر مايو لم تكن المنافسة بين الليكود والعمل بل كانت بين بيبجين وبيريز . ومنذ السنوات الاولى لديفيد بن جوريون (١٩٤٨ حتى ١٩٥٦) لم تكن المنافسة الانتخابية تدور كثيرا حول الشخصيات ، ذلك ان الانتخابات الاسرائيلية في عام ١٩٨١ كانت اول انتخابات تجري في اسرائيل على اساس الشخصيات لا القضايا ، على الرغم من ان القضايا المطروحة منذ منتصف عام ١٩٨٠ وحتى مايو ١٩٨١ كانت حاسمة وفي صالح حزب العمل وايرزها : انخفاض اداء حكومة بيبجين ، وتزايد معدل التضخم الاقتصادي ، وفلسطين (مباحثات اقرار الحكم الذاتي الفلسطيني) وميزانية النفاق ، ونوعية الحماية في اسرائيل ، والقضايا العرقية والاجتماعية غير ان اي قضية

من هذه القضايا لم تحظ بالتركيز عليها والاحتمام بها خلال الاشهر الحاسمة من مايو الى يونيو ولهذا قال ابا ايان وزير خارجية اسرائيل الاسبغ في اوائل يونيو : ان علينا ان نجعل تقطة الصفر هي عامل بيجين .

ولقد كانت صورة بيجين كديپاجوجي محرم ، وان كان يدبر حلته الانتخابية باقتدار وفعالية ، وصورته كرجل قوى يمكنه ان يلحق الارهابيين ومنظمة التحرير الفلسطينية الدروس اللازمة ، مما سر قوته الانتخابية . ولقد كانت لبيجين جاذبية سياسية بالنسبة لجمهور الناخبين الذين تتمايل صيحاتهم الى حد العنف اللفظي ، بينما كان المثقفون والطبقة المتوسطة الحديثة من الاسرائيليين يفتنونه تلمبا .

ومع ذلك ، تركزت - في النهاية - انتخابات ١٩٨١ حول شخصيتين متناقضتين : فقد فاز بيريز في المناقشة التلفزيونية ، بينما فاز بيجين بالاااوات .

اداء الحكومة (من ٤ الى ١١ يونيو ١٩٨١)

		الايام السعيدة لكامب ديفيد				
مايو ٨١ بعد الفارة		سبتمبر ٧٩	سبتمبر ٨٠	يناير ٨١	مارس ٨١	يونيو ٨١ (من ٢٠ حتى ٧ يونيو)
اقتصادى	%٢٧	%١١	%١٤	%٩	%١٥	%٢٣
اجتماعى	%٣١	%١٨	%١٨	%١٦	%٢١	%٣٠
امن	%٦٧	%٦٩	%٥٦	%٥٦	%٦٧	%٥٦
سياسة خارجية	%٤٦	%٧٤	%٢٠	%٣٠	%٣٧	%٤١
عام	%٣٨	%٢٥	%١٧	%١٤	%٢٠	%٣٤

ان تورط فرنسا في برنامج السلاح النووي العراقي لم يصدر من رغبة في الاسهام في تقدم العلم والتكنولوجيا .

ذلك ان حكومة جيسكار ديستان لم تكن لتتهم ، فيما يبدو بان يتووط الفرق الاوسط وبقية العالم - وفيه فرنسا في حرب نووية - ذلك ان حجم الاتفاق الفرنسي العراقي قد تراوح ما بين مليار الى خمسة مليارات دولار (اعتمادا على المصادر) وهو قدر من المال ليس ضئيلا حتى بالنسبة للتجارة الدولية في الوقت الحاضر . وفضلا عن ذلك كانت فرنسا تبيع ما لا يقل عن ربع صادراتها من السلاح الى العراق ، بينما تراودها الامل في تحقيق صفقات افضل في المستقبل . واخيرا ، لقد كان الفرنسيون مهتمين بضمائم تدفق مستقر من العراق (تمد فرنسا ثاني الدول التي تحصل على البترول العراقي) .
(العراقي) .

والواقع ان كل هذه الصفقات الفعلية والمحتملة لم يطرا عليها اى تغيير من جراء الهجوم الاسرائيلى الناجح .

وما لا شك فيه ان هذه السياسة قد سببت الأرق للعديد من السياسيين الفرنسيين المسئولين ومن بينهم الرئيس فرنسوا ميتران الذى انتخب في ١٠ مايو ١٩٨١ ، اى قبل شهر من شن الغارة ، والذى كان قد وعد زعيم المعارضة الاسرائيلى في مناسبات عديدة (منها عندما اجتمعا في لشبونة في فبراير ١٩٨١) بوقف المساعدات الفرنسية لبرنامج الاسلحة النووية العراقية . ولقد اصبح هذا أحد شعارات الحملة الانتخابية لميتران ، وذلك ضمن أسباب اخرى ، حتى يجتذب الأصوات اليهودية في فرنسا .

غير انه في أعقاب الانتخابات الفرنسية ، يادر كلود شيسون وزير الخارجية الجديد في حكومة ميتران الى تأكيد التزام فرنسا بتنفيذ الاتفاقيات التى وقعتها حكومة جيسكار ديستان . وكانت هذه الاتفاقيات تتضمن ، بالطبع ، الدعم الفرنسى لمشروع تموز . ولقد كان هذا التحول في كافة وعود ميتران السابقة على الانتخابات لزعماء اسرائيل ، ولناخبيه - سواء وعوده العلنية أو الخاصة - أحد الاعتبارات الأساسية التى دفعت الحكومة الاسرائيلية الى اتخاذ القرار النهائى بشأن تدمير المفاعل العراقي .

والآن ، في أعقاب الغارة توفرت للحكومة الفرنسية فرصة رائعة ، ومميزه ذهبى للتراجع عن مساعداتها للمشروع النووى العراقي . ويدرك الاسرائيليون ان هذا التراجع لم يكن دون حدوث واقعة سابقة . ذلك ان فرنسا في ظل حكم شارل ديغول لم تتردد في ايقاف تعاونها مع اسرائيل عام ١٩٦٠ في كافة مجالات البحث النووى . على الرغم من ان الفرنسيين ، في هذه الحالة

الميكرة ، قد حصلوا على الكثير من الفوائد من الاسرائيليين بقدر ما قدموه من مساعدات لهم .

فهر أنه بعد يوم من الغارة ، اسرع (م . موروا) رئيس الوزراء الفرنسي الى اداة الغارة الاسرائيلية ، ووصلها بانها عمل خطير جدا لا يمكن قبوله ، وبعد ذلك بشرة ايام ، بدأ (موروا) اكثر اهتماما في حديث له مع صحيفة (واشنطن بوست) الامريكية ، بالرغم من انه اذان قرار الحكومة الاسرائيلية بحسن الهجوم على المفاعل ووصفه بأنه لا يبرر له ، وانذار خطير ، .

وبذلك ناقض تصريحاته التي ادل بها قبل الانتخابات الفرنسية . ورغم كل شيء ، اذا لم يكن ثمة انذار من شيء خطير فلماذا وعد بسحب المساعدة الفرنسية من المشروع العراقي ؟ ويضيف انه كان سيرى الهجوم الاسرائيل من ناحية مختلفة لو ان ، اسرائيل كانت تواجه خطرا فعليا ومباشرا ، غير ان هذا لم يثبت على الاطلاق .

ثم استطرد قائلا : انه اذان زعماء اسرائيل اى كلا من بيجين والحكومة - ولم يكن الشعب الاسرائيل . وأوضح ان فرنسا كانت ضد فرض عقوبات ضد اسرائيل لأنه لا يجب على البلد كلها ان تصانى من اخطاء ارتكبها زعمائها .

ومما لا شك فيه أن حديث (موروا) هذا كان مناورة واضحة تجعل بيجين فى وضغ سوء ، وذلك كجزء من محاولة ميتران لتأييد الحملة الانتخابية لصديقه القديم شيمون بيريز - فى وقت كانت حملته الانتخابية ضد بيجين تقترب من نهايتها .

وبعد ذلك ، وفى اعقاب خطبة لصلام حسين - طالب فيها من كافة بلاد العالم المتقدمة ان تساعد العراق والعرب فى تحقيق الخيار النووى - أعلن كلود شيمون وزير الخارجية الفرنسى فى حديث للتليفزيون الفرنسى (٢٨ يولية ١٩٨١) أنه ليس واقفا فى الوقت الحاضر من كون فرنسا مستضام مرة اخرى فى برنامج (البحث) العراقي (كما اذان فى نفس الحديث بياننا كان قد صدر فى بداية الاسبوع ذاته يشير الى ان لاسرائيل خيارا نوويا قصير الأمد للغاية) .

ومن المؤكد ان الفرنسيين (سيزداد خطرهم من أن يتورطوا بعمق ، على نحو تورطهم السابق ، فى برنامج « البحث » النووى العراقي . غير أن هذا الذى سيحدث فى المستقبل لا يزال أمرا غير واضح تحت وطأة الضغوط العراقية المضادة وأساليب الابتزاز (مثل التهديد بعدم شراء مزيد من الأسلحة الفرنسية ، أو إلغاء صفقات الأسلحة التى تم الاتفاق عليها من قبل ، أو وقف تصدير البترول لفرنسا) . ومن المرجح ان يلجأ الفرنسيون لى استخدام

إساليه لتأجيل مساعدتهم النووية للمراق . كان يصرون على الاضطلاع بالمريد
من الفلتيش والمراقبة الدقيقة للبرنامج النووي العراقي . بيد أنه من المرجح
أن يستسلم الفرنسيون تحت وطأة الضغوط العراقية المستمرة كما استسلموا
أكثر من مرة في الماضي .

وربما كان رد الفعل المخفف لفرنسا ازاء الفارة الاسرائيلية - بالرغم
من تعاونها في المشروع العراقي - لا يرجع ، فحسب الى أن اسرائيل قد أراحت
الضمير الدامي للحكومة الفرنسية .

وحدثت مشكلة خطيرة بالنسبة لصانعي القرار الفرنسي (١) ، بل يرجح
كذلك الى الخوف من أن اسرائيل في ظل حكم بيجين لن تتردد في نشر كافة
المعلومات السرية للغاية المتاحة لديها ، والتي من شأنها أن تكشف عمق المي
الكريه للمساعدات التي قسبتها فرنسا لبرنامج الأسلحة النووية العراقية .

(١) لقد لقي أحد الفتيين الفرنسيين مصرعه خلال الفارة على تموز -
وهو الضحية الأجنبية الوحيدة للفارة . وقد قررت الحكومة الفرنسية بعد
أسبوعين من الفارة دفع تعويض كامل لاسرته (على الرغم من أنها ليست ملزمة
يفعل هذا طبقاً للقانون الدولي) .

٢٦ - العالم العربي : صد اللجوة النووية

كان العالم العربي في صيف ١٩٨١ يسوده الانقسام ، كما هو المعتاد ، واعداد الهجوم الاسرائيلي على مشروع نوز توحيديه - لفترة قصيرة على الأقل - بشأن تأييد العراق فيما لحق بها من ادلال وما استبد بها من غضب .

بل ان النظام البعثي السوري ، الذي يعتبر النظام البعثي العراقي من اعدائه الاساسيين قد اعرب عن تعاطفه فجأة مع العراقيين ودعا راديو دمشق بصوت مرتفع وباستمرار الى التضامن العربي والقضاء على الكيان الصهيوني ، في الشرق الاوسط . وكان رد الفعل الاردني مماثلا لذلك ، على الرغم من ان الجيش الاردني لا يزال عليه ان يشرح كيف تسكنت نجاح الطائرات الاسرائيلية طراز اف - ١٦ و اف - ١٥ من التحليق فوق الاراضي الاردنية دون ان تكتشفها شاشات الرادار الاردني .

ولقد ادينت اسرائيل مرات ومرات لهجومها القادر بدءا من المغرب في الغرب الى الكويت في الشرق .

ومع ذلك ، يتعين علينا ان نرقب عن كثب رد فعل دولتين اساسيتين في العالم العربي هما : السعودية ومصر .

والواقع ان هاتين الدولتين قد انضمتا من الناحية الرسمية لحطة اذانة اسرائيل والدعوة للتضامن العربي . ففي مصر ، اتحد اعضاء المعارضة والحكومة في البرلمان مرة اخرى منذ شهور طويلة ، لاذانة العملية الاسرائيلية ودعا الرئيس السادات موسى ساسون السفير الاسرائيلي لدى القاهرة وابلقه يقلقه . ولقد كانت الغارة بالنسبة للسادات اهانة شخصية . ذلك انه بعد ثلاثة ايام فقط من عقد اجتماع مع يبجين في شرم الشيخ (اوهيرا) قصف السلاح الجوي الاسرائيلي المفاعل العراقي ، جاعلا بذلك السادات في نظر بقية العالم العربي متواطئا في هذا العمل الاجرامي . ولقد شعر السادات بان يبجين قد اساء معاملته ، وقال للسفير الاسرائيلي :

« لقد وضعني يبجين في وضع لا يطاق . لقد عملت ، بجدي ، لمساعدة اسرائيل على ان تغير من صورتها المتفطرسة ، والتي لا تقهر ، وذات الذراع الطويلة . وكنت اريدها ان تكتسب صورة البلد التي يمكن العيش معها في سلام ، والتي يمكن معها توقيع اتفاقات السلام . لقد فعلت الكثير لأوانم الحاجز النفسي الذي كان يمنع الدول العربية من حتى مجرد التفكير في احتمال اقرار السلام مع اسرائيل . والآن ، لقد خربت عملياتكم الاخيرة كل ما بذلته من جهود ، والحقت ضررا بليضا لما حاولت بجدي ان ابنيه خلال السنوات الثلاث الماضية . »

ومن المرجح ان كلمات السادات هذه تشرح رد فعله العاجل ازاء الغارة . وباعتباره واحدا من اكثر الحكام المعتدلين في العالم العربي كان

يراهما من خلال منظار الدمار الذى سببته الغارة للمقاتلات المصرية الاسرائيلية ومن الأثر الذى أحدثته الغارة فى وجهة نظر ، وموقف ، العالم العربى تجاه اسرائيل . ولكن من الناحية الأخرى ، لا بد أن الرئيس المصرى كان يعرف كذلك أن المشروع النووى العراقى كان موجها أيضا ضد مصر وائ دولة عربية أخرى فى الشرق الأوسط ، مثلما كان موجها ضد اسرائيل .

وربما كان آخر الأشياء التى يريد بها هو قبلة نووية عراقية قد تهدد أية دولة عربية فى حالة نزاع مع العراق . وفى ضوء التفكير فى هذه الحقيقة، ربما توصل السادات الى نتيجة مفادها على الرغم من أن الغارة الاسرائيلية قد دمرت بعض الجهود الرامية لبناء اطار جديد للعلاقات بين اسرائيل والعالم العربى ، على الرغم من ذلك حررت الغارة العالم - كذلك - من واحد من أخطر التطورات التى يمكن أن تحدث ، فى المستقبل القريب على الأقل ، وهو تحقيق الخيار النووى العراقى المستقل . ولعل هذا النسق من التفكير كان يشاركه فيه أولئك الذين يشغلون المناصب العليا فى مصر والذين يرون الآن أن اسرائيل ليست العدو الرئيسى الذى يريد أن يحتل أراضى مجاورة ، وإنما هى دولة ستفعل كل شئ ضرورى لضمان وجودها .

أما رد الفعل السعودى فقد كان من الناحية الرسمية ، مثل رد الفعل السائد فى بقية العالم العربى . لقد أدانت السعودية الموقف العربى ، ودعت الى اتخاذ الإجراءات اللازمة ضد الدولة اليهودية . غير أنه كانت هناك ردود فعل أخرى لم يشر إليها قط راديو السعودية .

فلقد أعرب الملك خالد ملك السعودية ، الذى كان يزور المملكة المتحدة وغيرها من البلاد الأوروبية وقت شن الغارة الاسرائيلية ، أعرب على نحو غير رسمى بالطبع ، عن شيء من الارتياح لهذا الهجوم . كما أعرب أعضاء آخرون فى الاسرة المالكة السعودية ، خلال مأدبة غداء رسمية ، عن ارتياحهم لتدمير المشروع النووى العراقى . ولم يكن فى وسعهم بالطبع أن يعبروا عن مشاعرهم بحرية - لأنه يعتبر بمثابة خيانة للقضية العربية - غير أنهم اعترفوا فى أحاديثهم الخاصة ، بأنهم كانوا يشعرون بالقلق ازاء حصول العراق على قبلة ذرية مثل قلقهم ازاء التهديد الاسرائيل للعالم العربى .

والواقع أن هذا الموقف هو نموذج لموقف معظم الدول العربية التى كانت تخشى المخططات العراقية الخاصة بالهيمنة . ولقد كان هذا التهديد العراقى موجها أساسا ، فى المدى القصير على الأقل - ضد الخليج الفارسى . ذلك أن الحرب العراقية الإيرانية كانت الخطوة الأولى لتحقيق هذه الهيمنة ، وكان حصول العراق على قبلة ، وسيلة أخرى لتحقيق هذه الغاية . كان فى وسع كل النظم العربية أن تدين الهجوم الاسرائيل بأعنف كلمات ممكنة ، لكن هذا الهجوم ، كان ، مع ذلك يخدم أغراضها مثلما يخدم

المراض اسرائيل . وحتى اذا ما كان الامر كذلك ، فان الفسادة الاسرائيلية على المحافل المراتى قد اثرت كذلك على المواقف العربية تجاه اسرائيل . لقد اعتبرت الفارة كاهانة للعالم العربي بأسره ، وكصل من شأنه استمرار الفجوة بين اسرائيل الحديثة المتقدمة علميا ، والتي تمتلك خيارا نوويا ، وبين العالم العربي الذى ترك دون أن يكون لديه خيار نووى . ولقد كان هذا ، ومن المرجح أنه لا يزال هو الإدراك والشعور الحقيقى لكل عربى . لقد تعززت لدى العرب صورة الطيار الاسرائيل باعتباره ، وسوبرمان ، - وهى نفس الصورة التى ظهرت فى اعقاب حرب الايام الستة .

ولذلك ، فان الفارة الاسرائيلية قد اثرت فى العالم العربي بأسره من ثلاث نواح اولاهما ، وهى الاكثر سطحية أن الفارة أدت الى إعادة توحيد العرب ومحاولة التوصل الى نوع من التضامن العربي . ولثانيها ، انه من المرجح أن معظم الحكام شعروا بارتياح عميق بعد الفارة الاسرائيلية . والواقع أن تضافر اليهود العربية للتوصل الى قبيلة يمسد هدفا شرعيا بالنسبة لمعظم الحكام العرب غير أن وجود قبيلة عراقية مستقلة ، يد حكاية مختلفة تماما . انها ستهدد كل أعداء العراق - وللعراق عدد ليس بالقليل منهم فى العالم العربي فى الماضى والحاضر ، وربما يزيد عدد أعدائها فى المستقبل . ومن ثم ، وعلى صعيد المصلحة الوطنية هذا ، ختم الهجوم الاسرائيل الاهداف العامة للحكام العرب .

ولالثتها ، وعلى الصعيد الشخصى ، شهد كل مواطن عربى أن الفارة الاسرائيلية كانت اذلالا شخصيا له وللأمة العربية على السواء . لقد شعر العرب بالاحباط من جراء النجاح الاسرائيل ، الذى اظهر - مرة ثانية - البون الشاسع بين القدرات والامكانيات الاسرائيلية والعربية .

ومن الطبيعى أنه توجد تناقضات بين هذه المستويات الثلاثة لردود الفعل ، وعلى حيث أن رد الفعل الاول عام ، ويمكن أن يؤدى للاحباط الشخصى لا يوجد حاكم عربى كان يود رؤية قبيلة ذرية لدى حاكم شقيق فى دولة عربية مجاورة . وكل منهم يعرف ذلك ، ولكنه لن يمترف به قط . ولذلك نجد أن الوسيلة الوحيدة التى سيوافقون عليها بشأن الحصول على قبيلة عربية هى أن يتم التوصل اليها من خلال جهود مشتركة من جانب كل الدول العربية . ولكن عندئذ يثور السؤال : من سيضغط باصبعه على زر اطلاق للقنبلة ؟ ان شخصا واحدا فقط يمكنه أن يفعل ذلك ، وأن دولة عربية فقط يمكنها أن تمتلك قبيلة عربية . ولذلك ، يبدو فى الوقت الحاضر ، وفى اطار رد الفعل ازاء الفارة الاسرائيلية التى جعلت اسرائيل الدولة الوحيدة التى تملك الاحتكار النووى فى الشرق الاوسط ، لذلك يبدو أنه لا تزال هناك فرص ضئيلة لبذل جهد عربى مشترك للحصول على القبيلة الذرية .

ان الدوله التي تنتمى للعالم الثالث والتي يحتمل كثيرا ان تحقق خيارا نوويا مستقلا في المستقبل القريب - وهي الدوله الاكثر تعاطفا مع الاهداف العربيه الاسلاميه - هي دوله ، على عكس العراق ، لا يمكن ان تتعرض للاصابة من الناحية العمليه من جانب غارة وقائية اسرائيليه . ذلك انه لا الضرورة الاستراتيجيه في المدى القصير . ولا براعة السلاح الجوي الاسرائيل ولا مخاوف رئيس الوزراء بيجين من المذبحة الجماعيه يمكن ان تغري اسرائيل على شن غارة في المستقبل على باكستان ، وهي الدوله التي تركز الان ، بمساعدة فرنسا وليبيا ، الكثير من مواردها ، لتطوير ما يمكن ان يكون - في ضوء العداوات العائمه بين باكستان واهند - احظر تهديد المتوازن النووي العالمى في الثمانينات وهو المشروع ٧٠٦ - اى العنبله الاسلاميه .

خاتمة

ان الفارة الاسرائيلية على المفاعل النووي العراقي تعد تاريخا الآن ، ومع ذلك لا تزال الاسئلة الحفيفية باقية ومثارة . ماذا سيكون عليه شكل السباق النووي في الشرق الاوسط ، وماذا سيكون اثر هلا السباق على مستقبل المنطقة والصالم بأسره ؟

وعلى حين ان التلميز الاسرائيلي للمفاعل النووي العراقي قد اجل بالتاكيد خياره العراق لاسلحة نووية - لا يمكن في المدى الابدع تجنب حيازة العراق أو أي بلد عربي أو اسلامي غيرها لاسلحة النووية ومن الممكن ان يحدث هذا بعد خمس سنوات اعتبارا من الآن، أي في غضون عقد أربعة قرون - ولكنه يبدو أمرا حتميا . ذلك ان التقدم التكنولوجي ، والرغبة في الحصول على أحدث الاسلحة ، والمكانة التي تستمد من الحصول على اسلحة الدمار الجماعي كل ذلك يشكل اغراء قويا ويقدم حلا سريعا ، حتى بالنسبة للزملاء الأكثر شعورا بالمسؤولية من أولئك الموجودين في الشرق الاوسط .

ويأمل البعض في انه اذا كان تجنب الانتشار النووي غير ممكن ، فالمرجو ان يسهم التوصل اليه في تحقيق توازن رعب اقليمي على شرار نفس المستوى الاستقرار والسلوك المسئول ، كما هو الحال بين القوى العظمى التي حصلت على اسلحة نووية منذ عام ١٩٤٥ (أي الاتحاد السوفيتي والمملكة المتحدة وفرنسا والصين والهند) لم تتورط في صراعات مباشرة مع بعضها خلال الخمسة والثلاثين عاما الماضية (وتعد الصين والهند استثناء لذلك ، بالرغم من ان الهند لم تكن لديها اسلحة نووية عندما تورطت في حرب محدودة مع الصين) .

غير انه لا يمكن القول بان شيئا من هذا يصدق بالنسبة لبلاد الشرق الاوسط التي توجد في حالة تورم وتزاع مستمر منذ نهاية الحرب العالمية الثانية . ولا يمكن ان يوصف أي بلد من هذه البلاد بأنه يمثل نظما مستقرة بصحة خاصة . ذلك ان النزاع في الشرق الاوسط ليس ناشبا بين اسرائيل والدول العربية فقط ، بل هو ناشب كذلك بين الدول العربية نفسها فالنزاع قائم بين ايران والعراق ، وبين العراق وسوريا وبين سوريا ولبنان ، وبين مصر وليبيا ، وبين الجزائر والمغرب .. وهكذا .

ومن ثم نجد انه لو أمكن تحقيق توازن رعب اقليمي ، ولو تمت السيطرة عليه عن طريق التفاهم المشترك ، أو حتى التعاون المحدود ، لبقيت المخاطر ماثلة . ذلك انه كلما استمر النزاع الاقليمي على مستوى تقليدي أو شبه تقليدي ، فان خطر تصعيد حرب مفاجئة يظل ماثلا دائما . والواقع ان لاسلحة النووية لا يمكن ان تمنع نزاعا على مستوى محدود .

ولذا ، وعندما تنتشر الاسلحة النووية في النهاية في الشرق الاوسط فان الوسيلة الوحيدة لضمان عدم استخدامها هي اقرار السلام في المنطقة . غير انه من سوء الحظ ان اقرار السلام لا يزال امرا بعيد المسال على الرغم من آمال الملايين وصلواتهم - ولذلك ، يمكن ان تكون الوسيلة الوحيدة لتجنب وفسوح كلرنة نووية في الشرق الاوسط ، يمكن ان تكون هي التوصل الى اقرار سلام يقبله الجميع قبل ان يبدأ الانتشار النووي في المنطقة . ولا ينطبق هذا على النزاع العربي الاسرائيل فقط ، بل ينسحب كذلك على كل النزاعات الاخرى في المنطقة . غير ان نوبع ان يصحح الشرق الاوسط منطقة سلام مثل اوربا العربية لا يبدو امرا واقصيا في الوقت الحاضر او حتى في المستقبل ، ولهذا كلما تجبل الاسرار النووي ، كلما كان ذلك افضل .

وما ان يحدث الانتشار النووي ، حتى يزيد على الفور خطر اندلاع حرب نووية . واذا توقعنا ان تتجه دول المنطقة الى نزع السلاح عندما تصل الى هذه المرحلة ، فانه سيكون توقعا عقيما كما هو الحال في اى منطقة اخرى في العالم . وذلك ان المخاطر حسيمة جدا ، والشكوك المتبادلة قوية للغاية . كما ستكون الاغراض مضطربة . اذ ان مجرد قبلة نووية واحدة قد تدمر تماما دولة اخرى في توان . والواقع انه لم تنجح دول عربية قط في الحاق الهزيمة باسرائيل ، وقد فشل ١٠٠ مليون عربي في اهداة مليوني يهودى . بيد ان عددا قليلا من الاسلحة النووية يمكن ان يدمر تماما دولة صغيرة مثل اسرائيل .

ان قبلة مثل قبلة هيروشيما التي تبلغ زنتها ما بين ٢٠ الى ٣٠ كيلوجراما من المرجح - اذا ما اسقطت فوق مدينة تل ابيب - ان تصفر عن مصرع ٥٠ الف نسمة وعن اصابة ١٥٠ الفا آخرين ، على الاقل ، نتيجة للتمرض للحرارة والاشعاع النووي ، والاغجار ، والضغط وانضوء ، وكسل الاثار الاخرى الناجمة عن الانفجار النووي - واذا ما القيت ثلاث (الى ست) من كتل هذه القنابل فان ٥٠ / من المراكز السكانية والصناعية الاسرائيلية ستدمر . ويمكن القول بان عددا مائلا او اكبر قليلا من القنابل النووية يمكن ايضا ان يسبب دمارا هائلا لمصر او اى دولة اخرى في الشرق الاوسط .

ذلك ان كل الدول العربية الاساسية تعتمد على نهر او نهرين كبيرين وعلى ما لديها من سدود ، وان سكانها يتركزون في مدينة او مدينتين فقط ، ومن ثم ، يؤدي اى هجوم نووي الى رد انتقامى وثارى سريع سواء كان يخدم غرضا معقولا ام لا . والواقع ان مثل هذا الدمار قد يشكل خطرا بالنسبة لبقية العالم كذلك . ويمكن ان يحدث هذا ، اما عن طريق جر القوى الكبرى للمحول في مواجهة نووية لا يرغبون فيها ، او عن طريق تلمير الموارد ائترولية في المنطقة .

وسوف تكون لدوة السخرية اذا ادت النقافات التي كانت معا مهد حضارة العالم الى اشغال نيران الحرب الفاصلة .

المحتويات

رقم الصفحة

- ٣ مقدمة
- ٩ تقديم
- ١٣ الجزء الأول : العودة الى التسليح والسباق النووي
- ١٥ ١ - ورطة بن جوريون
- ١٩ ٢ - الأسد والحملان : مولد المناقشة النووية في اسرائيل
- ٢٣ ٣ - كابوس ناصر وحل السادات
- ٤ - السعي من أجل القنبلة الاسلامية :
- ٣١ ليبيا وسوريا والسعودية وباكستان
- ٣٩ ٥ - القنبلة في « البلوروم » : صيغة ديان
- ٥١ ٦ - صدام حسين ومشروع تموز
- ٥٩ الجزء الثاني : صنع القرار
- ٥٩ ٧ - تحذير : التخريب في فرنسا
- ٦٧ ٨ - تحذير : تمزيق الحيط
- ٧١ ٩ - التحذير الأخير : الهجوم الايراني
- ٧٣ ١٠- الثلاثة يقررون
- ٧٧ الجزء الثالث : الاعداد لعملية بابل
- ٧٩ ١١- عملية بابل : الخيارات
- ٨٣ ١٢- عملية بابل : امرى عنتيبي الثانية ؟
- ٨٩ ١٣- عملية بابل : الاستطلاع
- ٩٣ ١٤- عملية بابل : النسر والصقر للقاتل

رقم الصفحة

١٠٠

١٥- عملية بابل : طريق الاقتراب

١٠٦

١٦- عملية بابل : اختيار الأسلحة

١١٠

١٧- عملية بابل : المد التنازلي

١١٢

١٨- عملية بابل : دقيقتان فوق أويرزراك

١١٩

الجزء الرابع : الحكم

١٢٢

١٩- بيان القدس

١٢٤

٢٠- بيان بغداد

٢١- اسقاط القنابل والضجة الصاخبة :

١٢٦

اسرائيل بعد الفارة

١٣٢

٢٢- حرب الدعاية : حسين يرد على الهجوم

١٣٤

٢٣- مسألة توازن دقيق : رد الفعل الأمريكي

١٤٦

٢٤- رأى اسرائيل

١٥١

٢٥- فك الارتباط الفرنسي

١٥٤

٢٦- العالم الغربي : سد الفجوة النووية

١٥٩

خاتمة



7

مطابع
الهيئة العامة للتسجيلات